الرّصيد الوطني للأطروحات
يحظر النسخ و التوزيع

جامعة الجزائر
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم التاريخ

الاحتلال الإسباني للسواحل الجزائرية وردود الفعل الجزائرية

خلال القرن العاشر هجري 10هـ السادس عشر ميلادي 16م

رسالة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر

من إعداد الطالب:
نجيب دكاني

تحت إشراف:
الدكتور: ناصر الدين سعيدوني

السنة الجامعية
2002 – 2001

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

كلمة الشكر

أتقدم بجزيل الشكر إلى كل من ساعدني على إنجاز هذا البحث
المتواضع من أساتذة في قراءة مسودته وتقديم ملاحظات في غاية
الدقة والأهمية، فإليهم أزجي عظيم الشكر والامتنان، وخاصة الأستاذ:
"ناصر الدين سعيدوني" وإلى كل من ساعدني في هذا العمل
لأن البحث العلمي التاريخي ليس إلا حصيلة تعاون بين الباحثين
أخذ الله بأيدينا في تهيئة السبيل لهذه الأمة للأخذ بأساليب التفكير
السليم من أجل مجتمع تسوده الفضيلة والعلم والعمل

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

الإهـــداء

إلى الوالدين

إلى زوجتي وابني "إسلام"

إلى اخوتي وأخواتي

إلى كل العائلة والأصدقاء

أهدي هذا العمل

نجيب

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

الفهرس

الصفحة

❖ المقدمة .... أ – ج

الفصل الأول

الجزائر والمغرب العربي والدولة العثمانية والممالك الإسبانية

1. المغرب العربي قبل مجيء العثمانيين........................ 07

2. لمحة عن مماليك إسبانيا.. 17

3. أسباب ودوافع الاحتلال الإسباني للسواحل الجزائري خلال القرن 16م..........

أ. الأسباب الدينية.. 18

ب. الأسباب السياسية والاقتصادية.................................. 19

ج. الأسباب العسكرية... 20

الفصل الثاني

مراحل الاحتلال الإسباني للسواحل الجزائرية

1. احتلال المرسى الكبير.. 24

2. هزيمة الإسبان في مسرغين 1507م.............................. 25

3. احتلال وهران 1509م.. 26

4. احتلال بجاية وإقامة حصن البينيون في الجزائر 1510م............ 28

5. إحتلال مستغانم شرشال دلس عنابة................................ 30

6. طبيعة الاحتلال الإسباني في وهران والمرسى الكبير وبجاية.......... 32

7. الحصار الجزائري للمدن المحتلة المراكز المحصنة (Présidios) وصعوبة تموينها..... 40

8. انعكاسات الاحتلال على الجزائر.................................. 42

9. الإغارة خارج أسوار المدن المحتلة (Les razzias)............... 43

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

الفصل الثالث

الاستنجاد بالأخوة بربروسة عروج وخير الدين

- لمحة عن الإخوة بربروسة...

1. استنجاد سكان بجاية بعروج ومحاولة تحريرها.................. 48
2. استقرار الإخوة بربروس بجيجل..................................... 50
3. نجدة مدينة الجزائر، والاستيلاء على شرشال........................ 51
4. الحملة ديغو دي فيرا Diego de vera على مدينة الجزائر 1516م وأسباب فشلها...... 55
5. حملة عروج على تلمسان ووفاته 1518م.............................. 58
6. خير الدين بربروس والنجدة العثمانية................................. 61
7. الحملة الإسبانية على الجزائر وفشلها 1518م.......................... 64
8. صراع خير الدين وابن القاضي... 67
9. طرد الإسبان من حصن البينيون وانعكاساته 1529م..................... 70

الفصل الرابع

التحالف الجزائري الفرنسي خلال القرن 16م وإنعكاساته

1. الاتفاق الفرنسي الإسباني وفشل أندري دوريا أمام شرشال.............. 75
2. خير الدين بيلر باي وقائد الأسطول العثماني.............................. 77
3. خير الدين في تونس واستنجاد حاكمها بالإسبان 1534م.................. 79
4. العلاقة بين إسبانيا والبابوية.. 84
5. العلاقات العثمانية الفرنسية وانعكاساتها على إسبانيا........................ 85

أ.معاهدة فرانسوا الأول وسليمان القانوني 1535م وعلاقاتها مع الجزائر............ 86

6. هجوم "شارل كوينت" على فرنسا... 88
7. هزيمة الحلف المقدس (البابوية، إسبانيا، البندقية) أمام الأسطول العثماني الجزائري 90

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

8. حملة "شارل كوينت" على مدينة الجزائر أكتوبر، 1541م دوافعها، سير الحملة، نتائجها، وانعكاساتها.. 92

الفصل الخامس

دور البحرية الجزائرية

1. دور البحرية الجزائرية 106
2. خير الدين في مرسيليا، الاستيلاء على نيس.. 108
3. حسن بن خير الدين بيلر باي.. 110
4. درغوث في مواجهة دوريا (تخريب الإسبان للمهدية)................................ 111
5. تحرير طرابلس على يد سنان باشا1551.. 112
6. توسع الإيالة الجزائرية، الحملة على تلمسان.. 114
7. حملة صالح رايس على الجنوب الجزائري.. 117
8. طبيعة العلاقات الجزائرية المغربية.. 118
أ.حملة صالح رايس على المغرب.. 119
ب.السعديين والخطر العثماني.. 120
9. تحرير صالح رايس لبجاية نهائيا 1555م.. 121
10. معركة مزغران (مستغانم) ومقتل الكونت ألكوديت 1558م.............................. 124
11. استمرار المواجهة البحرية بين الجزائر وإسبانيا.. 125
أ.حصار مالطا ماي 1565م.. 129
ب.ثورة المورسكين 1568م.. 131
ج.معركة ليبانت 1571م ودور الأسطول الجزائري.. 133
د.تحرير علج على تونس وحلق الوادي 1574م.. 135
12. معاهدة السلام بين إسبانيا والدولة العثمانية وانعكاساتها.. 137
❖ الخاتمة: أوضاع الجزائر نهاية القرن 16م.. 141
❖ المراجع
❖ الملاحق

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

المقدمة

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

تقاس مكانة الشعوب والدول بمدى مساهمتها في تفعيل وتوجيه الأحداث وقدرتها على أن تكون مركزا موجها لها ومؤثرا في مجرى التاريخ الإنساني. والجزائر كانت نموذجا في ذلك خصوصا في الفترة العثمانية ذات الأهمية الكبرى لا من حيث المدة التي استغرقتها فقط والتي فاقت الثلاث قرون – السادس عشر ...التاسع عشر – لكن أيضا من حيث طبيعة الأحداث التي مرت بها وميزت العالم المتوسطي آنذاك، من ذلك بروز الدولة العثمانية رافعة شعار الخلافة الإسلامية في الشرق، وتوحد الممالك الأسبانية تحت راية الكنيسة الكاثوليكية في الغرب والذي تزامن مع سقوط غرناطة – 1492م – آخر معاقل المسلمين في الأندلس، الذين وجدوا في بلاد المغرب الملجأ الوحيد والقاعدة التي حاولوا من خلالها استرجاع ما فقدوه بسبب ضعف حكامهم.

لتأتي الهجمة الصليبية على بلاد المغرب عموما والجزائر خصوصا. ومن خلال هذا العمل المتواضع، سنتناول جزء هام من تاريخ تلك الفترة ونقصد به الاحتلال الأسباني السواحل الجزائرية خلال القرن السادس عشر، أسبابه، دوافعه وأهدافه وما صاحبه من ردود فعل جزائرية.

وجاء اختيار الموضوع مكملا للمذكرة المنجزة في السنة الأولى ماجستير بعنوان "الاحتلال الأسباني لوهران والمرسى الكبير" والذي زادتني تحمسا لإقتفاء الآثار الأولى لبدايات المشروع الاستعماري الأسباني ضد الجزائر. تأكيدا لفكرة الاحتلال والاستيطان، ولم يكن على الإطلاق وجود ظرفي أو وقائي حسب المصادر الغربية والأسبانية على الخصوص.

ونشير هنا إلى استعانتنا بمجموعة وثائق موجودة في الأرشيف الوطني والتي تستعمل لأول مرة – حسب اعتقادنا – وهي خاصة بمراسلات الباب العالي مع إيالة الجزائر، ابتداء من النصف الثاني من القرن السادس عشر تحت عنوان "دفتر مهمة".

ونحن ننجز هذا العمل، شد انتباهنا الكم الهائل من الكتابات الغربية وخصوصا الفرنسية منها، حول تاريخ الجزائر في الفترة العثمانية مقابل قلة الكتب بالعربية، إذ استثنينا المؤرخين والمختصين، وهذا ما ساهم في تشويه الحقائق وتلفيق الأكاذيب لتقزيم دور الجزائر واعتبار الوجود العثماني احتلالا، وأنها فترة انحطاط وضعف

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

سياسي وانهيار اقتصادي دفعت إلى القرصنة والنهب والاعتداء من جانبنا، فكان سببا في الهجمة التي تعرضنا لها ويصفها الكتاب الأسبان بحملة وقائية.

ولذلك، جاءت طريقة تناولنا للموضوع بالمزج بين الوصف التاريخي المقارن للكتابات العربية والغربية، وخصوصا الأسبانية منها، مستعينين في ذلك بمكتبة المركز الثقافي الأسباني بالجزائر، والطريقة التحليلية الاستنتاجية.

ومما لاشك فيه، أن لكل عمل جاد صعوبات، أهمها قلة المصادر والمراجع وصعوبة الحصول عليها في المكتبات، واختفاء عدد كبير منها في مقابل استحالة التنقل إلى الخارج لأسباب مادية والتي كانت السبب الذي حال دون تفرغنا الكلي للبحث العلمي موازاة مع مزاولة التدريس.

الإشكالية المطروحة:

وإشكالية الموضوع جاءت كما يلي: ماهي دوافع الاحتلال الإسباني للمدن الساحلية للجزائر؟ وما طبيعة ذلك الاحتلال أهو استيطاني أم ظرفي مؤقت؟ وفيما تمثلت ردود الفعل الجزائرية ومقاومتها لذلك الاحتلال وانعكاسات هذا الأخير على المدن المحتلة ذاتها وعلى عموم البلد؟

ثم ما هو الإطار العام للمواجهة الجزائرية الإسبانية وماهي تفاعلاتها محليا ومغاربيا ثم متوسطيا؟

تتكون هذه الرسالة من خمسة فصول:

الفصل الأول: الجزائر والمغرب العربي والممالك الأسبانية

حاولنا من خلاله تناول أوضاع الجزائر ومحيطها المغاربي قبل بداية العدوان الأسباني، وما تميزت به من ضعف وانقسام سياسي وحروب بين الإخوة الأعداء، وباستثناء النشاط التجاري بين ضفتي المتوسط، فالبلاد كانت مهيأة للخضوع، وسهلة المنال، في الوقت الذي أتممت فيه إسبانيا وحدتها بزواج الملوك الكاثوليك بمباركة الكنيسة البابوية، وبالانتصار على المسلمين بسقوط آخر معقل في غرناطة سنة 1492م، والذي أعقبته مطاردة رهيبة للأندلسيين الفارين من بطش الرهبان المتطرفين،

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

والتي كانت من أهم أسباب ودوافع العدوان الأسباني إضافة للأسباب السياسية والاقتصادية والعسكرية.

الفصل الثاني: الاحتلال الأسباني للسواحل الجزائرية

انطلاقا من وهران والمرسى الكبير قاعدي التوسع الأسباني على مدن وموانئ الجزائر بدءا باحتلال بجاية وإقامة حصن البينيون قبالة مدينة الجزائر والذي فرض عليها حصارا خانقا، فجاء خضوع هذه الأخيرة للإسبان تبعتها مدن مستغانم شرشال دلس، وكلها قبلت بالشروط المهينة التي من بينها اشتراط القائد الأسباني على أعيان تلك المدن السفر إلى إسبانيا وتقديم الولاء والطاعة للملوك الكاثوليك.

ثم جاء احتلال عنابة ولو ظرفيا وصولا إلى طرابلس، وذلك رغم الإرادة الشعبية في المقاومة والتي لخصتها هزيمة الأسبان في مسرغين.

كما تناولنا طبيعة ذلك الاحتلال وإقامة المراكز المحصنة وتجهيزها وتسليحها وحتى تعميرها بالعنصر الأسباني كما حدث في وهران وهي تمثل أحسن نموذج لطبيعة الاحتلال إلى جانب المرسى الكبير وبجاية.

الفصل الثالث: الاستنجاد بالإخوة بربروس، عروج وخير الدين

البداية جاءت من سكان بجاية ومحاولة تحريرها ثم استقرارهم في جيجل مع تقديم لمحة عن بطولة هؤلاء وسمعتهم التي تجاوزت الآفاق وارتبطت بإنقاذهم عشرات الآلاف من الموريسكيين الفارين من شبه الجزيرة الإيبيرية.

تم التوجه إلى الجزائر بعد أن عرجوا على شرشال لتبدأ أولى المواجهات مع إسبانيا إثر الحملة الأولى على الجزائر وفشلها سنة 1516م، وتوجه بعد ذلك عروج لتحرير تلمسان واستشهاده هناك سنة 1518م وهي نفس سنة دخول الجزائر تحت حماية الخلافة العثمانية والحملة الأسبانية الثانية التي تحطمت على أسوار مدينة الجزائر.

لقد كانت وجهة عروج ثم خير الدين على الخصوص إقامة حكم مركزي قوي بإمكانه صد الخطر الأوروبي المسيحي وأطماعه التوسعية استعدادا لاسترجاع الأندلس بجعل مهمتهم الأولى إنقاذ سكانها، في الوقت نفسه كان عليه تدعيم سلطته داخليا أمام

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

رفض أعيان المدن الراغبين في الحفاظ على مصالحهم المادية. ليأتي طـرد الأسـبان نهائيا من حصن البينيون ورفع الحصار عن مدينة الجزائر ووضع "لبنة" منائها.

الفصل الرابع: المواجهة بين الجزائر وإسبانيا وتفاعلاتها الدولية

أردنا لها بداية الاتفاق الفرنسي الأسباني ومحاولة الاستيلاء على شرشال استعدادا لاحتلال الجزائر في عهد شارل كوينت وتلقي الأسبان لهزيمة أخرى كان من نتائجهـا استدعاء خير الدين إلى اسطمبول وتعيينه "بيلر باي" وقائدا للأسطول العثمـاني، مـع بداية العمل العسكري المشترك بين الأسطول الجزائري والأسطول العثماني من ذلـك توجه خير الدين إلى تونس واستنجاد حكامها الحفصيين بالأسبان مستعرضين العلاقات المتميزة والدعم المطلق للكنيسة البابوية لمشاريع إسبانيا في الوقت نفسه الذي عـرف تعاونا مميزا بين الدولة العثمانية وفرنسا المهددة خصوصا من الأسبان والتي لم تجـد من منقذ سوى القوى الإسلامية، ولقيت في ذلك انتقادات لاذعة من المؤرخين الغربيين، لانعكاسات ذلك على إسبانيا، وبالنسبة للقرن السادس عشر وحتى بعدها، تعتبر حملـة شارل كوينت على الجزائر 1541م أهم وأخطر الحملات إطلاقا، ليس فقـط بسـبب حجمها ومشاركة كل أوروبا المسيحية وبدعوة ومباركة البابوية، وإنما ما ترتب عنهـا من انعكاسات إثر تحطمها على يد "حسن آغا" خليفة خير الدين فشارل كوينـت هـو إمبراطور أوروبا وليس إسبانيا فقط، فالهزيمة سيكون لها نفس وزن وثقل من قام بهـا وباركها وستؤدي إلى زعزعة استقرار أوروبا.

الفصل الخامس: دور البحرية الجزائرية

باعتبارها عامل توازن في البحر المتوسط والمنقذ لفرنسا أمام القوى الإسبانية من ذلك توجه واستقرار الأسطول الجزائري في نيس، بعد ذلك توجه خيـر الـدين إلـى إسطمبول ليخلفه ابنه حسن آغا على رأس الإيالة. الحديث عن البحرية الجزائرية يقود للحديث على رياس البحر ومنهم "درغوث باشا" ومواجهته للقائـد الإسـباني "دوريـا" وتخريب هذا الأخير للمهدية وإباحتها للجند الأسبان، في المقابل جاء تحرير الأسطول العثماني الجزائري لطرابلس على يد "سنان باشا" موازاة مع توسع الإيالة داخليا بـدءا بالحملة على تلمسان وتوجه "صالح رايس" للجنوب. واستعرضنا أيضا طبيعة العلاقات

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

الجزائرية المغربية وهذه الأخيرة مع الدولة العثمانية. ليأتي تحرير بجاية نهائيا سنة 1555م تبعتها معركة مازغران ومقتل حاكم وهران الإسباني.

مع استمرار المواجهة البحرية بين الجزائر والدولة العثمانية وإسبانيا وأوروبا من جهة ثانية من حصار مالطا سنة 1565م ونجدة ثورة جبال البشارات في الأندلس سنة 1568م على يد "علج علي" لتأتي معركة ليبانت سنة 1571م، وإنقاذ هذا الأخير للأسطول الجزائري وسط الهزيمة الكبرى للأسطول العثماني، تبعه تحرير تونس وحلق الوادي وانفصال هذه الأخيرة وطرابلس عن الجزائر لتبدأ فترة جديدة من تطور الإيالة نهاية القرن السادس عشر وإبرام معاهدة السلام بين الدولة العثمانية وإسبانيا دون أن يؤثر ذلك إطلاقا على النشاط البحري الجزائري، تأكيدا لاستقلالية الجزائر وسيادتها، رغم الروابط الروحية الوثيقة مع الدولة العثمانية، ونهاية الموضوع خاتمة استنتاجيه.

وفي الأخير لا يسعني إلا أن أتقدم بشكري الخالص إلى كل الذين ساعدوني على إنجاز هذا العمل من أساتذة وزملاء وأخص بالذكر الأستاذ المشرف الدكتور "ناصر الدين سعيدوني" الذي أفادني بملاحظاته الوجيهة ونصائحه القيمة.

وعلى الله سعي السبيل

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

الفصل الأول

الجزائر والمغرب العربي والدولة العثمانية والممالك الإسبانية

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

1- المغرب العربي قبل مجيء العثمانيين

تعتبر الفترة العثمانية من تاريخ الجزائر الحديث مهمة وحاسمة وأساسية لعدة اعتبارات بغض النظر عن المدة الزمنية التي استغرقتها والتي تزيد عن ثلاث قرون فإنها كانت تتميز بالاعتبارات التالية:

-تعرض الجزائر في بداية تلك الفترة للغزو الإسباني الذي كاد أن يعيد مرة أخرى كارثة الأندلس.

-فترة عاشت أثناءها الجزائر مرحلة حاسمة في مواجهة اعتداءات الدول الأوروبية وعلى رأسها إسبانيا فرنسا وإنكلترا.

-تعتبر بمثابة المعبر الزمني الذي حافظ على قيم الجزائر الحضارية وتراثها ومقوماتها الإسلامية العربية.

-إنها فترة اكتمل فيها كيان الشعب الجزائري، وعرفت فيه البلاد الجزائرية مقومات الدولة الخاصة بعد أن ظلت هوية الجزائر الإقليمية غير واضحة المعالم أثناء انقسام دولة الموحدين، وظهور الحفصيين، الزيانيين، المرنيين[1].

تعتبر سنة 1516م بداية الفترة الحديثة من تاريخ الجزائر، ومنعرجا حاسما في تاريخ المغرب العربي، وللدلالة على هذه الأهمية لا بد من الرجوع للفترة التي سبقت الهجمة على السواحل الجزائرية مطلع القرن 16م. انقسام فوضى وضعف هي حالة دول المغرب، فالجزائر ممثلة بإمارة تلمسان وجدت نفسها بين شقي رحى الأطماع الحفصيين من الشرق والمرنيين في الغرب كل منهما يسعى للقضاء عليها والتوسع على حسابها[2]. في وقت كان الإسبان على وشك إتمام وحدتهم والقضاء على الوجود الإسلامي في الأندلس، والبرتغال احتل فعلا العديد من مدن المغرب على الساحل الأطلسي، تحت رعاية ومباركة الكنيسة البابوية.

---

(1) ناصر الدين سعيدوني : دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر "العهد العماني"، ط، م.و.ك 1984، ص.29.

(2) MONLAU jean, Les état Barbaresques, que sais je ?, P.U.F. Paris, 1973. P,40.

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

الصراع والحروب هي لغة التخاطب بين دول المغرب بإختلاف فترات الضعف والقوة لكل منها، والضحية في أغلب الأحيان هم الزيانيين في تلمسان، فقد تمكنوا من الحفاظ على ملكهم مدت ثلاث قرون، عرفت في كثير من الأحيان سلب المرينيين في فاس لتلك السلطة عدة مرات، كما أن العديد من ملوكها قتلوا، والبعض الآخر أسروا[1].

كما تجددت أطماع الحفصيين بعد تولي الأمير"أبي مالك الزياني" عرش تلمسان في أكتوبر 1411م[2]، فحاول إصلاح أوضاع إمارته بإعتماد الشدة والحزم للسيطرة على الداخل، والتفت إلى الحفصيين فاسترجع منهم كل الشرق الجزائري وتوسع غربا مستغلا الحرب الأهلية التي كانت قائمة بين السلطان المريني أبي سعيد وعمه أبي حسون سيد مكناس، وفي نفس الوقت الذي تمكن فيه البرتغاليون من احتلال مدينة سبتة 1415م، رغم المقاومة المغربية التي اقتصرت على المجاهدين المتطوعين القادمين من "سالة"، "آنفا"، و"آزمور"، وكان أول رد فعل شعبي لتلك الهزيمة، اندلاع ثورة شعبية داخل مدينة فاس، أدت إلى مقتل أبي سعيد بسبب انشغاله بالدفاع عن ملكه وتخاذله في صد الخطر البرتغالي، والقضاء على جميع أفراد عائلته، ولم ينجو سوى طفل لم يتجاوز سنة عام واحد، وهو آخر المرينيين الملقب بعبد الحق 1420م، وذلك ما ساعد أمير تلمسان في السيطرة على مدينة فاس وتعيين أحد أحفاد أبى عنان،[3]مما دفع بزعيم الوطاسيين أبي زكريا إنطلاقا من سالة للاستيلاء على الحكم باسم عبد الحق لتنتهي دولة المرنيين ويبدأ عهد الأسرة الوطاسية في النصف الثاني من القرن 15م.

اعتبر ما قام به الزيانيون في المغرب إنذار للحفصيين مما دفعهم للقيام بحملة عسكرية ضخمة بقيادة أبي فارس عبد العزيز (1394-1434) حيث تمكن خلال تقدمه من السيطرة على الجزائر ثم كان له احتلال تلمسان عام 1424م[4].

---

(1) OUAZZANI EL Hassan, Ben Mohamed,(Léon d'Afrique), description de l'Afrique, Trad., A, Epaulard, ParisVI, 1956, P.323.

(2) يحي بوعزيز: تلمسان عاصمة المغرب الأوسط، مديرية الدراسات التاريخية، الجزائر، ص ص،76.77

(3) قتل 1358م بعده بدأت فترة انحطاط وضعف الدولة المرينية

(4) MOURRE Michel, Dictionnaire de l'histoire, Larousse, 1998, P.1156.

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

ليتجه بعد ذلك إلى فاس التي كانت تحت سيطرة أبي زكريا الوطاسي، فسارع هذا الأخير إلى الاعتراف بسلطة الملك الحفصي، مما دفع به إلى العودة إلى تونس.

لقد مكنت سيطرة الحفصيين على المغرب الأوسط من اقتسام تجارة الذهب مع فاس والقاهرة عبر ثلاث طرق للمبادلات تنطلق من الجنوب نحو الشمال. الأول من السنغال نحو سجلماسة، سبتة، ثم فاس وتلمسان لينتهي في غرناطة، الثاني من إقليم توات إلى تونس ثم جنوب إيطاليا، الثالث ليعبر من النيجر يتوجه إلى تشاد ويصعد مع النيل وصولا إلى القاهرة، وقد أقام الحفصيون مع حكامها المماليك علاقات جيدة، وذلك من خلال المراسلات عبر قوافل الحجيج المتوجهة من تونس إلى مكة[1]، هذا ما مكن الحفصيين من تحقيق مشاريعهم التوسعية في الجزائر وهم مطمئنين على حدودهم الشرقية خصوصا وأن ليبيا خاضعة لهم[2].

هاجم الحفصيون تلمسان بعد ذلك مرّتين[3]، دون أن يتمكنوا من إخضاعها بعد تمردها على سلطتهم، لكنهم تمكنوا من الاستيلاء على واحة "تقرت" في الجنوب الجزائري في ووقت كانت قسنطينة وكل الشرق حتى بجاية خاضعا لهم[4].

وإلى جانب أطماع المغرب وتونس تعرضت تلمسان لتهديدات القبائل الصحراوية، فرغم حصول هذه الأخيرة على الأموال والهدايا من الزيانيين، فنادرا ما تجد طرق آمنة في تلك الفترة[5]. ورغم معاناة إمارة تلمسان من تنافس جيرانها، وصراعات أبناء الأسرة الزيانية على الحكم، إلا أنها ساهمت بصفة فعالة في إحياء النشاط الإقتصادي والعلمي، فأزدهرت المبادلات مع أوروبا خصوصا إسبانيا والبرتغال والجمهوريات الإيطالية كاجنوة والبندقية، ساعدها في ذلك إشرافها على وهران

---

(1) DHINA Attalah. Les états de l'occident musulman aux XIII. XIV. XV. siècle, 1er ED. ENAL. Alger. P.407.

(2) خضعت ليبيا للحفصيين في عهد أبي بكر عثمان، الذي قتل على يد حفيده وخليفته ابي زكريا يحي حاكم قسنطينة وذلك سنة 1488م، وهذا الأخير قتل بدوره في مواجهة مع اين عمه عبد المؤمن في جوان 1489م، ليحكم حتى أكتوبر 1491م، حيث طرد من الحكم وسجن حتى وفاته، ابي زكريا ابن يحي، استولى على تونس ليموت بالطاعون 15 ماي 1494م، ليختار أعيان طرابلس أحدهم ليحكم المدينة . El ouazzani , Op.Cit., P405

(3) حوصرت تلمسان مرتين من طرف الحفصيين الأولى 1462، والثانية 1466م دون أن تخضع لهم.

(4) محمد مهدي بن علي شعيب، أم الحواضر في الماضي والحاضر، تاريخ مدينة قسنطينة، ط1، الجزائر، ص ص46.47.

(5) El ouazzani , Op.Cit., P.324.

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

والمرسى الكبير إضافة لكونها محطة رئيسية نحو إفريقيا جنوب الصحراء، ويعترف لها حسن استقبالها ومعاملاتها للأجانب من المسيحيين ويهود[1].

وأما بقية المدن الجزائرية فهي عبارة عن مدن مستقلة تتجاذبها القوى المتصارعة آنذاك، فمدينة الجزائر بما فيها سهل متيجة فكانت تحت حكم الثعالبة، وكلما خضعت لسلطة ما تدفع لها الجزية، مع تمتعها باستقلالية من حين للآخر، مع استمرارية النشاط التجاري مع الضفة الأخرى للمتوسط منذ أواخر القرن 15م[2]، أما إدارة مدينة الجزائر فكانت من اختصاص مجلس أعيان تحت حماية الثعالبة، وكان من بينهم الشيخ عبد الرحمان الثعالبي[3]، وبقيت تحت سلطتهم حتى بداية الهجمات الإسبانية على السواحل الجزائرية في عهد سليم التومي والاستنجاد بالإخوة بربروسة عروج وخير الدين.

كانت مدينة وهران تابعة لإمارة تلمسان ومن بين من تعاقب على حكمها من الزيانيين أبو ثابت محمد الخامس 1452م، الذي حكم مدن الجزائر، مليانة، مستغانم وتنس، إلا أنها كانت تتمرد على تلك السلطة وترفض الخضوع لها[4]، اغلب سكانها حرفيون، عدد كبير منهم أندلسيون، فروا من الاضطهاد الإسباني ولتسيير المدينة يختار رئيس من مجلس الأعيان، وكان تجارها يسلحّون العديد من المراكب لنجدة الأندلسيين خصوصا بعد سقوط غرناطة 1492م، إضافة للغارة على سواحل كتالونيا، جزر إيبيزة، مايوركا، وعرف عنها حسن معاملتها للأوروبيين مما جعل الاتصالات مكثفة خصوصا مع الجنويين والكتالونين[5].

تعتبر بجاية من أهم المدن الجزائرية، خضعت لحكم الحفصيين في تونس، عند تولي أبي عثمان الحكم، كان عمه أبي حسان على بجاية وقد ثار هذا الأخير على ابن أخيه وانشغل بحكم بجاية وضرب عملته ورغم طرده ثم قتله في أكتوبر 1452، إلا أنه

---

(1) MOURRE , Op.Cit ., P17.

(2) عبد القادر حليمي، مدينة الجزائر نشأتها وتطورها ما قبل 1830، ط1، الجزائر، ص161.

(3) عبد الرحمان الجيلالي، تاريخ المدن الثلاث، الجزائر المدية مليانة، ط1، الجزائر 1972، ص221.

(4) يحي بوعزيز، مدن تاريخية وهران، ط1، مؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، رغاية، 1985، ص59.

(5) El ouazzani, Op.Cit., P341.

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

ساهم في إنشاء إمارة حقيقية ببجاية، جعل حكامها فيما بعد يتمتعون باستقلالية دائمة، وقد ساهمت في نجدة الأندلسيين المورسكيين الفارين من الاضطهاد الديني في إسبانيا من خلال تسليح العديد من السفن والإغارة على سواحل هذه الأخيرة[1]، حتى جاء العداون الإسباني عليها مطلع القرن 16م.

خارج المدن وفي المناطق الداخلية على السهول والهضاب العليا فتتحكم فيها قبائل حرة خارجة عن أي سلطة منها قبائل دواودة وعلى رأسهم بني عكاز في المزاب والحضنة والمناطق الصحراوية، أما أولاد سالم أحد فروع الثعالبة فنفوذهم كان على سهل متيجة حتى الجزائر.

لغة التخاطب بين الاخوة الأعداء الحفصيين الزيانيين والمرنيين هي الحروب والتهافت على السلطة دفع أبناء الأسرة الواحدة للاقتتال فيما بينهم، والخطر الخارجي يتربص بهم، فالبرتغاليون احتلوا سبتة 1415م، في حملة قادها ملك البرتغال دون خوان DON JOAN مع أبنائه، بينما أبي سعيد يحارب أبي حسون للسيطرة على تلمسان، وقبل ذلك بقليل هاجم الأسبان مدينة تيطوان بقيادة ملك قشتالة هنري الثالث Henri III فقتل نصف سكانها وسبى وأسر النصف الآخر، في الوقت الذي كان فيه سلطان المغرب أبي سعيد يسعى لإخضاع إمارة الزيانيين في تلمسان[2]، واستمر الوضع طيلة القرن 15م ومطلع القرن 16م، ففي المغرب استغل البرتغال حالة الفوضى والحروب الداخلية بين الأدارسة، وبني الوطاس فأستولوا على القصر الصغير 1458م، ثم احتلوا أرزيله وطانجة سنة 1471[3]. وخربوا مدينة أنفا كليا - موقع الدار البيضاء اليوم - فكانت نهاية الأدارسة ، بينما وقع زعيم الوطاسيين محمد الشيخ هدنة مع البرتغاليين لمدة 20سنة وكضمان ترك لهم ولده كرهينة الذي سيعرف بالبرتغالي. تولت الأسرة الجديدة الحكم

---

(1) El ouazzani , Op.Cit., P.361.

(2) احمد توفيق المدني، حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر وإسبانيا 1492-1830، ط3، م.و.ك، الجزائر 1985، ص.66.

(3) وجهت عدة حملات ضد طانجة منها سنة 1437م، انتهت بكارثة للبرتغال، وفي سنة 1458م وجه الفونس الخامس ثلاث حملات باءت كلها بالفشل، لتأتي حملة 1471م، باستعمال أسطول من 477 سفينة، و30000 جندي، وقد ساهم عدد من الجنويين في الدفاع عنها Voir MONLAU : Op.Cit., P.50.

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

في فترة تفتت وشلل السلطة المركزية أمام استقلالية أقاليم المغرب.[1] ليزداد الضغط مع سقوط غرناطة، وبدل أن يوجه الوطاسيون جهدهم لمواجهة البرتغال شجعوا الحروب الاهلية، ومع صعود الأشراف السعديين في الجنوب توجهوا لطلب نجدة العثمانيين.

مشروع الاحتلال البرتغالي كان لأسباب إقتصادية ودينية وفي نفس الوقت بتوجيه من الكنيسة، فالمغرب يوفر القمح، الماشية، لبلد يعاني قلة المحاصيل وفقر زراعته، كما انه تمكن من السيطرة على طرق تجارة الذهب التي كان يتحصل عليها السلطان الحفصي من تجارته مع إفريقيا جنوب الصحراء سعى لتحويل تلك الطرق نحو البحر[2].

التنافس البرتغالي الأسباني على السواحل الأطلسية للمغرب دفعت بهم للاتفاق على اقتسام مناطق النفوذ معاهدة تورديسلاس 1494م، حدّدت حجر باديس المحتمل من الأسبان كحد فاصل بين المملكتين للبرتغال حرية التصرف في المغرب وللأسبان مملكة تلمسان والسواحل الجزائرية، ما عدا ذلك فهناك تعاون مشترك بينهما لخنق وإخضاع المغرب العربي بإقامة التحصينات في المدن المحتلة مما أدى إلى خنق تجارة المغرب الخارجية، دفعت بمدينة سافي إلى إعلان خضوعها لهم سنة 1480م، ورغم قلة التعداد البرتغالي فقد تمكنوا من إقامة محمية في دوكالة بمساعدة عميل لهم يدعى يحي بن تاعفوفت.[3] ليتم احتلال كل من آزمور 1513م، مازغان 1514م وآغوز1519م، وتهديد مراكش والمعمورة 1515م، من جهتهم تمكن الاسبان من احتلال مليلة 1497م، بواسطة الأسطول الذي كان موجّه لحملة كريستوف كلومب الثانية، ثم جاء دور حجر باديس 1507م، تزامن كل ذلك مع اشتداد الصراع بين السعديين والوطاسيين[4]. لينعكس ذلك على الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية فتأثرت الزراعة بهجرة الفلاحين لحقولهم، وتعطلت التجارة لإنعدام الأمن، وفرض حصار

---

[1] شريف إدريس يؤسس إمارة الشاوية في الشمال، أخذ اتباع الحازولي شيخ الطريقة القادرية في المغرب واسمه عمر يسطر على السهول الوسطي، مراكش تادلة والسوس مقسمة لعدة أقاليم، دبدو وتافيلالت مستقلة عن سلطة فاس.

[2] BRIGNON jean, et autres : Histoire du Maroc, 1er ED ,Edition, Hatier, Casablanca, P.172.

[3] قتل سنة 1521 وعلى إثر ذلك تم تجميد سياسة السيطرة والتوسع البرتغالية.

[4] MONLAU : Ibid., P.51.

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

تجاري أوروبي على كل المغرب خشية حصوله على الأسلحة التي كان في حاجة إليها.[1] من الناحية الاجتماعية وقعت مجاعة رهيبة سنة 1521م، دفعت بسكان عبدة بدوكالة إلى بيع أنفسهم واولادهم للبرتغاليين مقابل لقمة العيش، وضل الناس فترة من الزمن يؤرخون بهذه المجاعة[2]. هذا الضعف والفوضى الداخلية قضت على الوطاسيين تدريجيا بصعود أسرة السعديين من الجنوب، منذ المبايعة الأولى لهم سنة 1509م[3]. ورفعهم لواء الجهاد ضد الخطر الخارجي مع توفير الأمن وتوحيد البلاد انطلاقا نحو الشمال، إلى دخول فاس 1554م، وصولا إلى العصر الذهبي لها مع تولي أحمد المنصور الحكم، كما سوف نتناوله في العلاقة بين المغرب الجزائر والدّولة العثمانية.

لم تتأثر المبادلات التجارية بين البلدان المغرب العربي وأوروبا بما فيها إسبانيا حيث حافظت إماراتها على العلاقات التجارية معه منها إمارة الأراغون Aragon وذلك منذ مطلع القرن 15م، وبرشلونة التي استطاعت الحصول على إمتياز صيد المرجان من الحفصيين، على أن الجمهوريات الإيطالية تأتي في المقدمة من حيث النشاط التجاري مع الساحل المغاربي منها جمهورية البندقية "وفلورانس" حيث كان أسطولهما يبحران في فصل الصيف، لكل منهما محطات محددة، وفي آجال معلومة، الأول يبدأ بطرابس، جربة، تونس، بجاية، الجزائر، وهران، باديس، الثاني يمر بتونس، عنابة، القل، بجاية، الجزائر،وهران، حنين، ثم ملاقة في إسبانيا فالعودة على أدراجهما[4].ورغم نشاط القرصنة، والغزو البرتغالي لسواحل المغرب متبوعا بعد مدة بالإسبان، إضافة للحروب بينها وبين فرنسا، كان بإمكانه القضاء على العلاقات التجارية بين ضفتي المتوسط، على العكس من ذلك "فحسان الوزان" يؤكد أنه مطلع القرن 16م، كان للتجار الجنويين وكالات هامة في كل من عنابة تونس، طرابلس،

---

[1] الحرب البحرية بين العالم الإسلامي والمسيحي، دفعت بإسبانيا لمحاولة القضاء على التجارة الأسلحة مع دول المغرب، ساندتها البابوية من خلال منع وحظر بيع الأسلحة للدول الإسلامية، لكنه لم يحترم للأرباح الضخمة التي يمكن تحصيلها، فتجار جنوة كانوا في مقدمة هؤلاء، وقد تمكن البرتغاليون من إلقاء القبض على مجموعة منهم في تاركوكو فعوملوا كخونة وأعداء.

[2] عمر بن عروف: ملامح من الحياة الاقتصادية في المغرب في عهد السعديين"،"مجلة الدراسات التاريخية، ع3، 1987، جامعة الجزائر، معهد التاريخ، ص69.

[3] نفس المرجع، ص68.

[4] MERCIER Ernest. Histoire de l'Afrique septentrionale. T II. Paris. 1888. P.418.

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

وفي سبتة وبقية الموانئ يحملون الصباغة والجلود من القل والحبوب والزبدة من عنابة ويصطادون المرجان على طول الساحل من عنابة إلى تـونس، ومـع مجـيء العثمانيين إلى المغرب الأوسط ستتغير جذريا تلك التقاليد التجارية[1].

لتوضيح درجة الضعف التي وصل إليها المغرب مع نهاية القـرن 15م وبدايـة القرن 16م نورد ما كتبه ف - "بروديل وصفا لتلك الحالة: "لقد كان الشمال الإفريقـي مستودع الرجال الذين كانوا يهبون دوما لنجدة مسلمي الأندلس ضد الأسـبان، وذلـك لغاية سنة 1415م، وبعد إنهيار مملكة غرناطة، طلب الملك" أبي عبد الله" أن ينسـحب مع ذويه إلى بلاد المغرب فتحرج فرديناند وإيزابيلا من ذلك، خشية أن يطلب مددا من الشمال الإفريقي لنجدة المسلمين في إسبانيا، لكن الراهب "خيمينيس" تمكن من إقناعهما بأن لا خطر البتّة بالإقدام على مثل هذا العمل إن جاسوسا من الجواسيس الذين أرسلهم فاردينالد إلى المغرب العربي، قد أرسل إلى ملكه تقريرا مفصلا جاء فيه أن كامل بلاد شمال إفريقيا تجتاز فترة إنهيار نفسي يظهر معها أن الله قد أراد أن يجعل هذه الـبلاد ملكا لصاحب الجلالة المسيحية"[2].

لمحة عن الممالك الإسبانية:

يتمثل العامل الرئيسي الذي أدى إلى توحيد الممالك الإسبانية في الروح الدينيـة الصليبية التي ميزت حروب الاسترجاع ضد المسلمين وطردهم من الأندلس ومكنـت من وضع أسس وحدة سياسية منذ منتصف القرن 13م بظهور مملكة البرتغـال فـي الجزء الغربي من شبه الجزيرة الإيبيرية، ورغم التنافس والاختلاف بين مملكتي قشتالة المتجهة اكثر ضد الوجود الإسلامي والقضاء عليه، والآراغون الساعية إلى السـيطرة على المتوسط بإجاد منفذ لها بلإستيلاء على برشلونة[3]. حيث اسـتولى جـاك الأول الآراغوني (1213-1216) على جزر "البليار" و "فلانسيا"، ثم السيطرة على إمارة نابولي

---

(1) MERCIER , Op.Cit., P.419.

(2) BRAUDEL Fernand, les espagnols et l'Afrique du nord de 1492 à 1577, In, R.A. N° 69, 1928, P.211

(3) MOURRE, Op.Cit., P.341.

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

بعد صراع طويل، على يد ألفونسو الخامس. سنة 1469م تم زواج "فرديناند ملك الآراغون[1]، وإيزابيلا[2] وارثة عرش قشتالة بعد وفاة أخيها الملك وقد ترددت في الاختيار بين الآراغون والبرتغال بعد أن طلبها ملك هذه الأخيرة للزواج، وكان قرارها الأخير مصيريا بالنسبة للممالك الثلاث، على أساس إخضاعها للبرتغال سنة 1483م.

وهكذا تكونت سنة 1474 إسبانية المسيحية الموحدة رغم الصعوبات التي اعترضتها في اختلاف توجه بين المملكتين باستمرار مملكة فرديناند تكريس إهتمامها على البحر المتوسط وإيطاليا بالخصوص، موجّهة في ذلك من قبل ديبلوماسيين وسياسيين ذوي إتجاه تجاري، بينما مملكة إيزابيلا التي يسيطر عليها نبلاء عسكريون لهم نضرة توسعية أكثر عدوانية منذ سقوط غرناطة جانفي 1492م بعد حصارها اكثر من عشر سنوات من طرف الملوك الكاثوليك بمساندة كل أوروبا المسيحية بالرجال والمال والسلاح وفرض البابا على المسيحيين "ضريبة الصليبية" وتنتهي الحرب بانتصار المسيحيين على عوامل الانهيار والاضمحلال التي سادت المسلمين وبالأخص حكامهم.

استسلمت غرناطة بعد حصار طويل في 2 جانفي 1492م، وحصول أهلها على الأمان الذي لم يحترم إطلاقا، وخرج ملكها أبو عبد الله الصغير يبكي وينوح وأمه عائشة تقول له: " أبك مثل النساء ملكا لم تدافع عنه كالرجال"[3].

وذلك في المكان الذي لا يزال يسمى منذ ذلك اليوم، زفرة الأندلسي الأخيرة بإسبانية El ultimo suspiro d'el moro . استنجد المسلمون في الأندلس بالمماليك في مصر لكن ضعف هؤلاء وانشغالهم بضمان ملكهم كان أقوى من نجدة الأندلسيين، أما

---

(1) Ferdinand II le catholique 1452-1516م،ملك الآراغون وصقلية وقشتالة ثم نابولي ابن فرديناند الأول وجيان الثانية JeanneII الأراغونية تميز حكمه بالشدة والقسوة في عهده أسست محاكم التفتيش 1480، لمطاردة المسلمين واليهود وتمسيحهم، كما قام بتدعيم سلطة الملك في مواجهة النبلاء ورجال الدين والكنيسة. أنظر الملحق (2) Dictionario de Historia, Enri Fontamilo, Merino, Madrid, PP.218. – Mourre, P.380.

(2) Isabelle 1er la catholique 1451-1504، ملكة قشتالة (1474-1504 ورثت العرش بعد وفاة أخيها Henri IV لم يكن لزوجها فرديناند IIاسلطه على إماراتها، أعادت إنشاء محاكم التفتيش 1481 حصلت مع زوجها من البابا الإسكندر VI على لقب ملوك الكاثوليك بعد سقوط غرناطة 1492. أنظر الملحق (2) GRAN ENCICLOPIDIA, Planeta, Tomo G, Espàna, 1988 Ferdrand II, P.4302. Isabelle LAROUSSE, Tomo Esquela, gorgonzola, Ed, I, P.5940

(3) مولود قاسم نايت بلقاسم: شخصية الجزائر الدولية وهيبتها العالمية قبل 1830م، ط1، دار البعث، الجزائر، 1985، ص.55.

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

الدول العثمانية فهي على جبهتين، الدول الأوروبية شمالا على الحدود البيزنطية، والخطر المغولي من الجنوب، لم يعد لهؤلاء الفارين من بطش الرهبان والكنيسة ومحاكم تفتيشها[1] سوى المغرب الإسلامي، وتطلع ملوك الإسبان لهذا الأخير بإعتباره القاعدة الأساسية لقوة المسلمين التي انطلقت منها الفتوح لبلاد الأندلس والتي استمرت سندها الرئيسي طيلة حكم المسلمين لها، وملجأ الموركسيين المنشطين لحركة الجهاد البحري للإغارة على السواحل الأسبانية[2]. رغم كل التناقضات التي ميزت العلاقات الأندلسية المغربية في بعض الفترات.

وعن أوضاع إسبانيا الداخلية أي العلاقة بين المملكتين مع رغبة فرديناند ومحاولته فرض الإصلاحات على مملكة قشتالة بتدعيم سلطته في مواجهة النبلاء والكنيسة والتي أدت إلى مواجهات وتركت أحقادا مزمنة.

كلا المملكتين احتفظتا بمؤسساتها الخاصة مثلما هو الحال للدول التي خضعت لهما في أوروبا رغم المجهودات الدائمة لإقامة حكم مركزي، واستمر الوضع على حاله في عهد شارل كوينت وفيليب الثاني وخلفائهما، وبقيت الأقاليم تدافع بكل قوّة على امتيازاتها. من ذلك أنه بعد وفاة إيزابيلا 1504م، كاد فرديناند يفقد عرشه وسلطانه لولا جنون ابنته جيان Jeanne الوريثة الشرعية لمملكة قشتالة، ووفاة زوجها فيليب الجميل سنة 1506، واستمرار الخلاف بين فرديناند وحكومة الوصاية على عرش قشتالة، مع إمكانية أن يولد لفرديناند وريثا لعرش الأراغون لا علاقة له بقشتالة، وحرمان أحفاده من إيزابيلا "شارل" وفرديناند فون هابسبورغ من العرش[3]. كل ذلك أخر نوعا ما المشاريع التوسعية في الضفة المقابلة للمتوسط وخصوصا الجزائر، ثم هناك إكتشاف كريستوف كولمب العالم الجديد الذي جلب منذ أوائل القرن السادس عشر النبلاء

---

(1) محاكم التفتيش تأسست على يد فرديناند وإيزابيلا 1480،1481م مهمتها الأولى مطاردة المسلمين واليهود والمسيحيين فإن رفضو فالتهجير وقد استمرت إلى سنة 1610م، وساهمت في تحويل المساجد إلى كنائس وأحرقت العديد من المكتبات الإسلامية باسم النهضة الأوروبية ومدينتها.

(2) عبد الواحد ذنون طه، حركة المقاومة العربية الإسلامية في الأندلس بعد سقوط غرناطة، ط1، دار الشؤون الثقافية، بغداد، 1988، ص.17.

(3) جون. ب- وولف: الجزائر وأوروبا، ترجمة، أبو قاسم سعد الله، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986، ص.25.

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

الراغبين في الثروة والسلطة عبر الأطلسي. من جهة ثانية كان إهتمام فرديناند والجزء الأكبر من أهل الآراغون بإيطاليا وبالنزاع الذي كان يتطور هناك بين الدول الأوروبية خصوصاً فرنسا وإسبانيا للسيطرة على صقلية ونابولي، فشارل الثامن[1] ملك فرنسا كان يطالب بسيادته على هذه الأخيرة.

تدخل ألمانيا في الصراع بقيادة مكسيميليان دي هابسبورغ[2] من خلال دوقية ميلانو فعمت الحروب أوروبا، مع تشكيل تحالف إسباني، ألماني إنجليزي إضافة لجمهورية البندقية تحت توجيه البابا "يوليوس الثاني" الذي شكل من هؤلاء العصبة المقدسة، ضد فرنسا وكانت النتيجة هزيمة هذه الأخيرة وتدعم موقع وقوة إسبانيا، ومهد ذلك لقيام اعظم إمبراطورية في التاريخ الأوروبي بقيادة شارل كوينت Charles quint حفيد ماكسيملیان إمبراطور ألمانيا، وفرديناند ملك إسبانيا. رغم ذلك فالسياسة العدوانية لملوك إسبانيا استمرت ضد الجزائر على الخصوص متذرعين بمحاربة القرصنة.

2- العدوان الإسباني خلال القرن 16م أسبابه ودوافعه

منطقيا أن نجد مقدمة دوافع الهجمة الإسبانية على السواحل الجزائرية الدافع الإقتصادي التجاري مع التقليل من أهمية الدافع الديني وقد لا نجد له ذكر في الكتابات الغربية، وقد يفسر ذلك بنضرة الغرب للكنيسة أو الدين ودورها في انحطاط أوروبا طيلة القرون الوسطى بممارسة ورعاية النظام الإقطاعي وانعكاساتها إجتماعيا وفكريا على الخصوص، ثم كان ظهور المدن وازدهار النشاط التجاري والعمراني، الذي تزامن مع الكشوفات الجغرافية منذ النصف الثاني من القرن 15م، وبداية العصر

---

(1) شارل الثامن Charles VIII 1470-1498، ملك فرنسا 1483-1498 تولى الحكم وعمره 13 سنة خاض الحروب الإيطالية 1494، وانهزم فيها أمام العصبة المقدسة، لم يترك وريثا للعرش خلفه ابن عمه دون أورليان وحكم باسم لويس Louis XII.
MOURRE. op.cit : P.183.

(2) ماكسيمليان الأول Maximilien 1er 1459-1519امبراطورية ألمانيا 1519/1493 ضم هولندا لنفوذ الهابسبورغ بالمصاهرة، دخل في حروب مع ملك فرنسا، وسع حدود إمبراطورية بظم بوهيميا والمجر، وعرش إسبانيا بزواج ابنه فيليب وجيان المجنونة، كان وراء إصلاحات هامة، يعتبر المؤسس الحقيقي للقوة النمساوية ترك لحفيده شارل كوينت إرث عظيم يتمثل في نصف أوروبا.
MOURRE. op.cit : P.730

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

النهضة باعتبار الثروة والمال الوسيلة الأولى للتغير والمحرك والموجه لكل المشاريع بما فيها التوسع الاستعماري الذي سيساهم بدوره في توفيره عن طريق المستعمرات.

فالحديث عن الأسواق، الطرق التجارية التوابل كانت أكثر المصطلحات استعمالا للدلالة على الحركة الاستعمارية، لكننا نضيف لها بقاء الكنيسة المسيحية ومن ورائها البابوية ولقرون أخرى هي المحدد والموجهة وحتى المنفذ لمشاريع الاحتلال، فثرواتها وممتلكاتها مرتبطة ارتباطا عضويا بتقديم السند والدعم لملوك وأباطرة أوروبا في مشاريعهم[1]، وهذا ما ينطبق على العدوان الإسباني على السواحل الجزائرية.

أ)الأسباب الدينية:

إن زواج فرديناند وإيزابيلا تم بمباركة البابوية ورعايتها وهي التي منحتهم لقب الملوك الكاثوليك بعد سقوط غرناطة في عهد البابا ألكسندرVI[2]. حتى أن إسبانيا برمتها موجهة بانتصارها الديني على المسلمين. ومدفوعة بالروح الصليبية للكاردينال فرانسيسكو خيمينس دي سيسنيروس الذي كان وراء المشاريع التوسعية في الجزائر وقد كان ذلك حلم إيزابيلا التي ماتت سنة 1504م. وهي تحضر للحملة على المرسى الكبير[3] لكن أجلها سبقها، وتركت وصيتها: "أنه لا ينبغي إيقاف غزو إفريقيا، ولا الصراع ضد الكفار المسلمين من اجل العقيدة"[4] وفعلا احترم الكاردينال[5] تلك الوصية وتم احتلال المرسى الكبير اكثر من ذلك فأثناء الحملة على وهران قام بتجهيزها

---

(1) طيلة القرنين 15 16م مثلت الكنيسة الكاثوليكية أكبر مؤسسة إقطاعية في إسبانيا وأكبر المستغلين للارض والمال مثلا 1/10 عشر أملاك مدينة سيفيل هي ممتلكات الكنيسة، وتعتبر كاتدرائية هذه المدينة ثاني اكبر كتدرائية قواعدها في العالم المسيحي بعد كتدرائية سانت بيار Saint pierre في روما. وقد دفن فيها كريستوف كولوب استعملت لكنيسة الهنود الحمر في المكسيك كعبيد لاستخراج الذهب ليستعمل في تزيين كتدرائية سيفيل. JOSEPH PEREZ: Le España del siglo XVI. Anaya. Madrid. 1991. P.55.

(2) ألكسندر Alexandre VI 1431-1503، بابا 1492-1503، كاردينال 1455-، قام بشراء منصب البابوية وانفق بأموالها على عائلته، وانشأ عصبة البندقية ضد ملك فرنسا أشرف على اتفاقية تورد يسيلا بين إسبانيا والبرتغال. MOURRE : op.cit: P.15.

(3) MIKEL de Epaza. JUANE. BTA vilar: <u>Plans et cartes de l'Agerie XVI. XVIII eme sciecle.</u> volume I. Madrid. 1988. P.75.

(4) جون - ب - ولف، نفس المرجع، ص.25.

(5) Ximénez de Césneros (1436-1517)، كاردينال ورجل سياسي إسباني جعلته إيزابيلا كاتم سرها 1492، ليمارس تأثير خاص عليها وعلى شؤون الدولة، ساهم بقسط كبير في الاضطهاد الديني الذي تعرض له مسلمو الأندلس، بعد وفاة إيزابيلا أصبح الوصي على شؤون قشتالة في انتصار بلوغ شارل كوينت سن الرشد، ساهم في إنشاء محاكم التفتيش.أنظر ملحق (2) Diccionario de Historia: op.cit: P.119.120. MOURRE. P.1217.

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

بأمواله الخاصة في وقت كانت خزينة اسبانيا تعاني من عجز بسبب حروبها الوراثية في أوروبا فما كان منه إلا إفراغ خزائن الكنائس والأديرة لإنجاح حملته[1].

ثم جاء فيليب الثاني خليفة فرديناند ليواصل سياسة التوسع لملوك إسبانيا شعاره: "استإصال هذا العنصر الذي لا يمكن تمسيحه"[2]، ولإبراز الدافع الديني لا بد من الإشارة إلى أن المشاريع الإسبانية استهدفت التصدي للدولة العثمانية الساعية لضم بلاد المغرب داخل إطار الخلافة الإسلامية، فإسبانيا بتحكمها في صقلية ونابولي فهي إذن في الصفوف الأمامية للمسيحية، مع فرديناند خرجت الحملات الصليبية من شبه الجزيرة الإيبيرية ليس من أجل السيطرة على الشمال الإفريقي ولا على العالم الجديد فقط وإنما فوق كل ذلك احتلال موقع يبرزها أمام الجميع أنها قلب المسيحية المهددة وهي ايطاليا.

كما ساهمت الكنيسة البابوية في لعب دور الوسيط بين الإسبان والبرتغال على تقسيم مناطق توسع واحتلال كل منهما، ولتفادي أي مواجهة بينهما قد تقضي على مشروع الكنيسة في تمسيح العالم.

ب)أسباب سياسية إقتصادية

توحيد إسبانيا سياسيا دفع بملوكها إلى التفكير في إنشاء إمبراطورية واسعة الأرجاء خصوصا مع صعود شارل كونيت الذي كان يعتبر نفسه سيد العالم، وأنه مكلف بمهمة ربانية بتكليف من الكنيسة، التي تربي في أحضانها وعلى هذا الأساس رشح نفسه لتولي منصب إمبراطور ألمانيا، ونافسه فرنسوا الأول ملك فرنسا لنفس المنصب، لكن أمراء ألمانيا اختاروا أول لإعتقادهم بقدرته على حمايتهم من الدولة العثمانية، وكانت النتيجة هزيمة الفرنسيين في ايطاليا وخضوع هذه الأخيرة لإسبانيا لأكثر من قرن.

---

(1) MARIUS Bernard. Autour de la Méditerranée . les Côtes Barbaresque d'Alger à tanger. Paris. P.187.

(2) MORTEL Alfred. Patis : L'Espagne au XVI et XVII . siècle. Madrid .1878. P.5.

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

كما أن ابنه وخليفته فيليب الثاني، قاد أيضا سياسة عظمة وتوسع وكان مشروعه الهيمنة على كل حوض البحر الأبيض المتوسط من خلال وضع أسس احتلال استيطاني[1].

إن إختيار وهران والمرسى الكبير لانطلاقة المشروع لأنهما يمثلان مينائي إمارة تلمسان وهذه الأخيرة تعتبر بوابة رئيسية نحو الإمارات الإفريقية جنوب الصحراء حيث تعبر منها كميات ضخمة من السلع[2]. وقد كانت محطة هامة للتجار القادمين من جنوة والبندقية، وفي الوقت نفسه إحتلال الساحل الشمال الإفريقي سيمكن إسبانيا من خلق طريق بحري يرتكز على ذلك الساحل ويمتد من مدينة سيفيل الإسبانية إلى صقلية الغنية بالقمح مصدر غذائها الرئيسي.

بدوره فرديناند الآراغوني منجذب نحو المتوسط لارتباطه بماضيه وتجربته البحرية على تلك السواحل وطرق الملاحة المتحكمة في ممتلكاته في جزر البليار، سردينيا وصقلية والجميع منجذب نحو البلد الغني بثرواته إيطاليا، فعندما احتل نابولي 1503م مكنه من التحكم في موقع استراتيجي هام جدا لمشاريعه المستقبلية سواء المرتبط بسياسة التوسع في البحر الأبيض المتوسط أو الوقوف في وجه المد الإسلامي.

ج) أسباب عسكرية: القرصنة ومطاردة الأندلسيين

بقيت القرصنة تمثل دافعا رئيسيا للسياسة الإسبانية ضد الجزائر، ولرفع أي التباس نحاول توضيح الفرق بين البحارة والقراصنة. يعرف جون. ب. وولف: "القرصان بالشخص الحرفي النهب، ولا يعترف بأي سلطة فوق إرادته الخاصة فكان يهاجم بدون تمييز سفن أي دولة، وكان هدفه الوحيد هو النهب، ولكن رياس البحر كانوا أشخاصا موكلين من غيرهم للقيام بهذه المهمة ولم يشنوا حربا إلا على أعداء أميرهم أو إلههم... ومهمته تعطي طابع الشرعية لنشاطه، أما غنائمه فينظمها الأمير التابع له" [3].

---

(1) AUPHAN Paul: Histoire de la Méditerranée , Paris , 1962, P.168.

(2) El ouazzani, op.cit ; P.324.

(2) جون. ب. وولف، نفس المرجع، ص179.

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

أما د/ مولاي بلحميسي في كتابه تحت عنوان تاريخ البحرية الجزائرية فيقول في الموضوع:. "القرصان Le pirate يسعى في بحار لحسابه الخاص، دون أن يحصل على ترخيص من حكومته، إنه ليس سوى لص مسلح، أما البحار القرصان Le Corsaire فهو مقاتل نظامي، قناص في البحر يهاجم سفن أعداء أمته ليحصل منها على نصيب معلوم، وعلى سفينته علم بلده، إذن القرصنة La Course هي فرع من البحرية الحربية تستعمل فقط في حالة الحرب"[1].

وتذكر دائرة المعارف الفرنسية الكبرى: "كانت الحكومات فيما سلف تسلم أوراق رسمية للقراصنة، فتكسبهم بذلك صيغة مشروعية تميزهم عن لصوص البحر الذين يباشرون مهنتهم باستمرار، بينما القراصنة لا يعملون إلا مدة الحروب فحسب"[2].

وترجع البداية الأولى للقرصنة La Course إلى الهجرة الجماعية لمسلمي الأندلس نحو أقطار المغرب وعلى رأسها الجزائر، منذ سقوط إشبيلية في يد الإسبان 1371 كان البحارة المسلمون إنطلاقا من المرية Almeria يجوبون بحار و سواحل الدول المسيحية، تتطلب إستعمال أساطيل كاملة للتصدي لهم، وبفضلهم تمكن المغاربة من إتقان الملاحة والقرصنة، وكان ضحاياهم سفن بريطانية وهولندية، فرنسية وألمانية تمر عبر مضيق جبل طارق متجهة نحو الشرق وبعد سقوط غرناطة أخذت السفن الإسبانية تطارد القراصنة المغاربة متخذتا منها ذريعة للإعتداء على سواحلهم، ثم جاءت ثورة جبال البشارات Las Apujarras 1499-1502[3]، وتخير المشاركين فيها من أهل غرناطة بين التنصير والنفي[4]، فكان أن اختارت الأغلبية الهجرة إلى أقاليم المغرب العربي، وبالنسبة لهؤلاء المسلمين فالقرصنة هي جهاد بحري ضد الصليبين، لتأخذ بعدا إنسانيا لانقاذ آلاف المسلمين الفارين من إسبانيا بعدما زحفوا من شمالها إلى جنوبها وتطلعهم

---

(1) BELHAMISSI Moulay : Histoire de la marine Algérienne, 1516-1830, 1er Ed , Enal, Alger, 1983, P.144.

(2) ENCYCLOPOEDIA Universalis, Paris, france, S/A, 1990, P.2730.

(3) تسبب فيها الكاردينال خيمينيس Ximenes لإجبار الموركسيين على اعتناق المسيحية ومنع أي تقارب مع المغرب الإسلامي. فجمع عشرات الآلاف من الكتب وأكثر من 80 ألف مخطوط وقام بإحراقها. أنظر د/ عبد الواحد ذنون طه، نفسه، ص ص. 18.20.

(4) PANELLA Juane : Le transfert des moriscos espagnoles en Afrique du nord ,une études sur les moricos andalous en Tunisie , publées par M . De EPALZA, et PETIT, tunis, 1973, P.97.

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

نحو الإسلام المجاور، فقد كانوا في حالة ثورات مستمرة بمساندة إخـوانهم مـن المغرب، وبعد نصف قرن من محاولات الإسبان تنصيرهم تأكدت بأنها تملك الأجساد لكن الأرواح هؤلاء تبقى حرة وغير خاضعة لهيمنتها[1].

وزاد من عداوتهم لإسبانيا قرار تمسيحهم بالقوة سنة 1502م على يد كاردينـال وحاكم قشتالة آدريان دوترشت Adrian d'utrecht الذي سيصبح البابا آدريان Adrian VI[2]

استقر هؤلاء المهاجرين في مدن المغرب منهم من أندمج بإنشاء ورشات لصناعة الأسلحة، الأقمشة والمصنوعات الجلدية، البعض الآخر انطلق إلى البحر، علـى مـتن سفن من نوع الفرقاطة إذ كانوا يجهزونها، وإنطلاقا من وهـران، الجزائـر وبجايـة يهاجمون سواحل كتالونيا جزر إيبيزة مايوركا وقد وصلت إلى نابولي سردينيا وصقلية ووصلت جرأة هؤلاء البحارة أنهم كادوا يلقون القـبض علـى البابـا ليـون Léon X فساهموا في إنعاش الساحل المغاربي، وبفضلهم أصبحت الجزائر عاصمة القرصنة منذ القرن 14م، وفي وقت انفتح البحر أمامهم مع منتصف القرن 15م، وازدهـار المـدن والتجارة إضافة لذهب أمريكا عبر الأطلسي.[3]ومع مجيء الإخوة بربروس انتظمـت الأمور أكثر ونشطت البحرية الجزائرية جاعلة مهمتهـا الأولـى إنقـاذ الأندلسـيين، وخصوصا بعد ثورة جبال البشارات حيث جهّز خير الدين 36 سفينة ساهمت في إنقاذ الآلاف منهم.

ولوضع حد لنشاط البحرية الجزائرية، وما سببته للإسبانيا مـن خسـائر ماديـة وبشرية بالإغارة على سواحلها، كان التوجه لخنقها من خلال احتلال أهم المدن التـي بدون موانئها لا يمكن الحديث عن نشاط بحري.

---

(1) AUPHAN Paule, op.cit; P.13.
(2) MIKEL de EPALZA et autre, Plans, op.cit; P.73.
(3) M BELHAMISSI, op.cit ; P.145.

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

الفصل الثاني

مراحل الإحتلال الإسباني للسواحل الجزائرية

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

بداية العدوان الإسباني على سواحل الجزائر لم تكن من المرسى الكبير ووهران، وإنما مباشرة بعد سقوط غرناطة، حيث كلف فرديناند أحد الجواسيس ويدعى بـاديلا L. Padilla للتوجه إلى مملكة تلمسان أين قضى سنه وهو يتجول متستر في هيئة تـاجر واقترح في تقريره إمكانية احتلال كل المنطقة الممتدة من مليلة حتى الجزائـر، لكـن خطته رفضت وتأجلت المشاريع بسبب وفاة إيزابلا 1504م[1]. لم يمنـع ذلـك السـفن الإسبانية من محاصرة سواحل إمارة تلمسان سعيا للحد من نشاط البحـارة المغاربـة، وفي كثير من الأحيان كانت تتم عمليات إنزال بري للجنود الإسبان فيقومون بـهجومات Razzias حتى أسوار المدن المحصنة[2]. ففي جوان 1502م هجوم إسباني يختطف قافلـة قرب أرزيو متجهة من مستغانم إلى وهران، وفي سبتمبر من السنة نفسها قيام أسطول من مايوركا بهجوم على شرشال أين تمكن من أسر 300 رجل وحرق المدينة[3].

1- احتلال المرسى الكبير 1505م:

كان الكاردينال خيمينيس الموجه وحتى المنفذ للمشاريع التوسعية الإسبانية علـى المدن والموانئ الجزائرية بمباركة العرش الآراغوني، ووقع الاختيار علـى المرسـى الكبير كنقطة إنزال تحت نصيحة جيرونيمو فبانيلي، وهو جاسوس إيطالي من البندقيـة جاء إلى وهران متسترا ومنتقلا في نواحيها فوضع خريطة لمدينة وهـران والمرسـى الكبير[4] وكانت مكافئته قيادة جزء من الأسطول الإسباني وقاد الحملة دييغو فرنـانديز دي كوردوبة Diego Fernandez de Cordoba[5]، وكان الأسطول مشكلا مـن 150 سـفينة مختلفة الأحجام و 5000 جندي، وتحرك في أوت 1505م، لتأخر وصولـه إلـى شـهر سبتمبر بسبب الرياح العكسية التي جعلته يحتمي بميناء Alméria، وهذا ما دفـع عـدد

---

(1) SANDOVAL (D), les inscription d'oran et de Mers El Kebir, R.A, 1871, P.178.

(2) قنبلة البرتغاليون المرسى الكبير سنة 1501، ثم تعرض لمحاولة لإحتلاله سنة 1503م من طرف الهولنديون دون تحقيق أي نتيجة.

(3) GARROT Henri : Histoire général de l'Algérie, Alger, P.346.

(4) MIKEL de EPALZA, et autres, Plans, op.cit; P.75.

(5) CAZENAVE (J), Les gouverneurs d'oran pendant l'occupation espagnole de cette Ville, Bull, SGAO, année 1924, P.44.

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

كبيرا من الجزائريين الذين هبوا للدفاع عن الميناء للإنسحاب اعتقادا منهم أن الإسـبان تخلو عن المشروع. جاء إنزال الجنود الإسبان ليـلا وتحديـدا فـي كـاب فـالكون Cap Falcon مكّن المهاجمين من حصار الموقع وعزله عن داخل البلاد لمدة فـاقت 50 يوما وسقطت في أكتوبر رغم المقاومة الباسلة لحامية المرسى الكبير وعلـى رأسـها قائدها الذي صمد ثلاث أيام قبل أن يستشهد، وسلم الحصن بعد ذلك وبشروط مشـرفة لتصل النجدات من تلمسان والمناطق المجاورة لها متأخرة وتكمن الإسبان من التحصن داخل أسوار المرسى حيث نصبوا مدفعيتهم التي منعت تقدم الجزائريين.

أول عمل قام به دي كوردوبا تحويل الجامع الكبير إلى كنيسة، وأقـام بـها أول قداس، ثم أمر بترميم الأضرار التي لحقت بالمرسى[1]. وكان احتلال هذا الأخير فـي عهد السلطان الزياني أبي حمو موسى الثالث الملقب ببوقلمون[2]، استعمل الإسبان شتى الأساليب لإضعاف سلطة الزيانيين في تلمسان، من خلال دفع أبنائها للتنافس والاقتتـال على الملك، والسيطرة على إمارة تنس.

2- هزيمة الإسبان في مسرغين 1507م:

بسبب الحصار المضروب على المرسى الكبير قرر القائد الإسباني القيام بهجمات على المناطق المجاورة الهدف منها توفير الحبوب والحيوانات، واسـتغلال الأراضـي الزراعية القريبة مع تعويد جنوده على أساليب القتال، فجاء خروجهم إلى مسرغين التي تبعد عن وهران بـ12 كلم إلى الجنوب في جوان 1507م بمساعدة العملاء من قبيلتـي قنزة وبني عامر ونجح الإسبان في غارتهم وما صاحبها مـن سـلب ونـهب، لكـن الصعوبة كانت في العودة ليتم حصارهم بالمقاومين من المناطق المجاورة فـاضطروا للفرار تاركين غنائمهم لكن المطاردة استمرت وحوصروا بوصول النجدات القادمة من وهران فقضى تقريبا على تعداد الجيش الإسباني فقتل منهم 3000 جندي[3]، ولم ينجـو سوى دي كوردوبا الذي إلتحق بجنوده داخل المرسى الكبير والمقدر عددهـم بـ500

---

(1) BERBRUGGER (A), Mers El Kebir, Tra suarez MONTANES, in ,R.A. N°9, 1865, P.350.

(2) بوعزيز يحي، نفس المرجع، ص ص. 64.65.

(3) GARROT (H), op. Cit ; P.348.

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

جندي ولولا النجدات القادمة من إسبانيا والمدفعية لتمّ تحرير المرسى الكبير ولم يغلمر حاكمها للخروج بعد ذلك.

3- احتلال وهران 1509م:

قام الكاردينال خيمينيس بدور كبير في التحضير للحملة على وهران وكان فرديناند قد عينه منذ 1508م قائدا عاما للحملة[1]، بينما عين على رأس الأسطول دون بيدرو نافارو Don Pedro Navaro، وبلغ مجموع قطعة 90 سفينة من مختلف الأحجام على متنها أربعة وعشرون (24) ألف جندي منهم أربعة آلاف فارس، وكان تحرك الأسطول في منتصف شهر ماي 1509م[2]، ووصلت بسرعة لمرفأ الكبير بحيث لم تسمح لحامية وهران بتنظيم دفاعها واستولت عليها، وقد ساهمت المعلومات التي قدمها فيانيللي عن أوضاع المدينة وتحصيناتها، وعدد السكان ونظام دفاعها واعتمادا على كل ذلك وضعت الخطة للاستيلاء على المدينة بتنسيق بين فرقة المرسى الكبير، والقوات القادمة من إسبانيا، وحسب المصادر الإسبانية نفسها فقد فشل الهجوم الأول، تسبب في تحطيم العديد من سفن الأسطول، وما تبعها من فوضى من جراء هبوب عاصفة هوجاء صعبت من إنزال الجنود، ورغم ضعف التنظيم وقلته فقد تمكن المدافعون عن المدينة من صد المعتدين، على أن الهجوم الثاني أدى إلى سقوطها إثر خيانة أحد اليهود المدعو سيتورا Cettora الذي كان يعمل لحساب حاكم المرسى الكبير، فقام بفتح أحد أبواب المدينة والمعروف بباب مونة وتسليمه للقوات الإسبانية[2] ، لقد كانت أوقات رهيبة لسكان المدينة فكل المصادر الأوروبية منها على الخصوص تؤكد وحشية الجنود الإسبان من ذبح وتقتيل للشيوخ، الأطفال والنساء دون تمييز وقد بلغ عددهم 4000 قتيل،

---

[1] كان الهدف منها الوفاء لوصية إيزابيلا ووسيلة للتحرر من ضغط المسلمين على ايطاليا وإسبانيا، وإلهاء الرأي العام في قشتالة عن الصعوبات الداخلية، في وقت لقي فيه معارضة شديدة لسياسته من طرف النبلاء وبتشجيع سري من الملك فرديناندII. MIKEL de EPALZA. et autres. plans. op.cit ; P.75

[2] Gouvernement générale de l'Algérie, quatre ville d'Alger, oran, constantine, bone, Alger ,1954, P.18.

[3] لعب اليهود دورا خطيرا في تاريخ هذه المدينة، فبعد طردهم من اسبانيا 1492 ثم من البرتغال 1496 استقبلتهم المدن المغاربة ومنها وهران حيث أصبحوا في ضرف وجيز هم الوسطاء التجاريون في التعامل مع الجمهوريات الإيطالية، بعد احتلال الإسبان للمدينة قاموا بترحيلهم منها خوفا من انقلابهم عليهم.

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

وسبي أكثر من 5000 مما دفعت بأحد هؤلاء الكتاب للقول: "بأنها لم تكن مــهما كــانت الأسباب إرادة الله"[1].

ونهبت المدينة من تحف ونفائس وكتب نادرة شحنت إلى إسبانيا، وتم تحريــو 300 أسير مسيحي، من جهته قام الكاردينال خيمينيس بتحويل مسجدي المدينة إلى كنيســتين، مع تحصينها لجعلها مركزا حربيا لمواصلة مشاريع الاحتلال والتوسع، كما قام بإستقدام عائلات مسيحية تمتهن الزراعة من أجل إقامة مستوطنات وتعمير المدينة كليا بالعنصر المسيحي[2]. وهكذا تم إرسال 600 عائلة من إسبانيا للاستقرار في وهران مقابل تجنيــد كل الذكور في الخدمة العسكرية، إضافة لذلك فقد قرر الكاردينال تــرك حاميــة فــي وهران من 2000 جندي من المشاة، 300 من الرماة، ومن يقبل منهم البقاء خارج أسوار المدينة فيعفى من دفع الضرائب، إن المشروع الإسباني كان يــهدف لإقامــة أنظمــة عسكرية على شاكلة فرسان القديس جان Jean في بيت المقدس، وذلك داخل كل مدينــة أو موقع يتم احتلاله. بعد رجوع الكاردينال إلى إسبانيا تم تعيين دييغــو فرننديــز دي كوردوبا Diego Fernandez de Cordoba كحاكم عام لوهران وقــاعدة المرســى الكبــير ومملكة تلمسان، ودخل هذا الأخير في مفاوضات مع العديد من القبائل الداخلية، وأقــام معها تحالفات[3]. كما تم مكافئة اليهوديان سيتورا وبن زهرة بأن أوكلا لهما اســتخلاص الضرائب والغرامات من السكان، من جهته اعترف أبي حمو الثالث الزيــاني بتبعيتــه للإسبان وقبوله دفع جزية سنوية مقدارها 12 ألف دوقية[4] وهدايا أخرى، وقبل اختتــام حديثنا عن احتلال وهران لابد من الإشارة للمقاومة الباسلة للمدافعيــن عــن وهــران مستشهدين باعترافات المؤرخين الإسبان أنفسهم عن صعوبة ومشــقة المهمــة يقــول مارمول Marmol : "اعتقد أن غزو وهران كان مشقة كبرى وصعبة مما كنت أظــن".

---

(1) أنظر ملحق (2) BERNARD (M), souvenirs de l'expédition de ximenes en Afrique, in R.A. 1861, P.65.

(2) LESPES (Réne). Oran étude de géographie et d'histoire urbaines, presse, fantana, Alger, P.65.

(3) BERBRUGGER (A), Mers El Kebir et Oran de 1509 à 1608 d'apres Diego suares MONTANES, In, R.A, N°10, 1866, P.197.

(4) أحمد توفيق المدني، نفس المرجع، ص.113.

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

ويقول زوريتا Zurita: "لقد كان هذا النصر (احتلال وهران) معجزة من الله وبفضل عبادات الكاردينال"[1].

4- احتلال بجاية وإقامة حصن البينيون مقابل مدينة الجزائر 1510م:

بعد احتلال وهران وصلت الأوامر لقائد الأسطول بيدرونفارو بالتوجه إلى بجاية لإخضاعها، مع حصوله على لقب حاكم المغازي Les conquêtes الإسبانية في إفريقيا، تاركا تسيير شؤون وهران لدييغو دي كوردوبا Diego de Cordoba، فخرج على رأس أسطول متكون من 14 سفينة على متنها 8000 جندي وأرسل له فيانيلي كمساعد له ومعه مجموعة من السفن. فبجاية آنذاك تمثل إحدى أهم المدن الجزائرية بنشاطها العلمي والتجاري والعمراني والبحري نظرا لإشرافها على ميناء هام جدا ساهم في كل ذلك وصول أعداد كبيرة من الأندلسيين الفارين من الاضطهاد الديني في إسبانيا. فجأة أطل الأسطول على ميناء المدينة وتم إنزال الجنود ليلا، ليبدأ الهجوم مع طلوع الفجر، وقد تمكن الإسبان بفضل مدفعية السفن المصوبة نحو تحصينات المدينة من فتح فجوة في السور المحيط بها فمكنهم من تسلل عبره والسيطرة على المدينة، رغم المقاومة الشديدة لسكان المدينة والمدافعين عنها وعلى رأسهم حاكم قسنطينة الحفصي عبد العزيز[2]. لكن المعركة حسمت لصالح الإسبان وأبيحت المدينة للجنود فخربوها وقتلوا أكثر من 4500 من سكانها، ويفسر ضعف الدفاع بقوة المدفعية الإسبانية التي دفعت بآلاف المقاومين للصعود إلى مرتفعات "يماقوراية" المشرفة على المدينة لتنظيم أنفسهم استعدادا لمواصلة المقاومة. وكانت أولى أعمال الإسبان بناء قلعة قرب البحر، وإصلاح حصن قديم يطل على البحر قرب مخازن السلاح[3]. كما قاموا بإطلاق سراح عبد الله وتنصيبه على رأس المدينة مع إعلانه الولاء والطاعة لهم والهدف من تلك

---

(1) SALVA Jaime : La orden de malta y las acciones abuales espagnolas contra turcos. y berberiscos. en los siglos XVI y XVII Madrid. 1944. PP.64 65.

(2) إضافة لتوليه حكم قسنطينة ثار عبد العزيز على ابن أخيه عبد الله حاكم بجاية وتولى شؤونها مستقلا بالمدينتين عن تونس.

(3) EL OUAZANNI. op. cit : P.360.

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

المناورة إضعاف المقاومة بتقسيمها بين موالين لهذا الأخير والمساندين لعمه عبد العزيز.

سقوط وهران ثم بجاية في ظرف قصير يضاف لها عنف الهجومات الإسبانية والمعاملة القاسية للأهالي أحدثت موجة من الرعب والخوف على طول الساحل الجزائري وأسرع العديد من حكام المدن ومشايخها نحو فرديناند معلنين الطاعة والخضوع لسلطانه وعلى رأسهم وفد مدينة الجزائر الذين وقعوا معاهدة الاستسلام بدل الوقوع تحت الحصار متذرعين بانعدام نظام دفاعي بما فيها المدفعية. ففي 31 جانفي 1510م توجه سليم التومي بصفته شيخ مجلس الأعيان إلى بجاية معلنا ولائه للقائد الإسباني بدرونافارو، وقد طلب منه هذا الأخير دفع ضريبة باهضة، وإطلاق سراح الأسرى المسيحيين، وقبول بناء حصن على تلال الجزر المقابلة لمدينة الجزائر، كما اشترط عليه الذهاب شخصيا رفقة مولاي عبد الله حاكم مدينة تنس إلى إسبانيا متعهدين أمام فرديناند بتنفيذ تلك الشروط.[1] وقد تكون مطابقة للمعاهدة المفروضة على مدينة مستغانم والتي تنص على أن السكان العرب واليهود مجبرون على خدمة ملك القلعة بوفاء وإخلاص، ويدفعون الضرائب والغرامات المفروضة عليهم وذلك في أول جوان من كل سنة، وتحول تلك الأموال إلى أمين خزينة وهران دون تزوير غش أو نقصان. كما نصت أيضا على تحرير الأسرى المسيحيين في كل من مستغانم ومزغران، كما لا يمتنع السكان أو يرفضوا بيع الجنود الإسبان ما يحتاجونه من مواد غذائية وبأسعار محددة، وفي حالة ترميم الحصون أو تطوير وسائل دفاعها يجب على السكان تقديم المساعدة بإعارة حيواناتهم، كما يجب عليهم تزويد مدينة وهران والمرسى الكبير بالمواد الغذائية إذا طلب منهم ذلك، وأن لا يسمحوا بشحن أو تفريغ أي باخرة في الميناء دون الحصول على إذن من الملك أو الملكة. وكان استسلام مستغانم في 26

---

(1) FERAUD (Charles) : Lettres arabes de l'epoque de l'occupation espagnole en Algerie. in R.A. n°17. 1873. PP. 313-314.

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

أفريل 1511[1]. والملاحظ انعدام كلي لسلطة جزائرية، وأن تلك الشروط فرضت على السكان، وكان رد فعلهم الوحيد ضد الهجمة الإسبانية.

أما حصن البينيون Penon de Argel فقد بني على أكبر الجزر المقابلة لخليج الجزائر والمعروفة بجزيرة سطوفلة Stofla وهي تبعد 300 متر عن المدينة، وقد بني على أنقاض منارة بناها الأندلسيون نهاية القرن 15م لإرشاد السفن[2] ومهمة الحصن جعل المدينة تحت رحمة الإسبان وإجبار سكانها على تنفيذ بنود المعاهدة (الشروط)، ومنع أي نشاط بحري للأسطول الجزائري، مما أجبر السفن على التوجه إلى تامنفوست أو سيدي فرج، كما أقام الإسبان داخل القلعة فرقة عسكرية من 200 جندي مدعمة بالمدفعية[3]. وفعلا تحول ذلك الحصن إلى شوكة مغروسة في قلب المدينة وسكانها.

كان لسليم التومي معارضين لمشروعه في إعلان الطاعة والخضوع للأسبان وزادت تصرفات هؤلاء تذمر السكان، وعاشت الجزائر بسببها اضطرابات منذ 1510م، لاختلاف الآراء حول مبلغ الجزية التي تدفع للأسبان، ووجود الحامية قرب المدينة شلت كل حركة تجارية خارجية وخنقت المدينة، وشجع سليم التومي على ضرورة احترام المعاهدة لأنها توفر الأمن والحماية للمدينة. لكن أغلبية السكان كانت آراؤهم مختلفة[4].

5- خضوع مستغانم، شرشال ودلس للأسبان:

سبقت الإشارة للمعاهدة التي فرضها الإسبان على مستغانم وأرسلت مدينة شرشال ودلس وفودا إلى إسبانيا طالبين التبعية والخضوع للملوك الكاثوليك رغم قساوة الشروط المفروضة والمتمثلة في تقديم فدية (جزية) سنوية، إطلاق سراح الأسرى المسيحيين، التخلي عن القلاع والحصون التي كانت بأيديهم للأسبان، ضرورة تموين المحميات

---

(1) BELHAMISSI Moulay; Histoire de Mostaghanem des origines à nos jour. Alger. SNED. 1982. P.60.

(2) أحمد توفيق المدني، نفس المرجع، ص127.

(3) GARROT. (H). op.cit : P.349.

(4) DEVOULX (A). : Alger étude archéologique et topographique sur cette Ville, aux époques romaine. Arabe et Turque. in. R.A. N° 20. 1876. P.67.

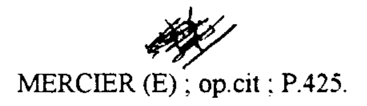
Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

بالمواد الغذائية والماء حسب أسعار محددة مسبقا، وغلق الموانئ في وجه السفن المعادية للأسبان.

احتلال عنابة:

تنفيذا لتوجيهات فرديناند توجه الأسطول الإسباني بقيادة بدرونافارو نحو الشرق لإخضاع إمارة تونس الحفصية، بعد أن ترك محمية في بجاية وأتمم تحصينات هذه الأخيرة. وفي طريقه إليها توجه إلى مدينة عنابة واحتلها دون مقاومة تذكر وكان ذلك سنة 1510م حيث ترك فرقة عسكرية بها وانطلق نحو تونس وبسبب تحصيناتها الجيدة وصعوبة الاستيلاء عليها لقلة تعداد حملته سواء من حيث السفن أو الجنود انتقل إلى طرابلس الضحية السهلة فاستولى عليها رغم المقاومة الشديدة لسكانها وارتكب فيها أبشع الجرائم حيث قتل أكثر من 6000 مسلم بين مدافعين ومدنيين، وقد ترك على رأسها دييغو دي فيرا Diégo de Véra . سنة من بعد وقع التنازل عن طرابلس لنائب الملك في صقلية، حيث أرسل لها حاكما وهو يدعى قيلام دي مونكاد Guillem de Moncade[1].

وهكذا سقطت أو خضعت المدن (الإمارات) التابعة لتلمسان أو المستقلة عنها، أما هذه الأخيرة فقد أرسلت وفدا إلى حاكم وهران الإسباني تعلن دخولها تحت طاعته وتتكفل فيه بتموين المدينة، على أن ذلك الولاء والتبعية لم تكن سمة جميع الزيانيين فالمعارضة كانت شديدة لذلك التوجه، وطيلة النصف الأول من القرن السادس عشر 16م سوف تتأرجح هذه الإمارة بالخضوع للأسبان مرة، ومواجهتهم وانفصال عنهم مرات أخرى.



(1). MERCIER (E) ; op.cit ; P.425.

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

6- طبيعة الاحتلال الإسباني في وهران والمرسى الكبير وبجاية:

احتلال وخضوع المدن الساحلية للإسبان وتقديم الولاء والطاعة جاء مناسبا لسياسة ومشاريع فرديناند حتى يتفرغ أكثر لإيطاليا والصراع الدائر هناك بين الدول الأوروبية وفي مقدمتها فرنسا، للسيطرة على ثرواتها إضافة لكونها موطن الكنيسة البابوية.

فوهران والمرسى الكبير، تلمسان، مستغانم، تنس، الجزائر، بجاية، إما احتلت مباشرة من طرف قوات اسبانية، وإما أرغمت على قبول حصون اسبانية أقيمت قرب موانئها مع وجود مدفعية تستطيع التحكم في كل النشاطات، وبإستثناء وهران والمرسى الكبير فإن تسيير المدن ترك للأهالي والمشايخ التابعين لهم، واختلفت السياسة الإسبانية في تلك المدن حسب مشاريع ورغبات الملوك الإسبان، فبينما كان هدف إيزابيلا، بتدعيم وتوجيه الكاردينال خمينيس الإستيطان والإستقرار في تلك المدن، واتخاذها قواعد للتوسع داخل البلاد، أما زوجها فرديناند فقد اكتفى بإقامة مراكز محصنة Presidios ، لأنه كان مهتم أكثر بإيطاليا ومركزا عليها أكثر من الجزائر.[1] وأحسن وصف لتلك السياسة هي الإحتواء لمنع أو على الأقل الحد من نشاط القرصنة وتأمين الطريق البحري نحو إيطاليا، ونأخذ كمثال على ذلك ما أقامه الإسبان في كل من المرسى الكبير ووهران ثم بجاية.[2]هل معنى ذلك أن الإسبان إكتفوا بإقامة التحصينات والمحميات تطبيقا لسياسة الاحتواء لمدة معينة ريثما يقضي على مسبباتها، أم الاستقرار والبقاء الدائم؟ نميل أكثر للإحتمال الثاني ولنا في مدينتي سبتة ومليلة المغربيتين أحسن دليل. ملاحظة هامة لابد من الإشارة لها وهي مجموعة من الكتاب الغربيين الذين تناولوا الموضوع خصوصا فيما يتعلق بتقييم تلك السياسة فالكل يعبر عن تأسفه وندمه لعدم استغلال الإسبان للفرصة التي منحهم إياها الإله لتوسيع رقعة ممتلكاتهم في إفريقيا الشمالية بحيث لم تكن هناك حواجز أما مهم، يقول كاسيناف J. Cazenave :"طيلة قرون

---

(1) جون – ب – وولف، نفس المرجع، ص 26-27.

(2) PRIMAUDAIE (de la) ; documents inedits sur l'histoire de l'occupation espagnole en Afrique, mémoire du corrégidor d'Oran sur la manière dont cette ville est administrée (Arch de sunancas –estado, Africa, legajos meltos, in R.A, N°19, 1875, PP.153.154.

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

بذلت إسبانيا في إفريقيا مجهودات جبارة، مسكونة في ذلك بمشروع حرب صليبية للسيطرة على بلاد الكفار... لكن في كل مرة لم يكن النجاح الدائم والواضح حليف الغزاة، هذه المشاريع المنفذة بأساطيل هامة، وبقوات كبيرة كان مصيرها دائما الفشل... فالإسبان لم يستطيعوا طيلة وجودهم إخضاع داخل البلاد، لم يكن في إفريقيا استعمار إسباني"[1]. إذن كيف نسمي الوجود الإسباني في وهران والمرسى الكبير، ثم هناك سبتة ومليلة.

التنظيم الداخلي لوهران والمرسى الكبير:

تتميز السنوات الأولى من الاحتلال الإسباني بفوضى كبيرة في تسيير المراكز المحتلة بسبب عدم تجانس مواقف المجلس الملكي حول الهدف والوسائل وطريقة التسيير وكان على رأس هرم تلك المراكز حاكم عام يدعى Le capitaine général، كانت له القيادة العليا للجيش بما فيها التحصينات، موازاة له تم إنشاء مجلس ملكي مصغر، على رأسه مقتصد عام وحاكم مدني مكلف بضمان دفع الأجور والتموين، ويقوم في نفس الوقت بدور القاضي لفك النزاعات بين المستوطنين الذين استقروا في وهران، وهذا معناه وجود سلطتين موازيتين ومنطقيا أن يقع تضارب فيما بينهما، واستمر الوضع على تلك الحالة حتى سنة 1535م، حيث قام الملك بإلغاء المجلس الملكي المصغر، بسبب كثرة الشكاوي ضده سواء رسمية أو خاصة وكانت تصل يوميا للملك[2]، بعد ذلك أصبح الحاكم العام هو السلطة الفعلية بمساعدة مجلس متكون من ستة مستشارين[3]، إضافة لمجلس حربي تحت سلطة الحاكم العام.

أما المرسى الكبير فكانت تابعة في كل شيء لوهران، وكان على رأسها حاكم يساعده مجلس مصغر، فيما يخص مجموعة الحصون التي أقامها الإسبان فكان على رأس كل منها ضابط يساعده مرشد عسكري.

---

(1) CAZENAVE. (J) : Les présides espagnoles d'afrique. in R.A. n°63. 1922. P.226.

(2) GRAMMONT (H.D). Histoire d'Alger sous la domination turque (1515-1830). Paris. 1887. P.17.

(3) يدعى بالإسبانية junta de regidores يعينون لمدة سنة فقط من قبل الحاكم العام ويختارون من بين ضباط الجيش.

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

التسيير الإداري للقاعدتين فهو من اختصاص وزير المدينة Ministre de hacienda يعين مباشرة من قبل الملك، وكان تحت إمرته مجموعة من ضباط الإدارة، وقابض لدفع الأجور، وجمع الضرائب، وستزداد سلطة هذا الأخير مع مرور الوقت لتصل إلى درجة منافسة سلطة الحاكم العام، أما الميناء فيشرف عليه نقيب المرسى الذي يتولى شؤون مينائي وهران والمرسى الكبير بمساعدة مجموعة من الضباط.

سياسة التحصين والاحتلال الضيق للمدينتين:

فرض الجزائريون حصارا دائما على وهران والمرسى الكبير منذ أن استقر بها الإسبان وللإحتفاض بهما تطلب القيام بأعمال هامة كبناء حصون جديدة وترميم القديمة منها، وإصلاح الأسوار المحيطة بالقاعدتين وترميم المساكن والشوارع[1]، وفعلا فإن تاريخ وهران طيلة فترة الإحتلال مرتبط بالتحصينات فقد كانت الشغل الشاغل لحكامها[2].

قاعدة وهران: تقع وهران في منحدر تحيط به الجبال من كل جانب، ولذا فإنها تمثل نقطة ضعف المدينة، إذا هوجمت من تلك المرتفعات، لذا جاء مشروع الإسبان لحمايتها بتطويقها بسلسلة من الحصون تقام على تلك المرتفعات في نظام دفاعي تجعل من كل حصن مكملا للآخر ويحميه في نفس الوقت وسوف نعرف بأهمها وعددها خمسة وهي سانتاكروز - سانت قريقور - سانت فليب - سانت أندري وروزا الكازار Rosal cazar (البرج الأحمر) وسقوط أي حصن منها يعني فقدان المدينة لنظامها الدفاعي[3]. يضاف لتلك الحصون حصن القصبة الذي يشرف على المدينة.

---

(1) KEHL Camille. oran et l'oranie avant l'occupation française. c. fouque. S.G.A.O. oran . 1942. P.43.

(2) أنظر خريطة تحصينات مدينة وهران أثناء الإحتلال الإسباني، الملحق (3).

(3) LESPES (R). op.cit. P.69.

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

سانت قريقور saint Grégoire[1]: هو أقرب الحصون للمدينة ويشرف عليها كما أنه يحمي المرسى الكبير وميناء وهران، وهو بدوره محمي بحصن سانتا كروز.

سانتا كروز Santa Cruz : بني هذا الحصن فوق أعلى قمة تشرف على وهران والمعروفة بجبل مورجاجو، وتم بنائه على تل ضيق، والجدران المحيط به محدد جدا، وجعله موقعه في مأمن، ولا يمكن الإستيلاء عليه بسهولة بسبب علو الصخرة التي بني عليها، وسقوطه يعني سقوط حصن سانت قريقور، وحتى وهران نفسها[2] لذا اهتم به الإسبان اهتماما خاصا وأعطوه العناية التامة.

سانت فليب. Saint philipe: هو ثالث الحصون في تلك السلسلة التي وضعت لمنع أي محاولة لتحرير مدينة وهران، وهو أول الحصون من جهة البادية، المحيطة بوهران، وأول ما يواجه المهاجمين عليها، ومن حيث المسافة فهو أبعد الحصون عن المدينة مقارنة بالحصون الأخرى[3]، وكان هناك مشروع إسباني لتجديده كليا لكن قلة الموارد المالية حال دون تحقيقه، ولضمان الإحتفاظ به وحمايته تم بناء حصنين صغيرين هما سانت فرديناند[4] وسانت شارل[5] كل ذلك الحرص على حماية سانت فليب لأن هذا الأخير هو الذي يشرف ويتحكم في رأس العين التي تعتبر المورد الرئيسي لتوفير المياه الصالحة للشرب لمدينة وهران والمرسى الكبير.

سانت أندريه Saint André: يقع هذا الحصن ما بين سانت فليب والبرج الأحمر ويعتبر بنائه حديثا مقارنة بالحصون الأخرى، فبنائه يعود إلى آخر الفترة الأولى من الإحتلال وقد وقع فيه إنفجار أدى إلى تدميره كليا، وتم إعادة بنائه من جديد.

---

[1] سانت قريقور كان قصرا قبل أن يحول إلى حصن يدعي لدى المسلمين، برج بني زهرة في الجهة السفلى لحصن سانتا كروز وقد بني برج مراقبته قبل احتلال الإسبان الذين قاموا بتوسيعه، واعطوه اسم La vigie حوالي 1588م.

[2] VALLEJO (D.J), Contribution à l'histoire du vieil oran. mémoire sur l'etat et la valeur des places d'oran et de mers El kebir, traduction. J. cazenaven R.A. T66. 1925. P.334.

[3] LESPES(R), op.cit ; P.37.

[4] سانت فرديناند كان عبارة عن مركز مراقبة بني سنة 1514م تخوفا من هجوم يقوم به الإخوة بربروس لإسترجاع وهران، وقد بني من طرف الحاكم العام فاليخو Vallejo.

[5] سانت شارل وهو متمم لسابقه وبني أيضا في عهد فاليخو وتم تسليحه بـ 24 مدفع.

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

البرج الأحمر Rosal Cazar:[1] ويعرف بالبرج الأحمر، وهو أحسن الحصون في ذلك النظام الدفاعي الذي أقامه الإسبان، فبني على قواعد سليمة كما روعي فيه قواعد البناء، وفي هذا الشأن يقول فاليخو Vallejo: "إني أشك في امتلاك أي دولة أوروبية مثله". وهو يقع شرق مدينة وهران ويشرف عليها أيضا وهو محصن من جهة البادية، فأي هجوم يتعرض له من تلك الناحية تقابله وسائل دفاع قوية في مقدمتها مجموعة مدافع ثقيلة، بالإضافة إلى ذلك فهو محاط بخندق يصعب عبوره، وازدادت أهميته بأنه يشرف ويحمي كل من حصن سانتا كروز وسانت قريقور، ومن أجل ذلك قام الأسبان بتحديثه وتحصينه وتجهيزه لإتمام سبكة النظام الدفاعي التي وضعوها، مجموعة الحصون السالفة الذكر متصلة ببعضها البعض بمجموعة خنادق ودهاليز تحت الأرض لتسهيل فيما بينها ونجدة بعضها البعض في حالة تعرض إحداها إلى هجوم، كما ربط بينها ببناء سور بإستثناء سانتا كروز وسانت قريقور، وهي تمثل وسلية الدفاع الأولى والامامية ما بين المدينة والبادية المحيطة بها، وأقيم على جانب السور بوابتين هما باب تلمسان، وباب كانستال Canastel، ليتم بعد ذلك فتح باب ثالثة تعرف بالسانتو Del Santo شمال غرب السور، وتدعيما أكثر لوهران والمرسى الكبير ورغبة في جعلهما نقطة إرتكاز رئيسية لكل النظام الدفاعي الإسباني على طول الساحل الشمال الأفريقي حتى إيطاليا[2]، جاء مسعى وزير الحرب الإسباني جوزيف باتينوا Joseph Patino بوضع تشريع ونظام خاص في المجالات العسكرية والإقتصادية والمالية وحتى سياسيا ودينيا للممتلكات الإسبانية في إفريقيا الشمالية.

ولا نترك قضية التحصينات دون الإشارة إلى "مجلس التحصينات" ومهمته مناقشة وحل مسائل الدفاع، وهو متكون من القائد العام، ومسؤول المهندسين والمسؤول عن الإدارة وأمين الحاكم الذي يتولى نفس المهام داخل ذلك المجلس.

---

(1) البرج الأحمر Rasol Cazar : تم بناؤه في عهد السلطان المريني 'أبو حسان' وذلك سنة 1347م لحماية المدينة وعند احتلال وهران سنة 1509م اتخذ منه بدرو نافارو القاعدة الأولى للإحتفاظ بالمدينة.

(2) BRAUDEL (F) , La Méditerranée et le monde méditerranéen à l'époque de Philippe II, Tome 2, Paris 1976, PP.180-181.

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

طريقة الدفاع عن السواحل باستعمال القلاع والحصون كانت متبعة في أوروبا وخصوصا البلدان المطلة على البحر المتوسط ومنها إسبانيا وإيطاليا وزاد الإهتمام بها مع مطلع القرن السادس عشر بسبب الهجومات والغارات التي كان يقوم بها البحارة الجزائريون على سواحل تلك البلدان وخصوصا إسبانيا فكان منطقيا تغيير القلاع القديمة "لفلانسيا"، بمنشآت جديدة يكون فيها مواقع مميزة للمدفعية، أما في برشلونة فالمشكل المطروح من يدفع ثمن تلك القلاع أو ترميم التحصينات الملك أم مجلس المدينة، أما حصون مايوركا فبفضل حراس الشواطئ تم التنبيه للعديد من محاولات القراصنة للهجوم عليها فسعت هذه الأخيرة إلى الإعتناء بها والحفاظ عليها.

ابتداء من 1519م تم إنشاء وتنظيم حرس الشواطئ في فلانسيا مع نظام إنذار مبكرّ فالحذر والخوف ميزت سياسة الإسبان على سواحلهم لأنها ضرورية لتفادي أي هجوم مباغت للقراصنة الجزائريين، لكن يبقى التخوف أكبر من الأساطيل العثمانية[1].

الإشكال المطروح حول المحميات والحصون التي أقامها الإسبان في الجزائر بين سنوات 1509م 1511م على ساحل بلد مشتت ومنهار غير قادر على الدفاع عن نفسه، لكن الإسبان لم يستغلوا تلك الفرصة التي ضاعت منهم ولن تتكرر ثانية، ابتداءا من 1516م، استقر الإخوة بربروس في الجزائر ثم جاء الدخول تحت حماية السلطان العثماني وبداية تحرير المدن المحتلة.

فتخلص المدينة من قلعة البينون سنة 1529م، وقد كانت الجزائر أهم مركز إشعاع للمغرب الأوسط فهي محور التبادل التجاري لكل المنطقة وستدفع إلى تنظيم القوى الداخلية وتوحيدها لمواجهة الخطر الإسباني، رغم عودة الحملات الكبرى مع شارل كوينت التي لم تعطي نتائج ملموسة بل دعمت اكثر مكانة الجزائر.

---

(1) BRAUDEL (F) : Les espgnols et l'Afrique du nord. op.cit : P.363.

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

الحامية الإسبانية لوهران والمرسى الكبير:

الحديث عن التحصينات يقودنا لا محالة للحامية العسكرية الإسبانية، فعزلة القاعدتين وحالة الحرب والمقاومة الدائمة والهجومات المتواصلة تطلب وجود حامية عسكرية كاملة العدد والعدة، وأولى وزراء الحربية الإسبان إهتماما وعناية خاصة للتنظيم العسكري[1].

المشاة: بقرار من الملك تم تكوين فرقة دائمة من المشاة تعرف **بفرقة** وهران متكونة من 1300 جندي، وكان التجنيد يتم في إسبانيا يضاف لهم عدد من المنفيين وذوي السوابق العدلية[2]. وفي حالة وجود المدنية محاصرة فإن كل من هو قادر على حمل السلاح ينظم لتلك الفرقة، وقد ارتفع العدد الإجمالي للجنود الإسبان في القاعدتين مع مرور الوقت حيث بلغ مع منتصف القرن 16م، 2700 جندي و 90 فارس عموما وعلى العموم فإن عدد الجنود كان يفوق دائما عدد المدنيين داخل المدينة[3].

للإبقاء على شعلة الحماس الديني مشتعلة لمحاربة "الكفار" فقد كان في المدينتين بصفة دائمة قساوسة ورهبان للإشارف على الكنائس التي أقيمت هناك[4].

الهندسة الحربية: على رأسها مهندس معماري كانت له مكانة هامة ومن بين هؤلاء نذكر "جيوفاني باتيستا أونتونيلي" كلف بأشغال تهيئة المرسى الكبير. عموما فالتحصينات كانت الشغل الشاغل لهؤلاء المهندسين، منها إنجاز نصف السور المحيط بالمدينة في عهد الحاكم العام Vallejo ثم بعده آرمبورو Aramburu الذي قام ببناء حصن سانت ميشيل، ورأس مونة.

---

(1) CAZENAVE (J). Les présides. op.cit : P.247.

(2) HONTABAT Don hamaldo. relacion général de la consistencia de las plazas de oran y Mazarquivir. Bull. S.G.A.O. Tome XLIV. 1924. PP.113-114.

(3) LESPES (R). op.cit : P.68.

(4) CAZENAVE (J). les présides. op.cit : P.253.

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

المدفعية: سعت إسبانيا إلى تأمين وجود قوة ضاربة وهي أساس النظام الدفاعي الإسباني للمحميات ونقصد بها المدفعية، ولتوضيح أهميتها نشير إلى أن أعمال الصيانة الخاصة بالمدفعية كان يتكفل بها أكثر من 100 رجل[1]، وبلغ عدد المدافع في كل من وهران والمرسى الكبير حوالي 228 مدفع كبير، 18 مدفع صغير كما تم إنشاء ورشة للصيانة وإصلاح المدافع والأسلحة وتوفير قطع الغيار بمعنى إنشاء صناعة حربية في وهران نفسها.[2]

الخيالة: الدور المنوط بها حسب وزير الحربية الإسبانية هو الدفاع عن المدينة تحت حماية المدفعية وحماية الماشية التي ترعى قرب الحصون، وأيضا حماية القبائل الموالية للإسبان ولهذا الغرض تم إنشاء فرقة خيالة تعرف بالمغطسون Mogataces عناصرها من قبائل بني عامر الموالية للإسبان، وتحولوا إلى فرقة تابعة لحامية وهران الإسبانية وهي مكونة من 100 فارس، أجورهم يدفعها الملك وقد كان يهتم بها اهتماما خاصا، وكيف لا وقد أسندت لها أخطر المهام والمتمثلة في حماية الفرق العسكرية التي تخرج في هجومات وغارات على البادية، ساعدهم في ذلك درايتهم بطبيعة الأرض وأساليب القتال المتبعة من طرف إخوانهم، وقد تميزوا بالبطش والقتل دون تمييز.[3]

7- بجاية تحت الإحتلال الإسباني:

خلت المدينة من سكانها الذين فروا للمرتفعات المجاورة تاركين المدينة للجنود الإسبان ولحق بهم المنفيين والسجناء القادمين من إسبانيا لتعمير بجاية وبقية المدن المحتلة، وكان إلى جانبهم عبد الله الحاكم الحفصي وحاشيته صاحب السلطة الإسمية، المسير الفعلي لشؤون بجاية الحاكم العام capitaine général، يساعده قاضي هو أكثر مستشار للحاكم، يأتي بعد ذلك قابض الضرائب alvudor، والذي يتكفل بتقسيم الغنائم بحيث كان يرسم خمسها إلى إسبانيا. لقد تسببت قرارات الملك فرديناند في القضاء على إقتصاد المدينة وتجارتها بفرضه لضريبة مقدارها 50 % على الأقمشة الصوفية

(1) HONTABAT. op.cit : PP.114-115.
(2) CAZENAVE (J). op.cit. P.260.
(3) VALLEJO. op.cit. P.327.

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

المستوردة من بجاية هذه الأخيرة كانت تستورد الأقمشة والعطور من البندقية وتصدر الأخشاب واللوز والأقمشة الحريرية، والمرجان والحلي القبائلية، ولإسبانيا كانت تصدر الصوف والجلود. ماليا اعتمدت بجاية بعد احتلالها على مواردها المالية ولم يخصص لها ميزانية من إسبانيا على الأقل لدفع أجور الجنود أو القيام بالتحصينات والترميمات الضرورية، ولتوفير المال لجأ حكامها الإسبان إلى فرض ضريبة على شيوخ القبائل التي لم تكن تدفعها إلا نادرا مما تسبب في تردي الأوضاع، ووصلت إلى حد انعدام الغذاء، ولم تجد الحامية ما تقتات به، إضافة لنفاذ البارود، وتردت أوضاع المدفعية إلى درجة أنها أصبحت خطرا على مستعمليها منها على أعدائهم، ولم تدفع للجنود أجورهم طيلة 18 شهر مما دفع بالعديد منهم إلى الفرار من الخدمة العسكرية والتوجه نحو الهند[1].

أمام هذا الوضع المأساوي أرسل الملك فرديناند بمذكرة إلى قائده على بجاية أنطونيو دي رافايندا في أكتوبر 1511م يطالبه بعمل كل ما في وسعه، وأنه سيقدم الدعم الكافي والضمانات اللازمة لإعادة تعمير مدينة بجاية وهذا ما حصل فعلا بتجدد النشاط مع العودة التدريجية لسكانها[2].

8- صعوبة تموين المراكز المحصنة Les présidios: بسبب الحصار المفروض كان إعتماد تلك التحصينات في تمويلها وتموينها على السفن القادمة من إسبانيا حتى بالماء والمواد الغذائية والأقمشة بإشراف المقتصد الذي كان يتحكم في كل شيء، ورغم التفوق العسكري إلا أن المجهود المبذول والنفقات في تضاعف مستمر، ولتوضيح الوضع المأساوي في عنابة بسبب فساد المواد الغذائية أدى إلى إصابة جميع الجنود بتسمم غذائي.

في حصن البنيون كادت أن تهلك الحامية بسبب الجوع لولا وصول سفينة محملة بالقمح أنقذت الوضع نوعا ما وبصفة مؤقتة فالسفن لم تكن تصل دائما وبإنتظام[3].

وتبقى بجاية خصوصا في السنوات الأولى للاحتلال أكثر المتضررين بسبب الحصار الدائم المفروض عليها سعيا لتحريرها، خصوصا مع مجيء الإخوة بربروس عروج وخير الدين، أما بالنسبة لوهران والمرسى الكبير فطيلة السنوات الأولى

---

(1) GRAMMONT (H.D), op.cit ; P.17.

(2) أحمد توفيق المدني، نفس المرجع ، ص139..

(3) اعتمادا على مجموعة رسائل محفوظة في متحف سيمانكاس بإسبانيا. GRAMMONT (H.D) , op.cit ; PP.17-18.

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

للإحتلال فقد شارفت على مجاعات، ولم يكن بوسع حكامهم القيام بأي شيء والغريب في الأمر أن السياسة المتبعة خارج الأسوار وهي الإغارة والهجمات Les razzias، دفع بالأهالي إلى رفض تموين المدينة، أورد وصف تلك الوضعية أحد من عاشوا في وهران تلك الفترة قائلا: "لم تعد وهران والمرسى الكبير تموينان إلا من إسبانيا، لم يعد أحد من الأهالي يأتي بشيء للمدينة، وبسبب انعدام الأمن في البحر... فالمبادلات توقفت نهائيا"[1].

كانت المعيشة صعبة جدا في تلك القواعد، فالتلف يصيب المواد الغذائية بسرعة بسبب رطوبة البحر، فكل شيء يأتي من ميناء "ملاقة" بمساعدة مصالح قرطاجنة فهي التي تتكفل بتموين المنطقة الغربية والتي تشمل وهران والمرسى الكبير ومليلة، ومن بين ما كان يرسل الذخيرة الحربية، المواد الغذائية مواد البناء، الجنود، السجناء، المنفيين، ولم يكن من السهل أن تصل بسبب نشاط القرصنة الذي لم يكن يغامر إلا بإرسال سفينة في فصل الشتاء، وقد تطلب الوضع أحيانا إلى قيام الإسبان بإحتجاز "قاليون" من مرسيليا أو من البندقية ويفرض عليه نقل كمية من الغذاء أو الذخيرة إلى المراكز المحصنة، وكان العديد منها يقع في قبضة الأسطول الجزائري حيث تحتجز في "كاب فالكون" إلى الغرب من وهران والمرسى الكبير، ولا يطلق سراحها إلا بعد دفع الجزية، وهذا ما يفسر تكرار حدوث المجاعات في القواعد الغربية[2].

زاد من تردي الأوضاع التنظيم الداخلي لتلك القواعد وكمثال على ذلك ما كان جاريا في المرسى الكبير فأمين المخزن هو الذي يتكفل بتوزيع المواد الغذائية على الجنود بأسعار حددت في إسبانيا ومرسلة مع السلع، ومادام الجنود لم يحصلوا على رواتبهم في بعض الاحيان لعدة شهور، فما عليهم إلا الإقتراض، وذلك حسب نظام التسبيق على الأجر إذا أضفنا لها الفوائد المطبقة فالديون تكبر وتتضاعف، وقد ترتفع أسعار السلع لندرتها وإما بتواطؤ الحاكم ليجني أكبر ربح ممكن، وأمام عجز الجنود على تسديد تلك القروض فلم يبقى لهم من حل سوى الفرار من تلك القلاع منهم عدد

---

(1) KEHL (C) . op.cit : P.43.

(2) BRAUDEL (F). La Méditerranée. op.cit : P.187.

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

كبير اعتنق الإسلام، كل ذلك دفع السلطات الإسبانية إلى إخفاء الوجهة المقصودة عند الإبحار بالجنود نحو تلك المعسكرات، وعند الوصول والإستقرار لا تقوم باستبدالهم والأمر يطبق حتى على الحكام ومثال على ذلك أن ديغو سواريز Diego Suarez قضى سبعة وعشرون (27) سنة في وهران، رغم محاولاته العديدة للفرار.

الفئة الوحيدة المسموح لها بالعودة هم المرضى فمنهم من ينتقل إلى إسبانيا أو يوجهون نحو المستشفيات الإيطالية، وهكذا تحولت تلك المحميات أو القواعد إلى محتشدات تستقبل العديد من النبلاء والأغنياء المحكوم عليهم جنائيا لقضاء فترة عقوبتهم، ومن هؤلاء حفيد "كريستوف كولومب" الذي ألقي عليه القبض في فيلادوليد لإرتكابه جناية فحكم عليه بعشر سنوات في المنفى حيث وصل إلى وهران 1563م وتوفي فيها في 3 فيفري 1573م[1]. لقد حول فليب الثاني وهران إلى سجن ومنفى للسادة الذين فقدوا الحضوة لدى البلاط[2].

9- إنعكاسات الإحتلال الإسباني:

رغم أن رغبة فرديناند الكاتوليكي هي الإستيطان والتخلص من مسلمي إسبانيا من ذلك نقل موريسك قشتالة إلى المدن المحتلة، وإنشاء مستوطنة اسبانية في كاب بون Cap Bonne ولتوفير ضروف المعيشة لا بد من تنشيط الإقتصاد والمبادلات في تلك المدن والسعي إلى ربطها مع المناطق المجاورة ودواخل البلد، كيف يمكن تحقيق ذلك المشروع وقد سبقه إصدار قرار ملكي سنة 1516م بمضاعفة الحقوق الجمركية (50%) على موانئ البحر المتوسط وشبه الجزيرة الإيطالية مما دفع بتجار البندقية على تركيز تعاملهم خارج وهران، وتتحول التيارات التجارية عنها لتتوجه نحو كل من الجزائر وعنابة ويعني ذلك الإبتعاد قدر الإمكان عن المناطق التي في قبضة الإسبان، وزاد من إنهيار وإنحطاط المدينة سرعة إنغلاقها على نفسها[3]، وقضى كليا على تجارتها الخارجية[4].

---

(1) BRAUDEL (F) . la Méditerranée. op.cit.. P.187.
(2) LESPES(R). op.cit : P.65.
(3) DECHAUD (ED). Oran son port son commerceOran. 1914. P.13.
(4) OFFREY Robert. Oran Mers El Kebir. Impremerie Berthod. 1938. P.21.

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz -CERIST-

إن عودة النشاط لتلك الموانئ الخارجة عن السلطة الإسبان يثبت فشل سياسة المحميات في الجزائر وحتى في المغرب[1] ويلخص الحاكم العام فاليخو في مذكرته عن السياسة الاقتصادية في الجزء الخاص بالتجارة: "يشار إلينا نحن الإسبان دائما بأننا لا نهتم بتاتا بتنشيط تجارتنا"[2] ومحاولتنا منهم لبعث النشاط في المدن والموانئ الخاضعة لهم استقدم الإسبان اليهود ليكونوا وسطاء تجاريين بينهم وبين السكان الأصليين لمعرفتهم وإطلاعهم على اللغة العربية وعادات المنطقة، خصوصا وأن أعداد كبيرة منهم استقرت في المدن الجزائرية إثر قرارات الطرد التي تعرضوا لها إثر سقوط غرناطة.

10- الإغارة خارج أسوار المحميات (القلاع) Les Razzias:

هناك عامل مشترك بين جميع تلك القواعد والمحميات فهي معقل حاكمها العام وهي أقرب إلى ملكية عائلية تخضع لأسرة معينة مدة طويلة فمثلا مدينة مليلة بها عائلة ميدينا سبلونا Medina Siblona ووهران عائلة Alcaudete[3]، وطرابلس حكمها هوغو دي مونكادا Hugo de Moncada، طول حياته، فهؤلاء كانوا فعلا أسياد مع عائلاتهم وحواشيهم أما رياضتهم المفضلة فهي الإغارة L es razzias على المداشر والقبائل المحيطة بهم ونهب وسلب كل ما تجده في طريقها أو يعترضها وأهم ما كانوا يغنمونه نجد الحبوب والمواشي والأسرى[4]. السبب الثاني للقيام بتلك الهجمات التأكيد على وجودهم وتخويف وتأمين محيط التحصينات، وحماية القبائل الموالية مثل، بني عامر، ومطاردة أعدائهم، يمكن أن يضاف لها جمع المعلومات، ابراز القدرة على المناورة وتعويد الجنود على أساليب القتال في هذا المجال كانت حامية وهران تخرج إلى ما وراء سبخة الملح لتفاجئ دوار إعتمادا على معلومات قدمها عملائهم من المنطقة، أما

---

(1) نفس الإنعكاسات تسبب فيها الإحتلال البرتغالي للمدن والموانئ المغربية على طول الساحل الأطلسي

(2) LESPES (R). op.cit : P.84.

(3) PRIMAUDAIE (de la). Lettre de l'empreure à don Martin de codoba. compte D'ALCAUDETE sergovie. 4 Juin 1534. Arch de simancas. estado legajo 451. in R.A. N° 19. 1875. pp 284-285.

(4) ومحتواها منح كل الصلاحيات للحاكم العام. OFFREY (R). op.cit : P.22.

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

توزيع الغنائم فلكل سهمه أما حصة الحاكم العام فـــهي الخمـــس (5/1) Le Quint وتعتبر ذلك إمتياز ملكي[1].

قد يحدث وأن مجموعة من الجنود بسبب الروتين والاختناق داخل التحصينـــات والضروف الصعبة داخلها يخرج في غارات دون إذن الحاكم.

وبعض الحكام يفسرون تلك الـــهجمات لمضاعفـــة القبـــائل الموالية Mors de paz[2]لتخضع لهم فتأتي لتحتمي تحت أسوار القلاع بمعنى طلب حماية الإسبان مقـــابل توفيرها القمح والمواشي والمواد الغذائية، لكن الذي حـــدث هـــو العكـــس فوحشـــية الهجومات تسببت في إبعاد وتخويف هؤلاء الممولين التقليديين لتلك المعسكرات بسبب انتقام القبائل التي تتعرض لتلك الغارات وبالتالي إستحالة قيام منطقـــة نفـــوذ محميـــة وضرورية لتلك المعسكرات الإسبانية، التي أدرك حكامها خطأ سياستهم تلك فتم إصدار قرار ملكي سنة 1564م يمنع القيام بتلك الهجمات فكان لذلـــك إنعكـــاس إيجـــابي دفـــع بالأهالي إلى تموين مدينة وهران في شهري أوت وسبتمبر بالقمح والمـــواد الغذائيـــة الاخرى، رغم ذلك قام حاكم وهران أندرياس بونزي بهجوم اسر فيه 11 رجـــل مـــن الاهالي، لكن قائد المرسى الكبير فرانسيسكو دي فلانســـيا " Francisco de Valencia" رفض الإشتراك فيه وأرسل بتقريره إلى إسبانيا فتوقف الاهالي عن تموين المدينة بمـــا تحتاجه.

وقد ورد في التقرير المرسل بأن تلك الغارات تسببت في جذب الاتـــراك نحـــو إمارة تلمسان[3]. وقد صاحبها خسائر بشرية كبيرة في صفوف الجنود الإسبان ووقـــوع أعداد كبيرة منهم في الأسر فيرسلون إلى الجزائر ليباعوا كعبيد مثل ذلـــك مـــا وقـــع للمركيز سانتا كروز Santa Cruz فقد قام بهجوم خارج اســـوار وهـــران، والحصـــار مضروب عليها، انتهى بمقتله ومقتل أغلبية الفرقة التي خرجت معه.

---

(1) SUAREZ Diego. Historia del Maestre ultimo de moutesa. Madrid. 1889. P.127.

(2) الموريسك الخاضعون أو المسالمون Moros de paz رغم ما قدموه من خدمات للإسبان وخضوعهم التام مع قيامهم بأبشع الجرائم ضد بني جلدتهم، فقد كان ممنوع عليهم الإستقرار داخل المدينة بسبب قرار ملكي وإن أرادوا ذلك فما عليهم إلا اعتناق المسيحية.

(3) Lettre de Valencia à philippe II. Mers el Kebir. 8 fevrier 1565. Simancas E° 486. in FERNAND (B). La Mediter. op.cit.. P.189.

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

وإذا اقتضى الأمر لإنعدام الغذاء الخروج في غارة خاطفة فإن فرق الخيالة الموالية للإسبان Les Mogateces هي التي تقوم بالمهمة القذرة، وهكذا فالقاتل والمقتول اخوة والإسبان يتابعون المشهد من على أسوار المدينة وتحصيناتها[1].

عموما فإن أوضاع وهران كانت أحسن بكثير من المرسى الكبير وبقية التحصينات خصوصا قضية التموين بالخضار والفواكه فقد ساهم وجود المجرى المائي "رأس العين" الذي ينحدر حتى البحر في وجود مجموعة بساتين وحدائق تزرع فيها أشجار مثمرة وخضروات تكفي حاجات المدينة أحيانا[2]، واضطرت الظروف الصعبة المحتلين كإحتياط في حالة حصار طويل إلى حفر مخازن في الصخور لإخفاء الأغذية[3].

---

(1) CAZENAVE (J). Les présides. op.cit.. P.268.

(2) VALLEJO. op.cit.. P.345.

(3) OFFREY. op.cit.. PP.23-24.

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

الفصل الثالث

الإستنجاد بالإخوة بربروسة
عروج وخير الدين

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

أمام الهجمة الإسبانية، وفي تلك الفترة الحرجة من تاريخ الجزائر وصلت أصداء انتصارات أربعة إخوة مسلمين هم عروج، خير الدين، محمد إلياس، وإسحاق حيث اشتهروا بلقب الإخوة بربروسة (ذوي لحي الشقراء)، وهم من أصل إحدى الجزر اليونانية ميتيلين، وقد تلقوا في صباهم تربية إسلامية ورعة[1]. وتميزوا بالشجاعة ومعرفة علوم البحر مما جعلهم بحارة مهابي الجانب في البحر الأبيض المتوسط.

وأشهر الإخوة في البداية هو "عروج"[2]. فقد ركب البحر وعمره عشر سنوات، واستطاع وهو شاب تجهيز مركب سنة 1477، وتولى قيادته، وفي إحدى خرجاته وهو عائد من طرابلس - لبنان - أسر على يد أحد فرسان القديس يوحنا من جزيرة رودس، بعد معركة عنيفة بينما انتهت بمقتل إلياس أخيه[3]، ويقضي في الأسر سنتين وهو على المجادف، لكنه تمكن من الفرار إذ ألقى بنفسه في البحر وهو على مقربة من سواحل مصر ونظرا لشجاعته وإقدامه قام أمير مصري بتجهيزه ببضع سفن ليعود لنشاطه البحري، حيث عمل مدة في مصر، التحق بخدمة كوركود ابن السلطان بيازيد الثاني فجهزه بمجموعة سفن وطلب منه تأمين طريق الحجاج المسلمين نحو البقاع المقدسة، وتأمين طرق التجارة المتوجهة نحو الشام والتي كانت تعترضها السفن المسيحية خصوصا فرسان القديس يوحنا، وكان الحوض الشرقي للبحر الأبيض المتوسط يعرف نشاطا مكثفا لقصر المسافة بين الجزر الأيونية، دورازو، فالونا، لابريقيزا وسواحل طرابلس وتونس[4]. واستطاع في إحدى غاراته على السواحل الإيطالية من الاستيلاء على سفينتين تابعتين للبابوية محملة بأثمن الغنائم، كما غنم سفن أخرى بعد ذلك، ليتجه على إثرها إلى خليج الإسكندرية لقضاء فصل الشتاء. وكانت العديد من موانئ المغاربية مهجورة بعد أن تخلى عنها سكانها فرارا من الهجمات

---

(1) جون – ب – وولف، نفس المرجع، ص.28.

(2) حسب أحمد توفيق المدني، نفس المرجع، ص160: عُروج ينطق بظم العين والراء، ومعناها الصعود والإرتفاع، ودخلت اللغة التركية عن طريق ذكرى حادث الإسراء والمعراج، ويضيف أنه ولد في تلك الليلة فدعاه أبوه عروج، وكان من عادة الأتراك تسمية أبنائهم، رجب، شعبان، رمضان. أنظر ملحق (2).

(3) BELHAMISSI (M), l'histoire de la marine, op. cit ; P.18.

(4) MONLAÜ (J), op. cit ; P.55.

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

الإسبانية والبرتغالية، يضاف لها انحطاط وتشتت دويلات المغرب، بين أنقــاض تلــك الموانئ استقرت أعداد كبيرة مــن المورســكين الأندلســيين المضطــهدين محمليــن بحضارتهم المتطورة وبروح الانتقام ضد المسيحيين.

أما عروج فقد استقر في ميناء جربة أين التحق به أخوه خير الدين الــذي كــان يملك سفينة من نوع بريقانتا Brigantin. على أن العامل الــذي ســاعد علــى انتشــار أخبارهم، وزاد من سمعتهم دورهم الكبير في نجدة وإنقاذ المسلمين الفاريين من إسبانيا خصوصا إثر ثورة جبال البشارات 1499م - 1502م، بحيث جهز لهم 36 سفينة قــامت بسبع رحلات ذهاباً وإياباً وبلغ مجموع ما أنقذه 70 ألف أندلسي[1]. وذلك ما دفع بسكان المغرب إلى التطلع لهؤلاء الإخوة لإنقاذهم من الإسبان، وبعد تحقيقــهم لانتصــارات كبيرة في المتوسط توجها إلى تونس، حيث رحب بهم السلطان الحفصي أبو عبــد الله محمد وتنازل لهم عن ميناء حلق الوادي كمرفأ لسفنهم بشرط واحد احترام سفن الــدول التي لها علاقات حسنة مع تونس وإعطائه خمس الغنائم حسب المتعامل به آنــذاك[2]، وكان ذلك سنة 1510م.

في خريف 1511م خرج الإخوة إلى البحر على ظهر ثلاث سفن واعترضا ســفينة ضخمة تسمى Veslipari متجهة إلى برشلونة على متنها 300 جندي إسباني، وعائلة نائب ملك صقلية الذي استعمل كل ذخيرة مدفعيته، وبعد سبع محاولات تمكن خير الدين مــن الصعود على متنها بعد إصابة عروج بجروح خطيرة والاستيلاء عليها، ثم رجعا إلــى تونس حيث منحا الخمس لسلطانها إضافة لهدايا ثمينة أخرى منــها مجموعــة مدافــع وخيول وأسرى وثمانون 80 نسر مدربة على الصيد[3].

1- استنجاد سكان بجاية بالإخوة بربروسة :

الاستنجاد بالإخوة بربروسة كان من جهتين، تتمثل الأولى في إرسال سكان بجاية وفد عنهم للالتقاء بالإخوة في حلق الوادي وطلب مساعدتهم على تحرير بجايــة مــن

(1) مجهول، كتاب غزوات عروج وخير الدين، تصحيح وتعليق نور الدين عبد القادر، الجزائر، المطبعة الثعالبية 1934، ص48 و82. نقلناه عن ناصر الدين سعيدوني، ص 130.

(2) MERCTER (E). op.cit : P.427.

(3) GARROT (H). op.cit: P.357.

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST.

الاحتلال الإسباني، وفعلا تم اللقاء في حلق الوادي وهذا ما ذكره المؤرخ التونسي أحمد بني أبي الضياف: "علماء وأعيان بجاية يستسرخونهم لإنقاذ البلاد من يـــد العـــدو"[1]. الاستنجاد جاء أيضا من "أبي بكر" الحاكم الحفصي على قسنطينة الذي خلف أخاه عبـــد العزيز الذي استشهد وهو يحاول استرجاع بجاية، فلم يتوقف على تجنيد السكان وإلهاب حماسهم للدفاع عن مدينتهم متنقلا عبر منطقة الصومام لمحاصرة الإســـبان مســـتعملا الخنادق المبنية في عهد بني عبد الواد، واستطاع تهديدهم عدة مرات وفي إحداها توغل داخل أحياء المدينة، ولم يتمكن الإسبان من زحزحته إلا بعد معركة ضارية[2]، وعلـــى إثرها توجه أبا بكر طالبا مساعدة عروج فما كان من هذا الأخير إلا تلبية النداء[3].

أول محاولة لتحرير بجاية كانت سنة 1512م عندما توجه إليها عروج وخير الديـــن بأسطولهما حيث تمكنا في طريقهما من الاستيلاء على بعض الســـفن الإســـبانية، ثـــم حاصر المدينة. قام عروج بهجوم بري على رأس مجموعة من بحارته، لكن مدفعيـــة الإسبان وتسليحهم بالقربينات حال دون الاستيلاء على المدينة، وأصيب في ذراعه التي بترت فعاد على إثرها إلى تونس، وكان ذلك أول اصطدام هام بين الإخوة بربروســـة والإسبان.

تتجدد محاولة تحرير بجاية سنة 1512م، بأسطول مكون من 12 سفينة حربية على متنها 1000 بحار فحاصرها برا وبحرا، واستولى على القلعة القديمة بعد هجوم خـــاطف لتصل نجدات القبائل المجاورة لمساندته. وقد تكبد الجانبان خسائر كبيرة.

مع منتصف سبتمبر بدأت أولى أمطار فصل الخريف في التساقط فانسحب ســـكان القبائل إلى قراهم ومداشرهم لحرث أراضيهم[4]. وكان من أسباب فشل الحملة الثانيـــة على بجاية يضاف لها قوة المدفعية الإسبانية وتسليح جنودها بالقربينات.

---

(1) أحمد بن أبي ضياف، اتحاف أهل الزمان في أخبار تونس وعهد الأمان، ج2، ط1، الدار، التونسية للنشر، 1977، ص.10.

(2) MERCIER (E). op.cit.. P.427.

(3) تشير بعض الكتابات الغربية أن سلطات تونس الحفصي، هو الذي جهز الحملة تحرير بجاية، يبقى هذا الاحتمال بعيد على أساس محدودية سلطته حتى في تونس نفسها، إضافة لقلة الموارد المالية لتجهيز حملة من هذا الحجم، وهو يعتمد على 5/1 الغنائم. الممنوحة من بربروس كما سبق الإشارة إليه.

(4) EL OUAZZANI . op.cit.. P.361.

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

2- استقرارهم في جيجل:

على إثر فشل الحملة الثانية على بجاية، انسحب عروج وإخوته إلى جيجل أيـــن تمكن من الاستيلاء على قلعنها والتي كانت بيد الجنويين[1] وطردهم منـــها بمســاعدة سكان المدينة وكان ذلك سنة 1514م[2]. ويؤسس بها شبه مملكة صغيرة والتحق به أكثر من 20000 من سكان القبائل والمناطق المجاورة لمساندته على تخليـــص البـــلاد مـــن المحتلين. وتفسر هذه الرغبة لدى سكان المدن الجزائرية علـــى الاســتنجاد بـــالإخوة بربروسة لكونهم مسلمين متعاطفين مع أهل البلاد في محنتهم، وبالتالي كـــانوا أكـــثر مرونة من الإسبان في حركتهم الهادفة إلى الارتكاز في شمال إفريقيا.

وكانت أول قاعدة صلبة لهم هي مدينة جيجل الصغيرة التي تقـــع شـــرق مدينـــة الجزائر على بعد 180 ميل، وكان ظهور الإخوة هناك بالإستيلاء على ســـفينة صقليـــة ممتلئة بالقمح في وقت كانت فيه مدينة جيجل مهددة بالمجاعة، واعترافا بهذا الفضـــل دعا سكان البلدة عروج ليصبح ملكا عليهم[3].

بفضل ميناء جيجل أصبح لعروج مرفأ آمنا لإصلاح السفنه، خصوصـــا بتوفـــر ثروة غابية هامة شجعته على إقامة ورشة لإصلاح وصناعة السفن وبالتحـــاق أعـــداد كبيرة من الأندلسين ساهموا في وضع أسس صناعية بحرية في الجزائر ستكون نـــواة بناء أسطول جزائري قوى ومهاب الجانب في المتوسط.

وقد كان من بين من ساعد عروج على الاستقرار في جيجل أحمد بن القـــاضي[4]، الذي التحق بعروج أثناء حصار هذا الأخير لبجاية ليصبح خليفته عليها وعلى إثر ذلـــك تولدت صداقة متينة بينهما والتي سيكون لها أثرا إيجابيا على عروج، غـــير أن عبـــد العزيز رئيس قبيلة بني عباس وعدو ابن القاضي كان قد بذل جهودا كبيرة لفـــك ذلـــك التحالف والصداقة بين عروج وابن القاضي.

---

(1) سنة 1513م وبمساعدة القائد الأسباني آندري دوريا André Doria تمكن الجنويون من الإستقرار في جيجل.

(2) EL OUAZZANI, op.cit ; P.362.

(3) جون – ب – وولف، نفس المرجع، ص30.

(4) أحمد بن القاضي من عائلة أبو العباس الغبريني العالم بعلوم الشريعة والفقه في القرن الثالث عشر الذي كان يعمل قاضيا لدى آخر سلاطين بجاية، ليرقى إلى رتبة خليفة في المنطقة الممتدة من جيجل إلى الصحراء. أنظر عبد الرحمان بن خلدون، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، الجزء الثاني، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، 1992، ص.418.

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

جاءت المحاولة الثالثة لتحرير بجاية في خريف 1515م حيث توجه عروج بأسطوله المشكل من 12 سفينة، وقد اخترق وادي الصومام الذي يصب في البحر وتوغل فيه ثم قام بإنزال جنوده في البر والتحق به عدد كبير من سكان القبائل بقيادة عبد العزيز حاكم بني عباس وأحمد بن القاضي الذي أسس إمارة كوكو في جرجرة سنة 1511م.

وقع الهجوم على القلعة التي يحتمي بها الإسبان عدة مرات[1]. وبعد ثلاث أشهر من الحصار وأمام الخسائر الكبيرة في صفوف جنده إضافة لوصول نجدة إسبانية من خمسة سفن بقيادة مارتين دي رانتاريا Martin de Rentaria، قرر عروج الانسحاب بعد أن نفذ البارود والرجوع إلى جيجل برا، بعد أن قام بإحراق جميع سفنه لاستحالة إعادتها للبحر عبر مصب وادي الصومام لانخفاض منسوب هذا الأخير، والحصار المضروب بحرا على ميناء بجاية. [2]

3- نجدة الأخوين بربروسة لمدينة الجزائر، والاستيلاء على شرشال:

مات فرديناند الكاتوليكي ملك إسبانيا في جانفي 1516م، وجاءت الفرصة للتخلص من المعاهدة المهينة التي قيدت حركة مدينة الجزائر وسكانها وأذلتهم من خلال قلعة البينيون، فاتفق أعيان المدينة وعلى رأسهم سليم التومي على استنجاد ببربروسة فأرسلوا وفدا عنهم مشكلا من عدة شخصيات بارزة لإقناعهم بالمجيء إلى الجزائر وتخليصهم من مضايقة وظلم المسيحيين وتهديم تلك القلعة. وقبل الإخوة نجدة الجزائر أولا لأن خصالهم ونخوتهم في الذود عن الإسلام والمسلمين هي مهمتهم الأولى، ثم تأتي الدوافع الأخرى في مقدمتها مكانة مدينة الجزائر سواء من حيث الموقع الاستراتيجي أو عدد السكان أو النشاط البحري. ويصف هايدو Haëdo استجابة عروج للنداء: "وكما وعد وفى، لأن الميزة الرئيسية لعروج وهي ثمرة طبيعية لروحه الكبيرة المتمثلة في الانضباط والوفاء بوعوده بأسرع ما يمكن"[3].

---

(1) شارل أندري جوليان، تاريخ إفريقيا، تعريب محمد مزالي، الجزء الثاني، الدار التونسية للنشر، 1978، ص.327.
GARROT (H). op. cit.. P.358.
(2) MERCIER (E) . op.cit.. P.428.
(3) Histoire des rois D'Alger. par Fray Diégo de Haëdo. abbé de fromesta. traduit et annotée par GRAMMONT (H.D). in R.A. n° 24. année 1880.P.58.

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz .CERIST.

كما أن أفكار هذا الأخير قد تطورت فلو أنه أراد قضاء بقية حياته كقرصـــان وأميـــر بحر لكانت شهرته وثروته مضمونة، لكنه رأى في ضعف وتشتت المغرب الأوسط ضرورة لإنشاء سيادة سياسية تجلب له القوة والسمعة، وتأدية الواجب في الجهـــاد فـــي ســـبيل الله، وكانت جهوده لتحقيق تلك الأمنية كلّفته ذراعه في بجاية، ثم حياته عندما جهد نفسه في مـــد سلطانه نحو تلمسان.

اختلفت المعلومات حول طبيعة وعدد القوّة التي صاحبت عروج في ذهابه إلى الجزائر فحددها هايدو بـــ 16 سفينة Galliote على متنها 500 جندي مع المدفعية والبارود والذخيرة. أما هو فاتبع طريق البر مع 800 جندي مسلحين بـــالموسكيت mousquets إضافة إلى 3000 من أهل جيجل، والتحق به 2000 رجل آملين في الحصول علـــى الغنـــائم[1]، حيـــث يقـــدر المجموع بـــ 6000 رجل تقريبا، إذا أضيف لها إقدام وشجاعة وقوة ودهاء الإخوة بربروسة فلا نجد تفسير لفشل أول هجوم على حصن البينيون، حاميته لا تتعدى 200 جندي.

أما مؤلف الزهرات النيرات فقد ذكر بأن الأسطول كان مشكلا من سفينتين حـــربيتين وعدد من الجنود، إضافة إلى أربع سفن صغيرة على متنها 280 جنديا و15 قطعـــة مدفعيـــة كبيرة[2]، أما ساندر رانج ودنيس من خلال ترجمتهم لغزوات عروج وخير الدين بأن هـــذا الأخير كان على رأس أربع سفن صغيرة على متنها عدد كبير مـــن الجنـــود و15 قطعـــة مدفعية وقد أرسلهم لنجدة عروج[3]، وباستنتاج بسيط نجد بأن هذا هو الأقـــرب للصـــواب، وكان على تلك السفن أن تجد مكانا آمنا ترسو فيه على جانبي خليج الجزائر دون أن يكتشف أمرها برج مراقبة قلعة البينيون[4].

خرج ابن التومي على رأس وفد أعيان مدينة الجزائر لاستقبال عروج في موقع يبعد عن المدينـــة مسيرة يوم، فأعلمهم بأنه سيتوجه إلى شرشـــال في مهمـــة وسيعود إليهم في أقرب وقـــت، وأنـــه متحمـــس أكثر منهم لتـــحرير المدينـــة. وسبـــب في ذلـــك أن أحـــد

---

(1) Haëdo, op.cit ; P.53.

(2) كورين شوفاليه: الثلاثون سنة الأولى لقيام دولة مدينة الجزائر، 1510-1541، ترجمة حمادنة، د، م، ج، الجزائر، 1991، ص.27.

(3) Sander Rang et Denis, La Fondation de la régence de la Ville d'Alger, les editions, Tunis 1937, T1, P.64.

(4) Haëdo, op.cit ; P.59.

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

مساعديه ويدعى قارة حسان، كان قد سبقه إليها وأنشأ إمارة صغيرة بها ساعدته الظروف التي كانت مهيأة فغالبية سكانها من الأندلسيين القادمين من غرناطة، فلانسيا والأراغون يتقنون ركوب البحر والقرصنة التي امتهنوها للانتقام من الإسبان والإغارة على سواحلها محدثين خسائر كبيرة لمعرفتهم الجيدة لها، ساعدهم قرب المسافة بين شرشال وجزر البليار فالمدة الزمنية للعبور لا تتعدى 20 ساعة[1]. ومما شجع على إقامته سلطة بشرشال والاستقلالية بها خلوها من أي منافس سواء أمير محلي أو شيخ قبيلة، كما أن المدينة تحتوي على ميناء قابل للتوسيع وبتكلفة بسيطة، وظروف العيش متوفرة، فالمدينة محاطة بسهول خصبة مع توفرها على ثروة غابية ضرورية لصناعة السفن التي يتقنها الأندلسيون.

ومن المؤكد أن عروج يدرك جيدا خطورة التوجه مباشرة إلى الجزائر وفي شرشال منافس قد يباغته في أي لحظة ولابد من تأمين تلك الجهة، فتوجه إليها ودخلها دون مقاومة، ثم قام بتصفية قارة حسن، وأخضعها لسلطته[2].وقبل الانسحاب منها ترك بها حامية صغيرة، وتوجه بعد ذلك إلى الجزائر أين استقبله سكانها وأعيانها بحفاوة كبرى لا يحض بها إلا الفاتحون[3].ثم استعد للهجوم على حصن البينيون بعدما طلب من قائد الحصن الاستسلام مع تقديم الأمان له ولجنده، لكن هذا الخير رفض الاقتراح ليبدأ الهجوم مباشرة بواسطة مجموعة مدافع نصبها قرب الميناء ووجهها نحو الحصن، لكن ضعف هذه الأخيرة وقصر مداها حال دون إصابة التحصينات بخسائر، واستمر الحال هكذا مدة 20 يوما، مدة كانت كافية لإدخال الشك والريبة في بعض النفوس من أعيان المدينة حول قدرة عروج على تحرير مدينتهم من الحصن الذي يخنقها، خصوصا وأنه لم يحقق أي تقدم ومما دعم ذلك الشعور عدم تحمل سكان المدينة لغطرسة وتصرفات الجنود الأتراك، وكان سليم تومي من أكثر المتضررين من تلك المعاملة لأنه كان يجو مسؤولية الخضوع للأسبان وتسليمهم المدينة بالسماح لهم بإقامة الحصن، ومع تأزم

---

(1) Haëdo. op cit. p54.
(2) EL OUAZZANI. op.cit.. P.345.
(3) GARROT. op.cit.. P.359.

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

الأوضاع وظهور بوادر تذمر، قام عروج بالتخلص من سليم التومي الذي وجد مقتولا خنقا داخل حمامه، والعملية وقعت داخل قصره المسمى بالجنينة[1]. بعد ذلك نصب عروج نفسه ملكا على مدينة الجزائر.

رغم الطريقة الخشنة في الاستيلاء على شؤون المدينة، لم يمنع مدن أخرى من أن تطلب مساعدة الإخوة بربروسة.

أولى أعمال عروج هي صك العملة، ثم تحصين القصبة، والعمل على تسليح وتقوية وسائل دفاع المدينة، والتوسع وإخضاع المناطق المحيطة بالجزائر وذلك يعني فرض مظاهر سيادة كاملة[2]. كما اعتبر نفسه غير ملزم باحترام المعاهدة المبرمة مع الإسبان ليواصل قنبلة الحصن ويفرض عليه حصار ومراقبة شديدة على منبع الماء، بحيث لا يسمح لحامية الحصن والسفن بالتزود بالماء، مما اضطر الإسبان للتزود من جزر البليار أو مابوركا[3].

إن الأرشيف الإسباني يحتفظ بالرسائل اليائسة المرسلة من نيكولاس الخامس[4] حاكم الحصن والتي يذكر فيها مثلا بتاريخ 08 أوت 1516م لم يعد يوجد بالحصن أكثر من 15 قربة ماء لـ200 شخص محاصرين داخل قلعة البينيون، لذلك كان مرغما إلى التنقل شخصيا إلى مابوركا لجلب الماء والبسكويت ومواد غذائية أخرى لأن الإسبان ليس باستطاعتهم المغامرة بالدخول إلى مدينة الجزائر، كما يحتاجون للمال الكافي لدفع مبلغ 1286 دوكاس Ducuats لقادة السفن التي تمولهم، مع الإشارة إلى أن سكان مدينة الجزائر توقفوا عن دفع الضرائب.

في 15 أوت استمر نقص الماء في حصن البينيون مما تسبب في وفاة العديد من الأشخاص بعد أن قاموا بخلط الخمر بماء البحر وشربوه، أو نتيجة لاستهلاك خبز صنع بماء البحر المالح. ولتشديد الخناق أكثر على الحصن وعزله نهائيا تم إجلاء أكثر من 150 شخصا بين رجال ونساء كانوا يقيمون في الجزر القريبة من الحصن، وأما من

---

(1) BERBRUGER Adrien. Topo graphie et histoire générale d'Aiger par Haëdo. in R.A. T15. 1871.P.386.
(2) GARROT (H). op.cit : P.360.
(3) GRAMMONT (H.D) . op.cit : P.23.
(4) BERBRUGER (A). Le pegnon d'Alger. ou les origines du gouvernement turc en Algérie. Alger 1860. P.35.

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

بقي فيه فالموت يهددهم عطشا إذا لم تسعفهم سفينة ما قادمة من مايوركا ببعض البراميل من الماء. وآخر حل انتحاري أن يرموا بأنفسهم خارج أسوار الحصن ليموتوا وهم يقاتلون بدل الموت عطشا. والعدد الإجمالي داخل الحصن يقدر بـ200 رجل، ولا يمكن الاعتماد إلا على أقل من 100 رجل منهم أما الباقون فهم عبارة عن فلاحين مايوركيين، لا يملكون أسلحة وإن وجدت فهي غير صالحة الاستعمال، ونظرا لتلك الرسائل وما تحتويه من معلومات عن الأوضاع المأساوية داخل حصن البينيون، وتحت الطلبات المستعجلة لقائدها فقد كانت الاستعدادات تجري لتحضير حملة بأمر من الكاردينال خيمينيس.

4- الحملة ديقو دي فيرا Diego De Vera على مدينة الجزائر 1516م وفشلها:

وافق المجلس الملكي الإسباني على إرسال حملة عسكرية لإنقاذ حصن البينيون تحت طلب الكاردينال الذي تدعم طلبه بتوجه ابن سليم التومي طالبا العون من الإسبان، كما أن شيخ مدينة تنس – الذي تأكد بأن وجهة عروج القادمة ستكون مدينته – قد ساند إرسال تلك الحملة وبالطبع شجع حاكم وهران الإسباني المركيز دي كوماريز Le marquis de Gomarès القيام بهجوم على الجزائر خصوصا مع استقرار الإخوة بربروسة بها، تحرك الأسطول نهاية سبتمبر 1516م وكان يضم 35 سفينة من مختلف الأحجام وعلى متنها 3000 جندي[1] بقيادة دييغوديفيرا Diego de Vera الذي عمل قبل ذلك تحت إمرة بيدرو نافارو Pedro Navaro، ووصل إلى ميناء الجزائر في 30 سبتمبر من نفس السنة، رست سفن الأسطول في الخليج إلى الشرق من الموقع الذي سيقام فيه فيما بعد حصن باب عزون، أما إنزال الجنود فتم في اليوم الموالي على الساحل المجاور واد المغاسل[2]، وكان نزولهم غير منظم وبصفة فوضوية مما مكّن قوات الدفاع الجزائرية من الاستعداد الجيد لصدهم.

(1) GRAMMONT (H.D) , op.cit., P.23.
(2) GARROT(H), op.cit., P.360.

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

وتمثلت خطة عروج الذكية بتجميع كميات كبيرة من المؤونة والذخيرة مع تجميع كل القوات المدافعة في نفس المكان بما فيهم سكان المدينة ممن يحسنون استعمال السلاح، أما الصخور الضخمة فكانت أحسن ذرع ومأمن لهم[1].

أما قائد الحملة الإسبانية دييغودي فييرا فقد ارتكب عدة أخطاء الأولى تمثلت في قصف أعلى المدينة وهذا ما جعل مدفعية الحصن دون فعالية لأن مداها أقل من ذلك.

الخطأ الثاني هو تقسيم قواته إلى أربع مجموعات ومهاجمة المدينة من أربع نقاط مختلفة مع استعمال جميع جنوده في المعركة دون حماية مؤخرة الجيش وترك مجموعة احتياطية وهذا ما توقعه عروج فقد انقضى عليهم في هجوم عنيف بجميع قواته مباغتا أعدائه وبسرعة خاطفة تمكن من الوصول إلى معسكرهم فوجده بدون قائد ولا حراسة فأوقع فيهم السيف وقضى على أغلبية من وجدهم، وهذا ما رفع من معنويات جنده وزادهم حماسا، وواصل هجومه وتقتيله للجيش الإسباني مما دفع بقائد الحملة وابنه إلى الاختفاء وراء الصخور طول النهار، قبل أن يتمكنوا من الفرار والنجاة ليلا واللحاق بسفنهم[2]، ومع تتبعنا لمراحل الحركة فكل شيء تم على اليابس أي في البر وهزيمة الإسبانية أيضا، أما هبوب العاصفة البحرية فتسببت في تحطيم جزء كبير من الأسطول ودفعها إلى الشاطئ، فالجنود والبحارة الذين كانوا على متنها وقعوا في الأسر، ولا يمكن للعاصفة أن تفسر الهزيمة. هناك سبب آخر للهزيمة حسب الكتابات الغربية وهي عدم وصول أمير تلمسان مولاي عبد الله رغم اتفاقه مع الإسبان مسبقا على الهجوم معاضد الجزائر.

ولولا نجدة قائد حصن البينيون للجنود الإسبان لما نجى منهم أي واحد.

أما دييغو دي فييرا فقد وجهت له انتقادات لاذعة ووبخ على طريقة تسييره للحملة والهجوم، حتى أنه أصبح سخرية لدى الجميع حيث اشتهرت أغنية كان يرددها الكبار والصغار ملخصها أن هذا القائد انهزم أمام معوق بذراع واحدة[3].

---

(1) BERBRUGER (A) , le pegnon. op.cit ; P.44.
(2) WATBLED (E), Etablissement de la domination Turc en Algerie . In R.A, n°17. 1873, P.356.
(3) GRAMMONT (H.D), op.cit ; P.24.

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

هذا الانتصار الكبير لعروج وبالتحديد في هذا الظرف سيساهم في تعاظم سطوته وإرادته على مجابهة أعدائه، وقد برهن على أنه قائد عسكري كبير وشجاع ورجل سياسي محنك سيضع أسس الدولة الجزائرية[1].

بقي الإشارة إلى أعيان مدينة الجزائر اللذين تعودوا على اتخاذ القرارات وتسيير شؤون المدينة حسب مصالحهم، ولا يمكن لهم المحافظة عليها إذا انعدم الأمن والاستقرار، وهم أصلا أشخاص مسالمون المهم أن يستمر نشاط المدينة وهم في ذلك مستعدون للانطواء تحت أي سلطة بشرط أن لا تمس مصالحهم، وهذا ما تحقق مع مجيء عروج وجنده والقبضة الحديدية التي استعملها في فرض نفسه ومواجهة الإسبان الدين لن يرضوا الانسحاب بسهولة، وهذا ما جلب للمدينة الحروب والمجابهات، ولذلك انتشرت أخبار عن مؤامرة تحاك خيوطها بتواطؤ مع الإسبان ضد عروج ورجاله، ويجتمع حولها كل المتذمرين والحاقدين عليه بدءا بقبيلة سليم التومي للانتقام لمقتل هذا الأخير، بحيث تتسلل مجموعة منهم خلسة إلى المدينة مستغلة السوق الأسبوعي، في نفس اللحظة تقوم مجموعة أخرى بإضرام النار في سفن الأسطول التي كانت قد سحبت إلى الشاطئ، بينما تهاجم بمجموعة ثالثة عروج ورجاله داخل المدينة وتقضي عليهم. الشيء الوحيد الذي لم يكن في الحسبان وهو علم عروج بالمؤامرة والخطة الموضوعة، فاستغل يوم الجمعة وأعيان المدينة مجتمعون في المسجد وقت الصلاة فأغلق عليهم الأبواب وقام بتصفية 20 شخصا من رؤوس المؤامرة، ورمى برؤوسهم في الشوارع[2]، بهذا الأسلوب العنيف قضى على كل إرادة الانتفاض والخروج على طاعته واستتب له الوضع على الأقل لعدة سنوات، بعد ذلك وجه اهتمامه لإخضاع بقية المناطق[3].

---

(1) شارل أندري جوليان، نفس المرجع، ص.328.

(2) Haëdo, op cit, p60.

(3) ALBERTINI, et autres, L'Afrique du nord française dans l'histoire, Ed. Archat, Paris, P.212.

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

في منتصف 1517م وهي السنة التي شهدت أحداث هامة نذكر منها دخول سليم الأول السلطان العثماني إلى القاهرة وتسلم شارة الخلافة من آخر الفاطميين في مصر[1] كما شهدت تتويج شارل كوينت ملكا على إسبانيا. أما عروج فكان مشروعه مستقبلي بتحصين وتسليح وتنظيم مدينة الجزائر، أما أخوه خير الدين فكان مقيما في مدينة دلس ساعيا إلى تنظيم المقاطعة الشرقية.

5- الاستيلاء على تنس والحملة على تلمسان ووفاة عروج 1518م:

خرج حاكم تلمسان أبو عبد الله في حملة على مدينة الجزائر، والذي كان في اتصال مع الإسبان عن طريق حاكم وهران المركيز قوماريز الذي شجع المبادرة بالهجوم على عروج، وكان جيش حاكم تلمسان مشكلا من 10 آلاف فارس خرج بهم من تنس، وتدعمت قواته بـ500 جندي إسباني، و4 سفن إمداد[2]، تتبعهم على طول الساحل، مما دفع بعروج إلى عدم الانتظار والخروج لملاقاتهم، تاركا أخاه خير الدين على مدينة الجزائر، وخرج في جوان 1517م على رأس 1000 من جنوده و500 موريسك[3]، كلهم مسلحين بالموسكيت mousquets وفي طريقه عرج على مدينة المدية ومليانة وواصل سيره غربا ليلتقي جيش أبو عبد الله في واد جر، بسهل الشلف على بعد عدة أميال من البليدة، ومع أول مواجهة تمكن عروج من تحقيق انتصار كبير بفضل التسليح الجيد لجنوده وإتقانهم لأساليب القتال، ووقعت مطاردة للمنهزمين حتى مدينة تنس التي دخلها عروج دون مقاومة[4]. قدم عليه وفد من سكان تلمسان يطلب مساعدته وحمايته ضد السلطان أبي حمو الثالث الذي تحالف مع الإسبان ضد حفيذه السلطان الشرعي أبو زيان[5] وسجنه في المشور ومن هناك طلب نجدة عروج، ودون انتظار راسل أخاه خير الدين بأن يرسل له عبر البحر إلى ميناء تنس عشرة مدافع

---

(1) د/ يحي بوعزيز: علاقات الجزائر الخارجية مع دول وممالك أوروبا، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1985، ص.13.

(2) ALBERTINI. et autres. op.cit : P.212.

(3) الموريسكيون القادمون من إسبانيا ينقسمون إلى مجموعتين حسب موطنهم الأصلي فهناك الأندلسيون Andaleuces موطنهم غرناطة وفلانسيا والثغريون Tagarins. Haëdo. op.cit ; P.62.

(4) GRAMMONT (H.D). op.cit : P.24.

(5) ALBERTINI (E) et autres. op.cit ; P.212

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

صغيرة بذخيرتها لمواصلة السير برا وذلك احتياطا لأي هجوم إسباني قادم من وهـوان وأيضا لاستعمالها في محاصرة تلمسان إن تطلب الأمر ذلك.

بعد جمعه لعتاده وعدته أمر بالسير إلى تلمسان وهو في الطريق انضم إليه العديد من المقاتلين لكراهيتهم لأبي حمو الثالث الملقب بالخائن لتحالفه مع الإسبان، وقد حانت الفرصة للانتقام منه، وفي تقدمه استولى على قلعة بني راشد، ولضمان تراجعه نحـو الجزائر ترك أخاه إسحاق في القلعة مع 300 من رجاله. وكانت المواجهة مع أبي حمـو الثالث في سهل أربال وكانت قوات هذا الأخير مشكلة مـن 6000 فـارس و3000 مـن المشاة، ورغم ذلك فقد ألحق بها هزيمة نكراء وطاردها حتى تلمسان أين فتحـت لـه الأبواب واستقبل من طرف سكانها، بينما فر أبى حمو الثالث إلى وهران طالبا نجـدة الإسبان.

بعد دخوله تلمسان فرض سلطته بقتل أبو زيان وعدد كبير من أعيـان المدينـة ليستقر بعدها في المشور[1] ، أثناء ذلك أرسل مجموعات من جنوده للسـيطرة علـى المناطق المحيطة بتلمسان ووصل حتى وجدة وتيبدا وإلى قبـائل بنـي عـامر وبنـي سناسن، وأمر بتحصين المدينة لأنه كان على علم بنجوء أبي حمو الثالث إلى الإسـبان، وأنهم سيخرجون لتنصيبه عليها، واستعدادا لتلك المواجهة دخل فـي اتصـالات مـع سلطان فاس مولاي محمد الوطاسي على الخطورة التـي تـهدد الإسـلام باسـتيلاء المسيحيين على مدينة تلمسان وهذا في حد ذاته تهديد للمغرب، وحصل منه على وعـد للتدخل لمساندته والوقوف إلى جانبه[2]. يبقى أن تلك المساعدة لم تصل أبدا، رغم بقـاء عروج محاصرا في تلمسان مدة ستة 6 أشهر تقريبا وهو على مقربة من فاس، وكـان يكفي القيام بمناورة لتخويف الإسبان وجعلهم ينسحبون إلى وهران، وهكذا يمكن القـول بأن الاتفاق بقي كمشروع ولم يتحقق ميدانيا[3]. ويدعم هذا الـرأي السياسـة الحـذرة

---

(1) حسب هايدو Haëdo فإن سكان تلمسان هم الذين قتلوا أبي زيان وأرسلوا برأسه لعروج كدليل خضوع وقبول سيادته عليهم.
Haëdo. op. cit.. P.65.

(2) GARROT (H). op.cit.. P.362.

(3) حسب هايدو Haëdo فإن ذلك الإتفاق قد تم فعلا، ويضيف البعض أنه في نفس اللحظة التي قتل فيها عروج كان سا فاس قد وصل إلى مليلة مع جيشه ولما وصلته الأخبار رجع إلى فاس
'o. op. cit.. P.117.

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

لسلاطين المغرب من نمو قوة جيرانهم وإن كانوا مسلمين وهو أخطر ما عـانت منـه العلاقات بين البلدين.

في الوقت الذي تلقى فيه أبي حمو الثالث مساعدة إسبانية بـ600 جنـدي قدمـها المركيز قوماريز حاكم وهران، التحقت بهم القبائل الموالية للأسبان من بنـي عـامر وغيرهم، وأتباع الزيانيين، وتوجه جميعهم إلى قلعة بني راشد أين يوجد إسـحاق مـع 300 جندي لحماية الخطوط الخلفية لعروج، وضمـان الاتصـال بـالجزائر، فتمـت محاصرته ثم الهجوم عليه ورغم المقاومة الباسلة وأمام مقتل ثلثي جنوده طلب إسـحاق الأمان له ولجنده مقابل الاستسلام فحصل عليه وبضمان نقله إلـى تلمسـان، وأثنـاء خروجه من القلعة انقض عليه جنود أبي حمو الثالث والإسبان وقاموا بذبحهم جميعـا، وكان من بينهم أحد أشهر ضباط عروج المعروف بالإسكندر كان ذلـك فـي مطلـع 1518م.[1]

من جهته أرسل "شارل كوينت" نجدة من إسبانيا قوامها 6000 جندي من وهـران توجهت لحصار عروج في تلمسان وعلى رأسها حاكم وهران، واستعمل عروج كـل ذكائه وحنكته في مقاومة حصار استمر 6 ستة أشهر، لتقوم مجموعة من العملاء بفتـح أبواب تلمسان في ماي 1518م للجنود الإسبان فدخلوا المدينة وباغتوا جنود عروج فقتلوا منهم عدداً كبيراً، لكن عروج تمكن من الفرار مع مجموعة قليلة من جنده فتوجه إلـى المشور فتحصن به ينتظر النجدة من سلطان فاس ونظرا لصعوبة المقاومة لقلة عددهـم فقد قرر عروج التسلل ليلا والتوجه نحو مدينة عين تموشنت أين ستصله نجـدة خـير الدين من الجزائر، واستطاع فعلا الإفلات من ذلك الحصار، لكن الإسبان تنبهوا لذلـك وقامت فرقة من جنود الخيالة بمطاردته حيث تـم اللحـاق بـه فـي الـواد المـالح Rio Salado[2]، فتحصن في قلعة قديمة، وقاوم قدر المستطاع بعد مواجهة عنيفـة قتـل

---

(1) GRAMMONT (H.D). op.cit., P.26.

(2) BERBRUGGER Adrien. La mort du fondateur de la régence d'Alger (Aroudj Barberousse). In R.A. T4. 1859 –1860. PP.25-33.

ويعتمد فيه على د/ شاي Dr Shaw وليون في Léon fey إضافة إلى Mac carthy et Marmol وأيضا هايدو أما الإشـكالية فهي تحديد الموقع بدقة الذي قتل فيه عروج بين وادي المالح قرب عين تموشنت وجبل بني موسى (بني سانس) على الحدود الجزائرية المغربية. الموقع الثاني هو الأصح

أغلب مرافقيه ولم ينجو منهم إلا عدد قليل تمكن من العـودة إلـى الجزائـر ليخبر بالنكبة[1]. أما عروج فرغم إعاقته فقد قاوم مثل الأسد حتى قتل وقطعت رأسه ونقلـت إلى إسبانيا[2].

لنترك Haëdo وهو عدو لعروج وإسباني وراهب يلخص لنا حياة هذا الأخير فـي العبارات التالية: "إن أول بربروس كان جنديا مقداما للإسلام، وقد حارب فـي البحـر بدون شفقة أعداء عقيدته، واستعمل ما كان متعارف عليه وبطرق معهودة. ولم يكـن أكثر وحشية من أولائك اللذين كانوا يحاربونه، وبعد أن مكنته انتصاراته الأولى مـن جمع قوات كافية تحت قيادته للقيام بعمل عظيم، استغل بحنكته الفوضى السـائدة فـي شمال إفريقيا لينشئ إمبراطورية، والوسـيلة الوحيـدة لاسـتمراريته تتطلـب طـرد المسيحيين، فهاجمهم في شخص حلفائهم والخاضعين لهم، حيـث يمنـع عنـهم - أي الإسبان - الغذاء والنجدة إلا من إسبانيا.

بداياته كانت ناجحة، وإخضاعه للمناطق الغربية كانت ستمكنه من دفـع الغـزاة الأجانب إلى البحر، لكنه قتل قبل ذلك بسبب خيانة حلفائه، وسوف يندم كل من عمـل تحت إمرته"[3].

6- خير الدين بربروس والنجدة العثمانية:

تأثر خير الدين كثيرا لوفاة أخويه عروج وإسحاق، ونغص عليـه ذلـك عيشـته وأحزنه، كما وجد نفسه في موقع لا يحسد عليه، فالخطر الإسباني مازال قائما مجـبرا المغرب الأوسط على البقاء مشتتا سياسيا إلى قبائل وإمارات ولدت ميتة وكنفيدراليـات متقاتلة، وحساسيات وشكوك تتحكم في تلك الأولقارشيات التجاريـة، فكـان عليـه أن يعوض كل ذلك بسلطة عسكرية قوية بحيث تمكنه من مواجهة التهديد الكاستيلاني[4].

---

(1) جون – ب – وولف، نفس المرجع، ص.31.

(2) GARAMMONT (H.D) . op.cit ; P.27.

(3) Haëdo. op.cit ; P.117.

(4) MONLAÜ Jean, op.cit ; PP. 56-57.

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

وأكبر تهديد المحتمل وقوعه قيام حاكم وهران بحملة على مدينة الجزائر مستعملا الأسطول و6000 جندي التي أرسلها شارل كونيت للوقوف في وجه عروج، يضاف لها احتمال ثورة المناطق التي خضعت حتى الآن، فهي متعودة على الرضوخ لأي سلطة ومستعدة للتحالف حتى مع المسيحيين للحفاظ على مصالحها، مع الإشارة أنه لم يعد مع خير الدين إلا عدد قليل من الجند، بعد أن فقد الجزء الأكبر وأحسنها في حملة عروج على تلمسان، كما أن وفاة هذا الأخير فتحت أنظار الحلفاء المغشوشين في ولائهم، واللذين لم يحترموا فيه إلا المنتصر، ليضاف إلى كل هؤلاء أطماع جيرانه. وقد راودته فكرة ترك الجزائر مع جنوده على متن 22 قاليوطة لولا تماسكه واسترجاع برودة دمه المعهودة[1] كما أيده عدد من بحارته المقربين مقترحين عليه الانتظار حتى تتضح نوايا المسيحيين للقيام بعمل ما. وفعلا وصلت الأخبار بإبحار الأسطول المسيحي نحو إسبانيا، وهذا ما طمأن خير الدين[2].

هناك وجهة نظر ثانية مفادها أن خير الدين استدعى رفاقه وأعيان مدينة الجزائر وأخبرهم عن عزمه في العودة إلى الشرق وسيترك المدينة تحت حماية جنده والمورسيك الثغريون، فتعالت الاعتراضات من كل جانب وترجوه بأن لا يتركهم، فاشترط أنه في حال بقائه سيتوجه إلى سلطان المسلمين حاكم الدولة العثمانية طالبا حمايته[3]. وتلى ذلك نقاش طويل، وفي الأخير ألح عليه أعيان المدينة أن يرسل نائبه الموثوق به، وهو الحاج حسن إلى السلطان يستنجده بينما يبقى خير الدين في مدينة الجزائر للدفاع عنها.

كان عروج يعمل لوحده، ولم يدم ذلك الرجل المنقذ الذي حالفه الحظ منذ البداية، أما خير الدين فقد استطاع أن يجسد مصير المغرب الأوسط بأن وضعه بين أيدي إسطمبول[4]

---

(1) GRAMMONT (H.D) , op.cit ; P.29.

(2) Haëdo, op. cit ; P.118.

(3) أحمد بن أبي ضياف، نفس المصدر، ص11. وأورد فيه جواب خير الدين لأعيان المدينة، بأنه بقي منفردا بلا معين من إخوانه. وقد رأيتم ما فعله بنا صاحب تلمسان من بني زيان، واستعانته علينا بغير أهل ملتنا حتى كفانا الله أمره وصاحب تونس الحفصي لا رأي له في نصرنا وإعانتنا وأسلمنا للعدو ويمنع البارود ولولا لطف الله فالرأي أن نصل أيدينا بالقوة الإسلامية وهو السلطان سليم خان – ونعتمد عليه في حمايته هذه المدينة.

(4) MONLAÜ (J) ,op.cit ; P.57.

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz .CERIST

وحقيقة الأمر أن عبقرية خير الدين في الحرب وفي تسيير الشؤون الداخلية جعلت منه الخليفة الفعلي لأخيه كما سوف يثبته فيما بعد[1].

نهاية 1518م أرسل خير الدين وفدا يرأسه نائبه الحاج حسن إلى السلطان سليم الأول[2] الذي كان موجودا في مصر، وما دام السلطان العثماني في حالة حرب مع العالم المسيحي فقد رحب بهذه الدعوة وهو يعلم قوة وجرأة خير الدين وفرح لهذا الولاء غير المنتظر، خصوصا أن وجود قوة وأسطول إسلامي في الحوض الغربي للمتوسط سيمكنه من توجيه جهوده نحو أوروبا، وافق على طلب خير الدين بما في ذلك صك العملة باسمه، وإرسال 2000 جندي إنكشاري من الجيش النظامي مع أحسن الأسلحة الفردية الموسكيت mousquets إضافة إلى مجموعة مدافع يمكن استعمالها في الحصون والبوادي مع ذخيرتها الحربية، وفتح الباب للمتطوعين للتوجه إلى الجزائر وتسليحهم فبلغ عددهم 4000 متطوع، بالإضافة إلى ذلك فقد أصدر السلطان فرمانا يوضح فيه بأنه قبل ولاء الجزائريين له ووافق على حمايته لهم وأنه يعتبرهم من الآن فصاعدا في قائمة المخلصين الأمناء[3].

أول أعمال خير الدين لفرض الاستقرار والأمن إرسال وحدات من الجنود إلى المدن الساحلية خصوصا منها الغربية تنس، مستغانم وأيضا مليانة في الداخل، للوقوف في وجه أبي حمو الثالث الساعي إلى إخضاع كل التل الوهراني، كما أرسل الأسطول لتنشيط القرصنة.

مجيء الإنكشارية وفر القوة العسكرية الضرورية ليس للدفاع فقط عن مدينة الجزائر ضد الإسبان، ولكن أيضا لتوسيع رقعة الفتوحات العثمانية لتشمل كل المغرب الأوسط ولما لا المغرب ككل، من جهة ثانية فإن ديوان الإنكشارية باعتباره المؤسسة الحاكمة للجيش ستكون أساس حكومة الأيالة في المستقبل[4].

---

(1) Haëdo. op.cit.. P.118.

(2) سليم الأول (1512-1520) كان اهتمامه أكثر بالمشرق وكان يهدف إلى جمع كل العالم الإسلامي تحت الراية العثمانية. في أقل من عشر سنوات تضاعفت مساحة الدولة العثمانية بضم سوريا ومصر من يد المماليك 1517م، وانتقال الخلافة من العباسية إلى العثمانية. في شرق بدأ الصراع مع الشيعة في إيران، في عهده كان دخول الجزائر تحت راية الخلافة كان يحضر الحملة على رودس .
MOURRE. P.1031.

(3) SANDER Range et Denis. op.cit.. P.134.

(4) جون – ب – وولف، نفس المرجع، ص ص.32-33.

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST.

أما الجزائر فستمنح في شخص خير الدين للأسطول العثماني وهو في بداياته دعم القراصنة بتجربتهم البحرية وإتقانهم الملاحة. إن موقف الباب العالي في مساندة الجزائر اعتبر تحدي للهابسبورغ وسيكون بداية صراع بين الدولتين طيلة القرن السادس عشر للسيطرة على بلاد المغرب[1].

7- الحملة الإسبانية على الجزائر وفشلها 1518م:

أمر شارل كونيت بإرسال حملة عسكرية لإخضاع مدينة الجزائر والقضاء على خير الدين وذلك عملا بنصيحة حاكم وهران، مقتنعا بأنه ما زال متأثرا بوفاة أخيه عروج[2].

ووضع على رأس الحملة هوغودومونكادا Don Hugo de Moncada أحد فرسان مالطة ونائبه على صقلية، وشمل الأسطول على 40 سفينة على متنها 5000 جندي من الحرس القديم المدرب، وفي طريقها عرجت على مدينة وهران لنقل المزيد من القوات والاتفاق مع أبي حمو الثالث حاكم تلمسان ليهاجم الجزائر من البر بينما الأسطول الإسباني يهاجمها من جهة البحر.

في 17 أوت 1518 رأى خير الدين سفن الأسطول الإسباني وهي تتقدم دفعة واحدة، وعلى الساعة الرابعة مساءا علم بأنها رست بالغرب من الشاطئ، وقد بعث قائد الحملة برسالة تحذير إلى خير الدين يطالبه بالاستسلام فرد عليه: "السيف هو الذي يحكم بيننا، والمنتصر فينا يكون جدير بحكم هذه المدينة"[3]. نزلت الجيوش الإسبانية برا لمحاصرة المدينة وانقسمت إلى مجموعتين حيث هاجمت الأولى المدينة من الغرب كدية الصابون، والثانية من جهة الجنوب، بينما اصطفت السفن الحربية في صف واحد أمام المدينة وهكذا حوصرت برا وبحرا، ولحسن الحظ فقد اختلفا قائد الحملة الإسبانية هوغودومونكادا ومساعده غونزالفودي ريبيرا، فالأول يريد الهجوم على التو، أما الثاني ففضل الانتظار إلى حين وصول أبي حمو الثالث من تلمسان.

---

(1) MONLAÜ (J). op.cit.. P.57.
(2) Haëdo. op.cit.. P.119.
(3) SANDER Range et Denis. op.cit.. P.107.

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

وفي 23 أوت تسرب جنود خير الدين مستغلين هيجان البحر التي قلصت من حذر وفطنة الأسطول الإسباني وجنوده على طول الشريط الساحلي لتهاجم قـاعدة التمويـل الموجودة على الشاطئ، وأثناء محاولة الفرق الاسبانية إنقاذ قاعدة الذخيرة والمؤونـة انقض عليهم الجزء الأكبر من الإنكشارية التي نزلت عليهم من الجهة اليسـرى فـي هجوم مركز وهم محاصرين بالماء، وفي فوضى لا توصف تم القضاء علـى أغلـب الجنود الإسبان.

وألقت العاصفة البحرية بستة والعشرون (26) سفينة إسبانية إلى الشاطئ لتنتـهي الحملة بكارثة حقيقية لا يمكن تصورها فنصف ½ تعداد الجيش قتلـوا أو وقعـوا فـي الأسر[1]، وبصعوبة ومشقة تمكن هيغو دي مونكادا من الإفلات والنجاة مع مجموعـة من جنوده.

سنحاول استعراض آراء بعض الكتاب والمؤرخين الغربيين اللذين تناولوا الحملـة ونبدأ بهايدو[2] تفسيره للهزيمة هبوب عاصفة هوجاء بصفة فجائية فرمت بأغلب سـفن الأسطول إلى الساحل ليفع الهجوم الجزائري.

دي قرامون[3] وهنري قارو[4] يتفقان على الإنزال الإسباني وعلى تجميعـها فـي كدية الصابون وهنا وقع تطويقها من الأسفل مع منع خطوط الإمداد وسعيا لإنقـاذ مـا يمكن إنقاذه، هاجمت عليها فرق الإنكشارية وقضت على أغلبيتهم. أما من تمكن مـن الصعود إلى السفن الراسية فبهبوب العاصفة تحطمت أغلبيتها على صخور الشـاطئ، وقضت على معظم تموينهم الذي كان يفتقر إلى المخبأ المناسب. وعن قائد الحملة يقود جون – ب – وولف[5]، بأنه كان بطيء الحركة في الإعداد للحملة، ذلك أن مشروعه لم يبدأ إلا بعد أن أضاف خير الدين عنابة إلى حكومته، كما أنه زاد من تحصينات مدينـة

(1) Histoire de L'Algérie. ouvrage publie sous la direction de louis MOUILLESEAUX. texte de jean LASSUS George MARÇAIS. Léo BARBES. Pierre BOYER et jean FARRAN. P.U.F. Alger. P.160.

(2) Haëdo. op.cit. P.119.

(3) GRAMMOND (H.D). op.cit.. P32.

(4) GARROT(H) . op.cit.. P.368.

(5) جون – ب – وولف، نفس المرجع، ص.33.

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

الجزائر. وعندما تم إنزال قواته من الإسبان والطليان قرر مع مجلسه الحربي تـــأخير الهجوم إلى ما بعد وصول حلفائهم من تلمسان، وبقي الجيش ينتظر لمدة أسبوع.

أما دي قرامون وهنري قارو بأن المشكل لم يكن في مونكادا الذي كـــان يملـــك تجربة وقدم خدمات جليلة لإيطاليا تحت إمرة GONZALVE de Courdoue، بحيث جمـــع قواته بسرعة وخرج من صقلية في جويلية 1519م، لكن مع الأسف أضافوا له كمســاعد دي ريبيرا، بحيث حدث سوء تفاهم بينهم عدة مرات والذي تسبب في فشـــل وخـــراب الحملة.

بعد المعركة عرض المآت من الجنود الإسبان والإيطاليين للبيع، وأن أكثر مـــن ثلاث آلاف جندي وستة وثلاثون ضابط وقعوا في الأسر والذين قتلوا أكثر من ذلـــك، وامتلأت السجون. كما نشير إلى أن عدد قليل منهم تمكن من الوصول إلـــى حصـــن البينيون.

كان لذلك الانتصار أكبر الأثر على تدعيم موقف وموقع الجزائر وخـــير الديـــن وزاد من ثقة الناس ورفع من معنوياتهم ومنذ ذلك التاريخ أطلق عليها اســـم الجزائـــر المنتصرة Alger la victorieuse[1]. وتوسع النشاط البحري والقرصنة في البحر المتوسـط ليشمل سواحل كاتالونيا، بلنسية وجزر غربي البحر المتوسط، لقد كانت غارات عنيفـــة دفعت "كورتيز" وبرلمان مملكة الآراغون إلى عقد جلسة في برشـــلونة أثنـــاء شـــتاء 1519م، وصوت على معونة قدرها عشرة آلاف دوكاس سنويا تدفعها إمارة كاتالونيـــا، وممالك بلنسية وميوركة، وسردينيا، فإذا علمنا أن الملوك الإسبان كانوا يعـــانون مـــن الحصول على تلك الاعتمادات من مملكة آراغون عرفنا الكارثة الحقيقة التي حلت بهم، ووجهت تلك الاعتمادات لبناء قوة بحرية لمواجهة الأســـطول الجزائـــري، ولإقامـــة التحصينات ومراكز الرقابة التي ما تزال شاهدة على أن الممالك الإسبانية كانت فعـــلا محاصرة من جهة البحر[2].

---

(1) Histoires d'outre mer. les BARBARESQUES. Paris. 1949. P.120.

(2) جون ـب – وولف، نفس المرجع، ص34.

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

8- صراع ابن القاضي وخير الدين:

من أخطر المشاكل التي واجهها خير الدين في سعيه لإقامة سلطة ودولة قوية في المغرب الأوسط تغير مواقف حلفائه وحتى خيانتهم مثل قضية ابن القاضي، وللأسف اعتمادنا سيكون على الكتابات الغربية. فهناك وجهات نظر مختلفة منها مثلا أن خير الدين حمل ابن القاضي مسؤولية وفاة أخيه بالتخلي عنه وعدم الوقوف إلى جانبه، وانتقاما منه أرسل بفرقة انكشارية بقيادة قارة حسان الذي انتصر على ملك كوكو وطرده من جباله وسيطر على المنطقة[1]. فالتجأ ابن القاضي إلى عنابة ومن هناك تلقى النصح والدعم من السلطان الحفصي الذي لم يقبل تخلي الإخوة بربروسة عنه وازداد حسدا من الانتصارات التي حققوها لتتجدد المواجهة مع خير الدين[2].

وجهة النظر الثانية تفسر سبب العداوة بين خير الدين وابن القاضي كون هذا الأخير يمثل موقف القبائل الداخلية الرافضة لسيادة خير الدين، ومن تم جاء إرسال قارة حسان[3] وما تلاها من أحداث. هناك موقف آخر يرى بأن خير الدين الذي أرسل إلى ابن القاضي طالبا منه تجميع قواته للسير لملاقاة الملك الحفصي لتونس الساعي لاسترجاع سلطته على القسم الشرقي من الجزائر وأثناء التقاء الجيشين وبداية المعركة انسحب ابن القاضي الذي انقلب على خير الدين وهاجمه فوجد هذا الأخير نفسه محاصر بين فكي رحى فكانت الهزيمة تم انسحابه إلى جيجل[4].

يبقى هذا الاحتمال بعيد نوعا ما على أساس أن خير الدين بعد مقتل عروج ساءت علاقته بابن القاضي لموقف هذا الأخير من أخيه، فكيف يثق فيه ثانية ويعتمد عليه ضد الحفصيين.

بعد المواجهة الأولى التي انتهت بانتصار جيش خير الدين، واصل هذا الأخير تقدمه فدخل إلى مدينة عنابة ثم قسنطينة، فتحرك الحفصي مولاي حسن بسبب الغيرة

(1) BERBRUGER Adrien, Les epoque militaire de la grande kabylie, Alger Bastide 1857, p62.
(2) SANDER Range et Denis, op.cit.,P.53.
(3) GARROT (H), op.cit., P.369.
(4) GRAMMONT (H.D) , op.cit., P.33.

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

والحسد من خير الدين ولتقاربه من السلطان العثماني، فأرسل بقوات تونسية[1] إلى ابن القاضي فرجع بها هذا الأخير إلى قلب القبائل الكبرى لاسترجاع ملكه، ودون انتظار توجه إليه خير الدين بجيشه ليلتقي بعدوه في سهل يسر، وأول من تلقى ضربة الانكشاريين هم القوات التونسية التي تراجعت إلى اليسار على مرتفعات فليسة أم الليل، حيث تبعتهم قوات خير الدين إلى هناك، لكن ابن القاضي الذي يعرف جيدا طوبوغرافية بلاده باغت الجيش الإنكشاري وألحق به الهزيمة، وقطع عليه طريق العودة إلى الجزائر [2]، على إثر ذلك لجأ خير الدين إلى مدينة جيجل حيث كان قد أعطى أوامره لالتحاق الأسطول به وبكنوزه ومن بقي وفيا له من حاشية الجزائر[3]. أما ابن القاضي فيواصل مسيرته إلى متيجة فخر بها، ثم دخل مدينة الجزائر فعاث فيها فسادا وتحول إلى شخص غير مرغوب فيه.

إن مدة إقامة ابن القاضي وجنده في الجزائر دامت خمس سنوات 1520م - 1525م وسيرتهم غير محمودة فعاثوا فسادا وأثاروا السكان ضدهم، ونهبوا وسرقوا واغتصبوا الحرمات، وبدأ الناس يحنون لفترة خير الدين، وقد رأى البلدة الحضر والأندلسيون أن العثمانيين كانوا أخف الضررين. التساؤل الذي تكرر مرارا لماذا لم يستغل الإسبان الفرصة لاحتلال المدينة ؟ الإجابة الوحيدة والمنطقية هي اتفاق ابن القاضي معهم وخضوعه لهم، وأن عدوهم لم يعد موجود في المدينة.

التساؤل الثاني وهو موقف الدولة العثمانية، وعدم تقديمها السند والعون، أو على الأقل اتخاذ موقف من الأحداث التي وقعت ؟ ويجيب البعض بأن الجزائر لم تكن في تلك الفترة ذات أهمية استراتيجية ولم تصبح بعد إيالة عثمانية.

---

[1] كان لسلطان تونس الحفصي مرتزقة من المسيحيين لحمايته بسبب كره الرعية له.

[2] كورين شوفاليه، نفس المرجع، ص. 45.

[3] MOUILLESAUX, op.cit ; P.162.

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

ووجدنا جواب أكثر إقناعا على أساس أن خير الدين طلب النجدة من السلطان العثماني سليمان القانوني[1] لكن هذا الأخير لم يكن بوسعه تقديم مساعدة هامة وفعالة لأن جيوشه كانت في حالة حرب وحصار لاحتلال جزيرة رودس 1522م، كما كان يستعد لغزو حوض الدانوب والذي سيوصل جنده حتى أسوار فيينا[2].

أما خير الدين فانطلاقا من جيجل مركزه الجديد عاد للنشاط البحري والقرصنة وفي إعادة بناء قواته، فكانت سفنه تبحر حتى جنوة وجزر البليار والسواحل الإسبانية لإنقاذ المزيد من المهاجرين الأندلسيين التي بقيت مهمته الأولى.

تمكن خير الدين من دخول عنابة فقام بتحصينها تم ترك بها حامية وتوجه إلى القل متبعا أسلوب أخيه عروج بالسير برا، فاستولى على مدينة قسنطينة وهي قاعدة لمواجهة السلطان الحفصي في تونس، لضمان نجاح حملته لاسترجاع الجزائر أقام تحالف مع عبد العزيز أمير قلعة بني عباس وعدو ابن القاضي وتوجه إلى الجزائر وشجعه في ذلك وصول أخبار عن تذمر سكان المدينة من تصرفات جند ابن القاضي وأنهم نادمون على فراقه.

حاول ابن القاضي الاتصال للتفاهم مع خير الدين لكن هذا الأخير رفض كل المحاولات[3].

نزل خير الدين في مدينة دلس سنة 1525م ومنها توجه إلى وادي سباو ليلتحق بابن القاضي وجنده ويلحق بهم هزيمة نكراء، وحاول هذا الأخير الفرار إلى مرتفع بني عائشة (الثنية) وانقلب عليه بعض أتباعه، حتى أن سكان كوكو كانوا يرغبون في السلام فقتلوا ابن القاضي وقدموا رأسه إلى خير الدين دليل خضوعهم لسلطته[4].

---

[1] سليمان القانوني (1520-1566) بلغت الدولة العثمانية في عهده أقصى توسعها، استولى على بلغراد 1521 استطاع اخضاع أغلبية البحر بعد معركة موهاكس Mohacs (28 أوت 1526) حاصر فيينا (سبتمبر أكتوبر 1529) دون نتيجة دخلت الجزائري في عهده تحت مضلة الدولة العثمانية أمام هجمة هذه الأخيرة، كانت أوروبا مشتتة ومقسمة فرنسا التي تبحث فقط عن مصالحها تحالفت معه ضد شارل كوينت وحصلت على الامتيازات MOURRE. op cit. p1162.
أنظر ملحق(2)

[2] جون - ب - وولف، نفس المرجع، ص.38.

[3] Les BARBARESQUES , op.cit ; P.121.

[4] GARROT (H), op.cit ; P.369.

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

استمر خير الدين في قتال الحسين شقيق ابن القاضي أكثر من عامين وبعد أن يئس هذا الأخير مع فقدانه لعائلته وثروته، أعلن عن استسلامه فعفى عنه خير الدين وفرض عليه جزية سنوية مقدارها 30 حملا من الفضة، أما قبائل بني عباس فمنحهم الأمان.

أدرك خير الدين بحنكته السياسية ضرورة التحكم في البلاد خصوصا المدن المستقلة قبل أي مشروع حربي ضد الحصون والمحميات الإسبانية، فقام باسترجاع تنس وشرشال وعاقب شيوخها المتمردين، بعد ذلك وجه جهوده للقضاء على تمرد في مدينة قسنطينة 1528م.

أما من الناحية الغربية فلقي تسهيلات، عندما قبلت مستغانم الانطواء تحت سلطته سنة 1526م، فأكسبه بذلك مرسى آمن وهام وغير بعيد عن وهران تمكنه من نقل المدفعية والذخيرة الحربية لاسترجاع هذه الأخيرة، وإخضاع تلمسان ومراقبة سلطنة فاس. وتمكن من التحكم في المنطقة الممتدة من جيجل إلى مستغانم ما عدا بجاية. وأصبح باستطاعته مواجهة الحملات الإسبانية بثقل ووزن بلد محكوم من الداخل[1]. الخطوة الموالية لخير الدين انتزاع الشوكة التي في قلب مدينة الجزائر حصن البينيون.

9- طرد الإسبان من حصن البينيون 1529م وانعكاساته:

بني هذا الحصن منذ 18 سنة لمراقبة المدينة ومنع نشاط قراصنتها، وحان الوقت للتخلص منه، فقد تسبب في متاعب كبيرة للأخوة بربروسة بعد استقرارهم في الجزائر، من ذلك إبقاء سفن الأسطول خارج باب الواد وكان تعداده 20 سفينة وهذا حتى تعود بعيدة عن مدى المدفعية الإسبانية، لكن سحب السفن للشاطئ كان يتطلب مجهود كبير من البحارة، ثم إعادتها إلى البحر، ثم أن إصلاح السفن وتمويلها يتطلب وجود ميناء صالح لذلك ومؤمن، فكان من الضروري استرجاع الحصن، قائده الإسباني آنذاك هو دون مارتين دي فارغاس Don Martin de Vargas ومعه 200 جندي وكان من الصعب تموينه للحصار الدائم المفروض عليه كما سبق الإشارة له.

---

(1) MONLAÜ (J) . op.cit.. P.59.

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

قام خير الدين بنصب مدفعيته ذات الحجم الكبير في مقابل الحصن، وقام بصناعة قذائف مدفعية خاصة في الجزائر، مع إصلاح القطع الفاسدة. وقبل بدأ الهجوم أرسل خير الدين لحاكم القلعة يقترح عليه الاستسلام مقابل الأمان لكن هذا الأخير رفض العرض[1]. وهو ما كان يتوقعه خير الدين وبدأ بقنبلة الحصن يوم 06 ماي 1529م بواسطة بطارية المدافع، واستمر ذلك ثلاث أسابيع[2]. رد الإسبان على ذلك بقصف منارات المساجد ونجحوا في تدمير بعضها ومنها منارة الجامع الكبير[3].

شدة القصف من الجانب الجزائري تسببت بإسقاط برجي المراقبة للحصن كما تم تحطيم السور المحيط بالقلعة وقتل عدد كبير من المدافعين عنها.

ولإعطاء قوة وفعالية أكثر لضرباته لم يتردد خير الدين في الاستيلاء على مدفعية إحدى السفن الفرنسية التي كانت راسية في الميناء لإصلاحها وترميمها.

أمر خير الدين كل السفن والقوارب بالتحرك، وأطلق إشاعة بأنها متجهة للسواحل الإسبانية، لكنها عادت في منتصف الليل من ميناء تامنفوست الذي اختفت فيه طول النهار وكان الإسبان قد أخذوا قسط من الراحة وفي ليلة الخميس إلى الجمعة من 27 ماي اقتربت السفن من الجزيرة وحاصرتها، ثم قامت بإنزال قواتها التي هاجمت الحصن وتمكنت من أسر جميع من فيها[4]. مباشرة بعد ذلك أمر خير الدين بتهديم الحصن والسور المحيط به ولم يحتفظ إلا ببرجي المراقبة على أحدهما نصب منارة (فنار) لإرشاد السفن، وعلى ثانية بطارية مدفع، ثم قام بربط الموقع باليابسة فشكل بذلك رصيف بطول 200 متر وعرض 25 متر وارتفاع أربع أمتار مكن ذلك من حماية الميناء والسفن الراسية من الرياح الشمالية والشمالية الغربية[5]. ما إن هدم الحصن، حتى وصلت سفينة نقل إسبانية تحمل الجنود والغذاء والذخيرة إلى خليج الجزائر، وفي الوقت الذي كان قائدها يبحث عن الحصن، معتقدا أنه أخطأ الطريق، هاجمه خير الدين واستولى على السفينة في 1 جوان 1529م وكان على متنها 700 جندي أضيفوا لأسرى

(1) Haëdo. op.cit ; P.125.
(2) JALABERT (P). op.cit. P.111.
(3) SANDER Range et Denis . op.cit ; P.223.
(4) Haëdo. op.cit ; P.125.
(5) GRAMMONT (H.D). op.cit ; P.35.

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

الحصن[1]، خلال سنتين عمل أكثر من 2000 أسير في هذا المشروع، وأضـــافوا إلـــى الإنقاذ صخور ضخمة جلبوها من المحاجز، واجتمعت الجزر الأربعـــة لتشـــكل نـــواة الميناء الحالي[2]. ومنذ ذلك اليوم أصبحت مدينة الجزائر كابوس يثير الرعب والهلع في حوض البحر المتوسط والمكان المفضل للقراصنة، فالدولة تشكلت نهائيا.

كان لهزيمة الإسبان وطردهم من حصن البينيون صدى في كل بـــلاد المغـــرب، فثار سكانها على الإسبان في بجاية ولولا قوة التحصينات والمدفعية لسقطت بدورهـــا. أما في تلمسان فبعد وفاة أبي حمو الثالث خلفه أخوه أبو محمد عبد الله، الـــذي ســـعى لقطع الصلات مع الإسبان في وهران مستغلا الضغوطات ومطالبهم المتجددة لتزويدهم بما يحتاجونه والذي تسبب في تذمر الرأي العام باعتباره خادم المسيحيين.

وبوصول أخبار انتصارات خير الدين انتفض علانيـــة، رافضـــا دفـــع الجزيـــة ومتذرعا بالهجمات Les razzias التي تعاني منها رعيته، وعقد تحالفا سريا مـــع خـــير الدين[3].

أما حاكم وهران الإسباني قوماريز Gomarez فعزل من منصبه لـــسوء تســـييره، وتحت ضغط الرسائل التي كانت ترسل عن سوء معاملته لرعيته داخل وهران[4].

في نشوة النصر المحقق توجهت 15 سفينة من الأسطول الجزائري إلى الســـواحل الإسبانية محدثة هلعا على طول الساحل مما دفع السكان إلى الهجرة نحو الداخل، تلقـــى أثنائها قائد الأسطول الإسباني فريدريك بورتوندو Fréderic Portundo الأمـــر بمطـــاردة أسطول خير الدن فالتحق به والتحم الأسطولان بين جزيرتي Foumentera و Iviça فكـــان رد فعل السفن الجزائرية الهجوم على سفينة القائد الإسباني وقتله، ومن بين 12 ســـفينة لم تنجو إلا سفينة واحدة. ولرد الاعتبار بعد سقوط حصن البينيون وهزيمة الأســـطول الإسباني دعى شارل كونيت لعقد اجتماع مجلس الدولة، وتم الاتفاق على توجيه حملـــة

(1) GARROT (H) , op.cit, p370.

(2) هايدو Haëdo يتحدث عن سفينة من نوع Brigantin محملة بالبارود والذخيرة و 600 دوكاس ducats للمدافعين من الحصن. Haëdo, op.cit ; P.126.

(3) GARROT (H) , op.cit ; P.370.

(4) GRAMMONT (H.D), op.cit ; P.36.

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz ·CERIST

ضد الجزائر وباقتراح من أندري دوريا André Doria[1] تم اختيار مدينة شرشال كنقطة ارتكاز للحملة.

---

(1) أندري دوريا 1466- 1560 أصله من جنوة، أمير بحري مرتزق كان يملك أسطول بحري حربي معد لخدمة من يدفع المال في البداية كان في خدمة ملك فرنسا فرانسوا الأول، ثم تحول إلى شارل كوينت ملك إسبانيا 1528 وخلال بقية حياته كان أهم أمير بحري إسباني واستمرت عائلته دوريا في خدمة ملوك إسبانيا كبحارة مرتزقة خلال القرن 16 م.
MOURRE. op.cit ; P.297.
انظر ملحق (2)

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

الفصل الرابع

التحالف الجزائري الفرنسي خلال القرن 16م وانعكاساته

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

سنحاول إبراز أثر الصراع الجزائري الإسباني على أوروبا والعلاقات فيما بين دولها من خلال مساهمة الجزائر الفعالة إلى جانب الدولة العثمانية رافعة لواء الخلافة الإسلامية في مواجهة إسبانية زعيمة العالم المسيحي.

ساعين رفع اللبس عن تقزيم الدور الجزائري في تلك المواجهة وإعطائه دورا ثانويا، أو في أحسن الأحوال مجبرا على القيام به تطبيقا لأوامر صادرة عن الباب العالي ولا سيادة له عليها بالقبول أو الرفض حسب المصادر الغربية رغم اعترافها بالمساهمة الفعالة للأسطول الجزائري بقيادة خير الدين بربروس الذي سوف يتولى إمرة والقيادة للأسطول العثماني، وهذا ما يبرز أهمية ودور الجزائر الدولي خلال القرن السادس عشر وما بعدها.

وفي الحرب كما في السلم لا يوجد حليف دائم أو عدو دائم، المصالح هي التي تحدد العلاقات وهذا ما ينطبق على العلاقات الإسبانية الفرنسية خاصة والأوروبية عامة.

1- الاتفاق الفرنسي الإسباني وفشل آندري دوريا أمام شرشال:

اعتبر شارل كوينت هزيمة أسطوله وضياع حصن البينيون إهانة لشخصه وهو إمبراطور أوروبا وقائد العالم المسيحي بمباركة من البابوية[1]، فكلف آندري دوريا بتحضير حملة على الجزائر ولضمان نجاحها عقد صلحا مع فرنسا المعروف بصلح كامبري Cambrai أو "سلام السيدات" والذي أنهى الحرب ولو مؤقتا بين عائلتي الهابسبورغ والفالوا، وكان ذلك في السنة نفسها التي هب فيها الألمان لصدي الجيوش العثمانية عن أسوار فيينا.

---

(1) MANUEL FERNANDEZ ALVAREAZ, historia de Espagna, La Espania de Carlos V, Tome 20, Madrid, 1982, P.22.

شارل الخامس: الملقب شارل كوينت Charles Quint 1500-1558 ملك إسبانيا تحت اسم شارل الأول (1516/1556)، وامبراطور ألمانيا (1519/1556) ابن فليب الجميل وجيان المجنونة، كان من جهة الأب حفيد الإمبراطور ماكسيمليان الأول الهابسبورغ، ومن الأم حفيد الملوك الكاثوليك فرديناند الأراغوني وإيزابيل القشتالية. عند وفاة أبيه 1506 أصبح شارل ملك هولندا ولصغر سنه فخالته هي التي سيرت الإمارة، مارغريت النمساوية، 14 ماي 1516م أعلن من بروكسل وتحت اسم شارل الأول ملكا على اسبانيا والصقلتين والأمريكا، اختاره الناخبون الألمان إمبراطور عليهم سنة 1519م ليأخذ اسم شارل الخامس، وهكذا أصبح على رأس امبراطورية لا تغيب عنها الشمس. أنظر ملحق (2).

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

دعمت فرنسا الأسطول الإسباني بعدة سفن بحرية، وأبحر دوريا من جنــوة فــي جويلية 1531 بتعداد 20 سفينة حربية على متنها 1500 جندي، وحسب رسائل الأســرى في شرشال، الذين أعلموه بسهولة تحريرهم، والاستيلاء على المدينــة، مــع تحطيـم الحاجز الذي يحمي الميناء والذي بدأ خير الدين في توسيعه وتأمينه[1]. عامل ثاني جعل شرشال هي الهدف كنقطة ارتكاز للحملة ضد الجزائر ، كونها أقــرب نقطــة لجـزر البليار، والرجوع إلى إسبانيا يمكن تحقيقه في أقصر مدة ممكنة، وتتفق أغلب المصـادر على سرد الوقائع كما يلي: بعد نزول الجنود الإسبان في مدينة شرشال، وفي هجــوم سريع تمكنوا من تحرير 700 أسير مسيحي كانوا مستعملين في توسيع الميناء. وأعطيت أوامر للجنود بالعودة بسرعة إلى سفن عند تلقي الإشارة اتفق عليها، مع عــدم سـلب ونهب المدينة خوفا من وصول الأسطول الجزائري، مع سهولة السيطرة على المدينــة وفي الوقت الذي توجه فيه الأسرى إلى السفن انشغل الجنود بنهب المدينة،وحمل الغنائم في الوقت الذي انسحب فيه السكان واغلبهم أندلسيون، وأمام فوضى الجنود الإســبان انقضوا عليهم مرة واحدة فألحقوا بهم هزيمة نكراء، ثم توجه المدافعون إلــى قصـر المدينة وكان على شرفته مجموعة مدافع صوبها نحو سفن الأسطول، مما دفع بقــائده دوريا إلى الانسحاب لإنقاذ ما بقي منه تاركا جنوده على الساحل فوقع منهم 600 أسير إسباني وإيطالي[2]. مصادر أخرى تتحدث عن وصول خير الدين لنجدة المدينة وفــي مطاردته لدوريا استولى على سفينتين محملتين بالأسلحة والغذاء[3].

اصبح خير الدين مع نهاية 1531م سيّد الحوض الغربي للمتوسط يبحر بأســطوله المكوّن من 36 سفينة في كل الإتجاهات، وكان على رأس اهتماماته رغــم الحـروب والحملات إنقاذ المزيد من الأندلسيين الفارين من الاضطهاد الكنيسة، فعمــروا مـدن الساحل وساهموا بقسط كبير في تنشيط الحياة الإقتصادية والاجتماعية للمدن الجزائرية، إضافة لوجود أكثر من 7000 أسير مسيحي يشتغلون في تحصين المــدن أو التوسـيع الموانئ وفي ورشات الصناعة الحربية.

---

(1) Haëdo. op. cit.. P.127 .
(2) GRAMMONT (H.D). op.cit.. P.37.
(3) GARROT (H) . op.cit.. P.372.

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

أما الأسطول بقيادة خير الدين وبمساعدة سنان باشا، شعبان رايــس، ودرغــوت باشا، حسن آغا مكن من نقل نشاطه إلى المحيط الأطلسي عبر جبل طارق معترضين القاليوتات الإسبانية المحملة بكنوز العالم الجديد والمتوجهة نحو مدينة كاديكس Cadix، وكان ذلك وراء إزدهار المدينة إلى درجت جعلت المسلمين يشبهون مدينــة الجزائــر بتلك العروس الشابة كل عريس يغال في تقديم المهر الذي يليق بهــا[1]. فانتصــارات الأسطول الجزائري لم تجعله يزداد جسارة وجرأة فقط بل رفع من مكانة وسمعة خير الدين لدى السلطان العثماني ليتحول إلى عنصر رئيسي فــي الاســتراتيجية البحريــة للمتوسط[2].

2- خير الدين بيلرباي وقائد الأسطول العثماني:

الجهود التي بدلها خير الدين بدأ باستقراره في الجزائر وخصوصا تحطيم حصن البينيون، جهاده ضد أعداء الإسلام من المسيحيين، تحريــر آلاف الأندلســيين الــذين أنقدهم، سمعته التي اخترقت الآفاق، دفعت السلطان العثماني إلــى منحــه المنصــب والمكانة التي تليق به باستحداث منصب ولقب جديدين بيلربــاي أي أميــر الأمــراء، وأميرال باشا الأسطول العثماني وحتى الوضع على الجبهة الأوروبية تطلــب تقســيم المهام، مع عودة المواجهة بين فرنسا وإسبانيا. الحروب بين الممالك الأوروبيــة مــن سهول المجر حيث قتل ملكها على يد العثمانيين، ووصولا إلى جبال البيريني حيث كان ملك فرنسا فرانسوا الأول في حالة حرب ضد إسبانيا، وحتى أثناء فترة الهدنــة التــي أعقبت سلم كامبري إلا أن فرانسوا الأول لم يمنعه ذلك من إرسال مبعوث إلى كل من السلطان سليمان القانوني وخير الدين يقترح عليهما القيام بعمل مشترك ضد أســطول أندري دوريا المرتزق للانتقام منه بسبب هروبه من خدمته لخدمة ملك إسبانيا شــارل كوينت[3] وذلك سنة 1528م[4].

(1) GARROT(H) , op. cit., P.372

(2) جون- ب – وولف، نفس المرجع، ص41.

(3) سبب فرار أندري دوريا من خدمة فرانسوا الأول هو عدم دفع هذا الأخير أجر ومستحقات دوريا، وكان ملك فرنسا يوصف بالبخيل، رغم أنه مكن فرنسا من امتلاك أسطول، فما كان منه إلا الإنتقال إلى خدمة شارل كوينت مع الدفع المسبق والتقدير الذي خص بع عكس الإزدراء الفرنسي. Les BARBARESQUES, op.cit., P.126.

(4) يحي بوعزيز، العلاقات، نفس المرجع، ص.15.

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

طموحات فرانسوا الأول لا حدود لها وغايتها السيادة على أوروبا ولتحقيق ذلك الهدف طبق المثل القائل، أعداء أعدائي أصدقائي، على أن شارل كوينت مثل عقبة أمام ذلك الطموح فنشطت الديبلوماسية الفرنسية ولعبت دورا فعالا في تشجيع العثمانيين والوقوف إلى جانبهم ضد الإسبان منذ 1521 السنة التي عرفت سقوط بلغراد في يد العثمانيين، وواصلت نفس الأسلوب النفعي رغم سقوط جزيرة رودس 1522 في يد المسلمين، وهي آخر معاقل المسيحيين في الشرق ولتعويض فرسان القديس جون فقدانهم رودس، تنازل لهم شارل كوينت على جزيرة مالطا، وكلفهم بإقامة حصن لهم في طرابلس سنة 1528[1].

جاء انتصار المسلمين العثمانيين على المسيحيين في موهاكس Mohacs، بالمجر ومقتل ملكهم وفرض عليهم ضريبة مع خضوعهم، ليعقب ذلك حصار فيينا سنة 1529[2].

إختار السلطان سليمان القانوني خير الدين لقيادة الأسطول العثماني ليضرب به أندري دوريا قائد الأسطول الإسباني الذي أغار على خليج كورينث Corinth سنة 1528م واستولى على باتراس Patras، ومما دعم هذا الاختيار فشل الحصار على فيينا 1529م بسبب جيوش شارل كوينت، وجنود أخيه فرديناند ملك الرومان.[3] فلا بد من فتح الطريق للفتوحات العثمانية إلى أوروبا الوسطى بتقليص تعدادها من خلال الإغارة على سواحل إسبانيا، وستكون مهمة الأسطول الجزائري وخير الدين، وهذا ما يقودنا إلى نجدة الموركسين الأندلسيين حيث كثرت مظالمهم واستنجادهم بالسلطان العثماني، والانتقام لهم مما عانوه على يد الإسبان. لقد وصلت أصداء الأعمال البطولية للأسطول الجزائري بقيادة خير الدين الذي بإمكانه قيادة جيش مسلم إلى إسبانيا ذاتها.

---

(1) EL OUAZZANI. op.cit ; P.406.

(2) AUPHAN Paul. Histoire de la Méditerranée. Paris. P.170.

MANUEL fernadez Alvarez, Historia, op.cit : P.417

(3) تنازل شارل كوينت لأخيه فرديناند الأول عن الدويلات النمساوية الموروثة وذلك سنة 1522م، مما سيقسم أسرة الهاسبيورغ إلى فرعين الأول إسباني (اسبانيا – الأراضي المنخفضة، وجزء من ايطاليا، يتولاه فليب الثاني ابن شارل كوينت – الفرع الثاني نمساوي بعد وفاة فرديناند الأول 1564م سينقسم إلى ثلاث فروع.

MOURRE , op.cit ; P.503.

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

وهنا جاء استدعاء خير الدين إلى إسطمبول لمناقشة موضوع تدعيم الأسطول العثماني بالأسطول الجزائري وتولي قيادته أثناء الحملات، ما عدا ذلك فمهمته التواجد والإشراف على الحوض الغربي المتوسط ثم أن السلطان أراد مقابلة خير الدين شخصيا.

علم شارل الخامس بمغادرة بربروس الجزائر لكنه كان يجهل الوجهة المقصودة والغرض منها وأنها بدعوة من السلطان. توجه خير الدين إلى اسطمبول سنة 1533م، تارك مدينة الجزائر بين يدي حسان آغا أقرب مساعديه وأكثرهم كفاءة يساعده في مهامه الحاج بشير وعلى ساردو[1].

وصل خير الدين بأسطوله في موكب مهيب أحدث ضجة كبرى عند وصوله، بحيث أنه في البداية كان مشكلا من عشرة سفن، ووصل إلى اسطمبول ب 26 سفينة استولى عليها في غارات على السواحل الإيطالية محملة بأثمن الغنائم واستقبل من طرف السلطان ورفعه إلى رتبة قبطان باشا بمعنى الأميرال الأكبر للأسطول العثماني[2]. ليبدأ تعاون بين الجزائر والدولة العثمانية في مواجهة إسبانيا والبابوية طيلة القرن 16م.

3- خير الدين يتوجه إلى تونس واستنجاد حاكمها بالإسبان 1534م.

وقوع تونس في خليج صقلية والذي جعلها تقابل هذه الأخيرة إضافة لنابولي ومالطة وكلها خاضعة للمسيحيين الإسبان وحلفائهم، والتي تمنح لسفن هذه الأخيرة الأمان كما أنها قواعد بحرية تزودهم بالماء والطعام، والخشب، وفي حالة حرب تمكن من يسيطر عليها في عزل الأسطول العثماني الجزائري مع قطع طرق الإمداد، خصوصا أن حكام تونس الحفصيين هم أعداء خير الدين في الجزائر إضافة لضعفهم عن صد أي هجوم، وكان يحكمها مولاي حسن أصغر أبناء

---

(1) PRIMAUDAIE (de. la): Document inédits sur l'histoire de l'occupation espagnole en Afrique. mémoire sur les affaires d'Alger. Arch . de simancas – estado. legajo 461. R.A. n°19. 1875.P.266.

(2) ROY. J.E : Histoire de l'Algérie depuis les temps les plus recules jusqu'a nos jours. Tours. 1859. P.113.

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

مولاي محمد الذي حكم تونس مدة 28 سنة وتوفي 1526[1]، عند جلوسه على العرش لم يكتف بقتل وفق عيون اخوته وأخواته، بل تعداها إلى جميع أفراد عائلته من قريب أو من بعيد ولم ينج من تلك المذبحة سوى الرشيد الذي استنجد بخير الدين[2]، لذي أرسله أعيان وعامه أهل تونس لما عانوه من تجبر سلطانهم، وأنهم مستعدون على جعله حاكما عليهم[3].

كذلك بدايات خير الدين وأخيه عروج كانت من تونس حيث حطو بها الرحال وبدأ نشاطهم البحري، ومكنهم ذلك من ربط علاقات الود والصداقة مع أغلبية الأندلسيين الذين شجعو على مساعدتهم، ولإقناع السلطان بلإستيلاء على تونس اصطحب خير الدين معه مولاي رشيد إلى اسطمبول، وفعلا استجاب الباب العالي وقبل المشروع خصوصا أن الفوضى والاضطرابات كانت عامة وضم تونس يعني السيطرة على كل المغرب في انتظار فاس[4]. غادر أسطول خير الدين القرن الذهبي على رأس 10 آلاف مقاتل، وفي طريقة أغار على جنوب إيطاليا وتوقف عدة مرات لأخذ الغنائم ووصل في 16 أوت 1534م إلى حلق الواد حيث استولى عليها دون مقاومة تذكر وتوجه برا إلى تونس وعلم حسن بذلك ففر من تونس مع عائلته إلى القبائل التي يربطها بها صلات قرابة ونسب محملا بما إستطاع من مال، ودخلها خير الدين بعد أن فتحت له أبوابها[5]. واستقبل كالفاتحين، واعتقد أصدقاء الرشيد بأنه سينصب على العرش، لكن نوايا خير الدين كانت الإشراف على تونس مباشرة وإلحاقها بالدولة العثمانية، ومن جهته حاول مولاي حسن استرداد ملكه فجمع 1000 فارس وتوجه نحو تونس فألتقي بجيش خير الدين عند باب الجزيرة، ورغم صمود أنصار مولاي حسن إلا أنهم هزموا في نهاية الأمر[6]. وهكذا دخلت مدن تونس تحت نفوذ خير الدين مثل

---

(1) توفي مولاي محمد مسموما على يد إحدى زوجاته، حتى يتسنى لإبنها مولاي حسن من تولي مقاليد الحكم وكان ذلك في فيفري 1526م.
EL OUAZZANI, op.cit ; p.388.

(2) جون – ب – وولف، نفس المرجع، ص.46.

(3) Haëdo, op.cit ; P.5

(4) ROY. J.E, op.cit ; P.113

(5) GARROT Henri, op.cit ; P.373.

(6) Haëdo, op.cit ; P.131.

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz :CERIST

باجة، بنزرت، المهدية سوسة، موناستير ، جربة، وبهذا أصبح نفوذه يمتد على طـول الساحل التونسي حتى عنابة.

أما مولاي حسن فراسل شارل كوينت يستنجده ضد خير الدين، هذا الأخير توجه إلى تحصين المدينة وإقامته القلاع بإستخدام الصخور في حلق الواد، وحـول البرج الصغير بها إلى قلعة محصنة بالمدفعية والذخيرة ووضع بها 1500 جندي، ثـم توجـه لسفن الأسطول فأفرغها من أسلحتها ووضعها في مأمن عند خليج حلق الواد.

فإمكانية قيام دولة إسلامية في شمال إفريقيا متحالفة مع الخلافة العثمانية ستشـكل تهديدا عظيما لإسبانيا. فقبل شارل كوينت استنجاد سلطان تونس وحث اندري دوريـا على القيام بحملة لإحتلالها[1].

من جهة ثانية تشجع مولاي محمد أمير تلمسان والذي خلف أباه على الإمارة سنة 1534 فتحالف سريا مع خير الدين، ورفض دفع الجزية وتموين وهران التي فرضـت على أبيه قبل ذلك، أكثر من ذلك فقد حاول استرجاع المرسى الكبير ابتداء مـن مـاي 1535، مما دفع بحاكم وهران الإسباني الكوديت لمنع تلك المحاولة بتشجيع أخيه عبد الله للخروج عليه، وفعلا وقعت مواجهات بين الأخوين انتهت بهزيمة عبد الله رغم تدعيـم الإسبان، الأولى وقعت في تيبدا Tibda، والثانية في شعبة اللحم، وفي هذه الأخيرة قتـل 600 جندي إسباني بما فيها قائدهم دون ألونزو مارتيناز[2]

انطلق الأسطول الإسباني من برشلونة مع نهاية ماي 1535م، وفي حقيقة الأمـر الأرمادة التي أشرف عليها شارل كوينت، قبل استيلاء خير الدين على تونس، كـانت موجهة أصلا ضد الجزائر، بعد سقوط حصن البنيون، وتشكيل الميناء وتوسعه حيـث أصبح يستوعب سفن أكثر التي تنطلق منه نحو سواحل إسبانيا والمحيـط الأطلسـي، بالنسبة لشارل كوينت لا بد من إخضاع الجزائر، فهو يريد أن يتحول من الدفاع إلـى الهجوم بنقل مسرح الحرب إلى الجزائر ضد السلطان العثماني، بهذه الطريقة سـيحّد ولو مؤقتا من خطر هذا الأخير على النمسا وألمانيا، وسيمكن إيطاليا وإسبانيا من اخـذ

---

(1) GARROT (H). op.cit., P.373.

(2) GRAMMONT (H.D). op.cit., P.39.

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

أنفاسهما، مع تأمين مالطة وصقلية. في الوقت الذي كان فيه شارل كوينت يخطط تتبـه خير الدين للهجوم الإسباني، وتوجه إلى تونس ناقلا مسرح الحرب قبالة سواحل إيطاليا ومؤمنا الجزائر.

كانت الأرمادة الإسبانية مشكلة من 412 سفينة ضخمة على متنها 27 ألف جندي مؤلف من عناصر إسبانية ألمانية وإيطالية برتغالية بإضافة لفرسان مالطا[1]. ثم كتب شارل مايلي: "إننا غادرنا سائلين خالقنا العونة والإلهام... وأن نقوم بإذن الله ومساعدته ما يبدو لنا أكثر فعالية وفضلا ضد بربروس"[2]. شارل كوينت يستنجد بإدارة الله ضد خير الدين

تم إنزال قوات التحالف مع إقامة المعسكر ومركز القيادة في نفس المكان الذي نزل فيه سانت لويس Saint louis منذ 267 سنة خلت، تاريخ الحملة الصليبية على تونس.[3]

لم يكن في مواجهة الأرمادة الأوروبية سوى 7000 مقاتل مسلم مدعم 2000 مقاوم تونسي، تمكن شارل كوينت من الإستيلاء على حلق الوادي بعد مقاومة عنيفة وصلابة التحصينات التي أقامها خير الدين، الذي خرج من تونس لمواجهة الجيش الزاحف لأن المدينة لم تكن محصنة ومع التحام الجيش تمكن 12 ألف أسير مسيحي من الفرار من السجون ليهاجموا خير الدين من الخلف، إدركا منه بخطورة الموقف، وهو بين فكي رحى، جمع قواته الباقية، واتجه بهم برا نحو عنابة، وقد أخذ احتياطاته بتأمين خطوطه الخلفية حيث ترك بها 15 سفينة، وأمر حسن آغا بالتوجه إلى قسنطينة والاستقرار بها[4]، وبفضل هذه الاحتياطات الحكيمة تمكن من إنقاذ أغلبية جيشه، ولم يفقد إلاعددا محدودا في المعركة[5] بعد إصلاح بعض السفن أبحر من ميناء عنابة وكان الإعتقاد السائد بأنه سيتوجه إلى إسطمبول طالبا نجدة السلطان، على العكس من

---

(1) JUAN BTA. VILLAR, RAMON LOURIDO. Relaciones entre Espanià y el Magreb siglos XVII y XVIII, editorial. Maffre, Madrid, 1994. P.53.

(2) جون – ب – وولف، نفس المرجع، ص.47.

(3) ROY. J.E, op.cit : P.116.

(4) كورين شوفاليه، نفس المرجع، ص103.

(5) Haëdo, op.cit : P.216.

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

ذلك تماما، فبعد ثلاثة أيام من الإبحار أطل أسطوله على جزيرة مايوركة الإسبانية، لم يكن أحد يتوقع تلك الجرأة منه فأستولى على جزيرة ماهون Mahon فخربها عن آخرها واستولى على 6000 أسير عاد بهم إلى الجزائر.

دخل شارل كوينت تونس في جويلية 1535 وأباحها لجنوده فعاثوا فيها تقتيلا وتخريبا وارتكبوا أبشع الجرائم في حق سكانها طيلة ثلاث أيام حيث بلغ عدد القتلى 70 ألف[1]. أغلبهم نساء شيوخ وأطفال [2]. و40 ألف سجين بموافقة الأمير الحفصي ورضاه.

ورغم السمعة السيئة وضعفه أعيد تنصيب مولاي حسن على العرش. والملاحظ على السياسة الإسبانية أنها لم تتغير سنة 1535 وتتمثل في التحصينات، فأعاد شارل كوينت بناء حصن حلق الواد ووضعت فيها حامية عسكرية، كما حاول الإستيلاء على بقية المدن الساحلية وكل ذلك تطلب نفقات كبيرة لتوضع في يد حاكم تنتهي سلطته بإنسحاب آخر جندي إسباني من تونس.

فرضت على هذا الأخير شروط قاسية، خضوعه دون قيد أو شرط، قبول حامية في حلق الواد، تحرير وإلغاء نظام الأسري، منع القراصنة المسلمين من استعمال موانئه، دفع جزية مقدارها 12 ألف قطعة ذهبية سنويا، زادت من كره العامة له وإحتقاره واعتباره خائن وتحميله مسؤولية المجزرة التي لحقت سكان تونس، أدى إلى انتفاضة العديد من المدن الساحلية، دفعت بإبنه للثورة عليه وأستولى على الحكم وفقأ عينا والده، حيث قضى بقية أيامه مستولا في شوارع تونس أما حلق الواد سيطر عليها الإسبان نصف قرن ومع تواجدهم في مالطا، طرابلس، وسواحل صقلية إكتملت الجبهة الغربية المسيحية في مواجهة الإسلام.

سيسعى خير الدين من جهته إلى تنظيم سلطته على طول الساحل الواقع خلف المراكز الإسبانية على شرق وغرب مدينة الجزائر من شرشال إلى عنابة بإعتبارها موانئ للبحرية الجزائرية، ثم يأتي الاستيلاء على بينزت لمراقبة حلق الواد، أما خير

---

(1) MATTEI. A, coup d'oeil sur les différentes dominations en Affrique. Paris. E. Denter. 1869. P.25.

(2) ROY. J.E, op.cit ; P.117.

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

الدين وباعتباره القائد الأعلى للأسطول العثماني سيقسم نشاطه بين قيادته للأسطول في بحر إيجة وادرياتيك وسط وغرب البحر المتوسط، وحكومة الأيالة في الجزائر[1].

4- العلاقة بين إسبانيا والبابوية.

رغم فقر إسبانيا الطبيعي خصوصا قلة المردود الزراعي، وزادها فقرا حروب الإسترجاع ضد المسلمين، وما تبعه من طرد للموركسيين رواد حركة التصنيع في إسبانيا، إلا أنها استطاعت تعويض تلك النفقات والخسائر، فثروة شارل كوينت وحلمه الإمبراطوري ساندته القوة الإقتصادية للأراضي المنخفضة، وذهب العالم الجديد[2].

فبإستطاعته تجميع الجيوش، وبناء الأساطيل الكبرى، أما إسبانيا وما هو خاضع لها من أوروبة فهو يوفر الرجال والجنود لمحاربة المسلمين، وهذا ما اضطر البابا في كثير من الأحيان إلى دعم الإمبراطور في حروبه ضد الدولة العثمانية والجزائر، وفي الوقت نفسه فهو متخوف من طموحات الإمبراطورية العالمية التي يحلم بها شارل كوينت وأن تحققت فستفقدها قيادة العالم المسيحي وما يعنيه ذلك من فقدان لإمتيازات مادية على الخصوص وروحية بعد ذلك.

ولذا كان سعي البابوية دائما إشراك الأمم الأوروبية الأخرى في أي مشروع تكون إسبانيا طرفا فيه، ويطلق عليه الحلف المقدس، تستعمله كثقل لخلق التوازن مع إحتفاظها بالمبادرة، وهذا ما يفسر تردد البندقية، ورفض جنوة لمخطط البابوية كلا الإمارتين تعتقدان بأن مساهمتهما ستخدم لا محالة الإسبان فما بالك إستعمال القوة العسكرية لصالحها هناك سبب ثاني دفع البابوية إلى إستعمال الحيلة والحذر في تعاملها مع إسبانيا، ومن موقف هذه الأخيرة مع الدولة العثمانية، ونقصد به مصالحها العليا في الشرق الإسلامي وعلى رأسها الأماكن المسيحية المقدسة في كل من لبنان وسوريا وفلسطين، إضافة للمجموعات الدينية المختلفة منها مدارس التبشير، والمهام الفرانسيسكاتية، والحجاج إلى بيت المقدس، بمعنى حماية رصيد روحي وثقافي تطلب قرون لوضع أسسه، وفعلا استطاعت البابوية من حمايتهم، رغم الحروب والمواجهات

---

(1) AUPHAN (P). op.cit ; P.172.

(2) BRAUDEL (F). op.cit ; P.21.

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz -CERIST-

بين العالمين الإسلامي والمسيحي بسبب النشاط الدبلوماسي والمثابرة[1]، ساعدهم في ذلك روح التسامح الديني للمسلمين فهم يعترفون بحسن معاملة الكاثوليك واليهود في فلسطين والمنتشرين عبر الساحل أكثر من هذا، فقد كان للحجاج حرية تامة في الدخول إلى كنيسة القيامة والأماكن المقدسة الأخرى وذلك تحت رعاية وحماية المؤسسات العثمانية واستفاد منه المسيحيون رغم اختلاف مذاهبهم ومشاربهم طيلة عصر النهضة وحتى نهاية الدولة العثمانية[2]، فدبلوماسية الفاتكان حققت نتائج هامة باستعمال كل الطرق والحيل للحفاظ على الإتصال مع السلطان العثماني، لكن أيضا بتشجيع فرسان القديس جون، وفرسان القديس يوحنا في إضعاف وتحطيم القوى الإسلامية حتى يتم الإتصال والتفاوض من موقع قوة ولو ظرفيا، كشراء الأسرى، أمن الحجاج، إقامة الرهبان، إلى تواجد الإفرنج في الشرق الأوسط أمكن الحفاظ عليه طوال تلك القرون.

5- العلاقات العثمانية الفرنسية وإنعكساتها على إسبانيا

سبقت الإشارة للعداوة التارخية بين عائلتي الهابسبورغ والفالوا مجسدتا في شخصي شارل كوينت، وفرانسوا الأول، حول تزعم أوروبة من خلال التتويج بالكرسي الأمبراطوري ولضمان الحصول عليه قام الملوك الكاثوليك بتهيئة كل الظروف لضمان ثروة أحفادهم فتوجهوا إلى إنجلترا والنمسا والأراضي المنخفضة لكسبها إلى جانبهم وذلك عن طريق المصاهرة فحصار فرنسا والسيطرة على الجار الخطير وجهت منذ البداية سياسة الهابسبورغ.

كان هناك احتمال في فشل شارل كوينت في الانتخاب الإمبراطوري لسنة 1519م لصالح عزيمة فرانسوا الأول وفرنسا الساعية للحصول عليه منذ 1494م، كما أن قضية ثروة ومال وإقتصاد شارل كوينت الذي كان يرتكز على القوة الاقتصادية للأراضي المنخفضة إضافة للعالم الجديد عبر الأطلسي مصدر المعادن الثمينة لكن أيضا مفترق الطرق الأوروبية للمبادلات فهي في حاجة إلى منافذ خارجية وأسواق، مما دفع بالإمارات الألمانية المشتتة إلى محاولة منافسته.

---

(1) Les BARBARESQUES. op.cit : P.135.
(2) Ibid. P.135.

Document Téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz -CERIST-

وعلى العموم فأوروبا متجهة لا محالة إلى إنشاء دولة واسعة الأرجاء، وألمانيا كانت أكبر المرشحين لذلك المنصب لكنها لم تكن قادرة على تحمل عبأ ذلك الترشح، ففي حالة فوزها كان عليها مواجهة خصمين، فرانسوا الأول وشارل كوينت فأختاروا هذا الأخير لأنه اقل الضررين[1] من جانبه لم يتركز شارل كوينت على ألمانيا فمع بداية 1521م سيواجه مارتين لوثر Martin luther [2] ومباشرة بعد التتويج في إكس لا شابيل في سبتمبر 1520م[3] تنازل لأخيه سريا على ألمانيا متخليا عن أي طموح شخصي فيها، وركز في مجهوده الحربي ضد فرنسا على ايطاليا والأراضي المنخفضة، أما إسبانيا فلا بد من إنتظار كنوز العالم الجديد والتي لم تصل إلا بعد 1535م.

أ-معاهدة فرنسوا الأول مع سليمان القانوني 1535م وعلاقتها مع الجزائر.

مستغلا انشغال شارل كوينت بحملته على تونس، قام فرنسوا الأول ملك فرنسا، بإعلان الحرب على إسبانيا، ولتعويض ضعفه البحري وقلة أسطوله، قام مسبقا وبصفة سرية بعقد معاهدة تحالف مع الباب العالي سنة 1535م[4]. وكان ذلك كافيا لتجدد الحرب مع الدولة العثمانية لتمتد إلى مواجهة بين العالم المسيحي والإسلامي ستستمر حتى 1559م.

تم ذلك التحالف في الوقت الذي راسل فيه شارل كوينت نوابه في كاتلونيا، وفي أرجاء مملكة ارغون لحضور اجتماع البرلمان (الكورتيز)، ليوافق على الرجال والمال والعتاد لحملته المقبلة على الجزائر، وكان الإمبراطور متأكدا من تحقيق النصر، لتأكده من استحالة وصول النجدة العثمانية لانشغال السلطان في النزاع مع ملك الفرس الشيعة

(1) BRAUDEL(F) , op.cit ; P.21.

(2) مارتين لوثر Luther Martin (1483-1546) رجل ديني ومصلح ألماني، راهب 1507م، تكون في إطار المبدأ الأغوستيني التسامح كان ضد طقوس الكنيسة وثار ضد بنح المجلس الروماني، عارض سنة 1517م بيع صكوك الغفران (Protestant) أفكاره تعتمد أساسا على رفض وجود محاكم دينية، عزوبية الرهبان، تقديس مريم العذراء، والقدسين وسلطة روما، أمام إضطهاد البابا ليون Léon X واتهامه بالزندقة، استقبله فريدريك III أمير الساكس وساعده على نشر أفكاره وحمايته، كما وجد المساندة من العديد من الأمراء الألمان الساعيين لمراقبة أملاك الكنيسة بعد وفاته انتشرت أفكاره في برسيا الدنمارك السويد، ترجم الإنجيل 1534م وعليه أسست اللغة الألمانية.
MOURRE (M). op.cit ; P.692.

(3) ALVAREZ (M.F). Historia. op.cit ; P.159.

(4) AUPHAN (P). op.cit ; P.172.

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz -CERIST-

في إيران، وكان لإسبانيا يد في ذلك بحيث كان مستشارون إسبان يشرفون على تدريب الجيش الإيراني بالأسلحة الحديثة التي باعوها لهم[1]. ولم تنجح الخطة لوجود كان السفير الفرنسي لافوري لدى السلطان وتم عقد معاهدة التجارة والصداقة التي مكنت فرنسا من الحصول على الإمتيازات بضمان الحريات الدينية والمدنية الرعايا الفرنسيين، مع ما تبعها من إمتيازات ثقافية تجارية وسياسية.

ومما نصت عليه إطلاق سراح جميع السجناء من الجانبين دون انتظار ومعاقبة كل قرصان أو شخص يقوم بأسر رعايا البلدين على أنه ضد السلم. لا يدفع رعايا البلدين الضريبة إلا بعد مرور عشر سنوات كمقيمين دائمين.

يوافق السلطان العثماني على منح نفس الإمتيازات للبابا، ملك إنجلترا، وملك اسكتلندا إذا صادقو عليها في اجل لا يتعدى 8 أشهرا، فعملت فرنسا كل ما في وسعها لكي لا يتحقق ذلك. في الجانب العسكري يسمح للأسطول العثماني إستعمال موانئ فرنسا خصوصا طولون ومرسيليا أين استقبل خير الدين بحفاوة لا يستحقها إلا أمراء البحرية[2].

في بند مكمل للمعاهدة تم المصادقة عليه في شهر ديسمبر 1536، يتعهد السلطان بالهجوم على نابولي، وفي الوقت نفسه يهاجم ملك فرنسا ميلانو، ذلك التعاون سيسمح بمواجهة التحالف المقدس، عندما وجه اللوم لفرانسوا الأول الملك المسيحي في تحالفه مع المسلمين، كان جوابه بأن مصلحة الدولة تتطلب ذلك وأضاف: "عندما تهاجم الذئاب قطيع غنمي فمن حقي مناداة الكلب لإنقاذي[3]. نظرة على التعاون الفرنسي العثماني، وتعامل الكتاب الفرنسيين معها يلخصها بول اوفان Paul Auphane بحيث قام ببحث مواقف أكثر من خمسة عشر مؤرخ فرنسي حول موضوع المعاهدة الأغلبية منهم تقلل من أهمية الحدث، أو تعويمها مع سرد للأحداث يجعلها غير مفهومة للقارئ، حتى أن بعض لا يذكرها بتاتا. البعض الآخر يوافق عليها ويجد لها الأعذار مثل موريس بوتي Maurice Petit: "لم يكن آنذاك عميل وحليف أحسن من الأتراك يمكن الإعتماد عليهم

(1) Les BARBARESQUES. op.cit.. P.141.
(2) MOUILLESEAUX (L). et autre. op.cit.. P.163.
(3) GARROT (H). op.cit.. P.402.

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

في البحر الأبيض المتوسط". ودائما حسب الكاتب ليس هناك من يشير لخطورة تدعيم التقدم الإسلامي من طرف فرنسا، حتى انك لا تجد من يندد بذلك الاتفاق إلى قليلا ممن تناول دراسته الإسلام والعالم الإسلامي كالأمير Julien de la gravière الذي يعتبر موقف ملك فرنسا تحالف خائن.

أما المؤلف فيؤيد الحكم الذي أعطاه إتيان لامي Etienne lamy في كتابه "فرنسا في الشرق: "أن فرنسوا الأول يشير للترك كما ذكرت في الأساطير من أن المنهزم يرتمي في أحضان الشيطان... إن عقله الصغير لا يستوعب خطورة ذلك الموقف وأهميته، فقد داس على المبدأ الذي جسد التقاليد الفرنسية بأن كل الشعوب الأوروبية تشكل عائلة واحدة، وأن تحقيق إتفاق مخالف لمعتقداتنا الدينية التي هي منبع وضمان الحضارة الأخوية، هو أول إهتمام لذلك المجتمع، لقد إنهار كل ذلك وحط من قيمة فرنسا نفسها[1].

وفي لعبة التآمر وتحطيم خطط العدو حاول شارل كوينت الاتفاق مع العثمانيين دون أن يتحقق له ذلك بسبب دسائس السفراء الفرنسيين الذين كانت لهم الحضوة لدى الباب العالي في منع أي تقارب يحطم مشاريع فرنسوا الأول في إيجاد مكانة له في قلب أوروبة. ويستفيد لوحده من الامتيازات الممنوحة، جاعلا المصلحة المادية فوق كل اعتبار أو مبدأ إن وجد وذلك حتى نهاية القرن 16م[2] وما بعدها.

عسكريا ستكون وجهة العثمانيين برا نحو المجر ووسط أوروبة، وبحرا في اتجاه المتوسط إعتمادا على الأسطول الجزائري الذي سيخدم مصالح فرنسا.

6- الحملة الإسبانية على فرنسا: هجوم شارل كوينت على فرنسا.

سببها المباشر وفاة حاكم ميلانو ماكسيمليان سفورزا وهي الفرصة التي سمحت لفرنسوا الأول تأكيد حقوقه على ميلانو[3]، لم ينتظر شارل كوينت - موازاة مع تنديده

---

(1) AUPHAN (P), op. cit ; p172.

(2) الأرشيف الوطني، دفتر مهمة (35)، ص 122، حكم 314، تاريخ 986/06/02هـ، 1578م. مراسلة من السلطان مراد الثالث إلى حسين فنيزيانو يطلب منه السماح للفرنسيين بصيد المرجان في سواحل الجزائر.

(3) جون - ب - وولف، نفس المرجع، ص51.

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz - CERIST

بعنف الملك الفرنسي - فأرسل جيشه لغزو فرنسا عبر منطقة الفار Var ثم منها إلـــى بروفانس Provence وذلك في 25 جويلية 1536م، وبلغت قواته 50 ألف رجلا ولضمـــان نجاح الهجوم، أرسل قائد أسطوله اندري دوريا يجوب السواحل الفرنسية لمحاصرتـها بحرا، أمام هذا الوضع لم يكن لملك فرنسا من وسيلة للمقاومة ســوى اتبــاع أسـلوب الأرض المحروقة فأعطى أوامره بــهجرة المــدن الفرنســية، وإحــراق المحــاصيل الزراعية، ونجحت خطته فقلة الغذاء تسببت في حدوث مجاعة رهيبة وســط الجيــش الإسباني أدت إلى مقتل أكثر من 20 ألف جندي[1]، ولم ينقذ ذلك فرنســوا الأول لــولا استنجاده بالباب العالي فأرسل عميله وسفيره لا فوري إلى اسطمبول للتعجيل بـــالنجدة العثمانية، ودون إنتظار توجه سليمان القانوني في جويلية 1537 على رأس جيش قوامــه 100 ألف جندي بعد تخلصه من الضغط الإيراني فاتجه غربا عابرا مقدونيا ووصـــولا إلى السواحل البحر الأيوني، وقد حث خير الدين السلطان على توجيـــه حملتـــه ضـــد إسبانيا وهي منهكة القوى، لكن قبل ذلك لا بد من الســـيطرة علـــى البحـــر الأيونـــي ومضائق أوترانتو، وجنوب ايطاليا، فإن لها نفس الأهمية بالنســـبة للدولـــة العثمانيـــة كمضائق صقلية بالنسبة لإسبانيا، وأن تحرك نحو المغرب يتطلب التحكم فيها خصوصا بعد استيلاء شارل كوينت على تونس.

تحرك الأسطول العثماني الجزائري فأتجـــه خـــير الديـــن لمهاجمـــة الســـواحل الإيطالية[2]. فسرى الرعب في شبه الجزيرة، وشاركت 12 سفينة فرنسية فـــي نـــهب سواحل صقلية وكلابريا[3]. ووصل الأسطول إلى روما نفسها حيـــث كتـــب الأســـقف ماسون Maçon "إن والدنا المقدس، وجميع بلاطه في خوف شديد من الأتراك لدرجـــة انهم يفكرون في مغادرة المدينة...". وهاهو البابا يرســـل مبعوثيـــن إلى ملـــك فرنســـا والامبراطور شارل راجيا منهم الدخول في سلام[4]. وما دام الهدف الرئيســـي لـــهذه الحملة الصيفية هو ممتلكات البندقية في البحر الأيوبي ومن تم السيطرة علـــى مدخـــل

---

(1) AUPHAN (P). op. cit.. p173.
(2) GARROT(H). op. cit..p404.
(3) AUPHAN (P). op. cit..p173.
(4) ALVAREZ. Manuel Fernandez. Politica mundial de Carlos V. y Felipe II. Madrid. 1966. p. 99.

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

البحر الأدرياتيك، فإن البندقية هي المهددة أكثر من إيطاليا الإسبانية. ورغم وجود حزب قوي في البندقية يدعو إلى السلام مع العثمانيين فقد وقف البنادقة إلى جانب الأسطول الإسباني في محاولة لصد السفن العثمانية، مما دفع بخير الدين إلى الهجوم على كورفو Corfou على بحر ادرياتيك حيث أسر 16 ألف مسيحي[1].

لقد نجح البابا بول الثالث [2] في إقناع البنادقة بالتحالف مع إسبانيا سنة 1538 ضد العثمانيين، وتشكلت قوة من 200 بارجة (Galéas) و100 سفينة، مع 50 ألف من المشاة و4500 فارس إضافة للمدفعية[3].

7- هزيمة الحلف المقدس (البابوية،إسبانيا، البندقية) أمام الأسطول العثماني الجزائري:

الهزيمة الكبرى للحلف المقدس وذلك رغم التحضيرات الأوروبية والضغط الكبير من البابا لإقناع فرانسوا الأول وشارل كوينت للمصادقة على هدنة نيس Nice مدتها عشر سنوات، وهو ما مكن شارل كوينت من استعمال كل إمكانياته في الجهة الشرقية. وبدخول البندقية ظهر تفوق التحالف المسيحي بأسطول تعداده 200 سفينة منها مجموعة سفن ضخمة وأكثر من 60 ألف رجل، والأسطول العثماني المشكل من 130 سفينة بتعداد 30 ألف رجل، وكان اللقاء في نفس مكان المواجهات بين الشرق والغرب في الخليج أرتا Arta وبالتحديد في بريفيسا Prevesa، ليتقابل الأسطولان العثماني بقيادة خير الدين مسطف على خط واحد على شكل نصف دائرة (هلال) والتحالف بقيادة أندري دوريا مقسم على مجموعات، البندقية، جنوة، سفن البابوية، وأسطول الإمبراطور[4]، بدأ خير الدين بالهجوم تدريجيا وبحذر شديد ضد سفن البندقية المتقدمة دون إشراك بقية الأسطول[5]، كل الحسابات واردة في مثل هذه الحالة ومنها ترك البنادقة والعثمانيين

---

(1) GARROT (H), op. cit: p.404.

(2) البابا بول الثالث Paul III (1468-1549) بابا (1534-1549) تولاه وعمره 67 سنة عند وفاة كليمانت VII يعتبر أمير في عهد النهضة دافع على الفنون، كان أول بابا ضد إصلاحات القرن 15م تشدده تسبب في إنفصال الكنيسة الإنجليزية في عهد ملك إنجلترا Henri VIII 1538م. شجع شارل كوينت في حروبه ضد البروتيستانت الألمان. Michel MOURRE, p844.

(3) ALVAREZ (M.F.), Politica, op. cit; p. 100.

(4) HAEDO, op.cit ; p.221.

(5) Les BARBARESQUES, op. cit: p.128.

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz - CERIST

يتقاتلون ليلعب دوريا والإسبان دور الحكم، هناك من يفسر موقف دوريا بالإنسحاب بالعداوة التاريخية بين الجنويين والبنادقة ولذلك ساهم بطريقته في تحطيم أسطولهم[1].

المهم أن خير الدين تمكن في أول هجوم من تحطيم والإستيلاء على سبع سفن مسيحية، أما البقية ففرت من ساحة المعركة بسبب إضطراب البحر وهيجانه[2].

هناك سرد ثاني لوقائع المعركة، فمع حلول الليل وتراجع الأسطوليين، قام دوريا بإطفاء أنوار سفنه ومستغلا ظلمة الليل وتساقط الأمطار فر متجها إلى ميناء كورفو شمالا ومنها إلى ساحل الدلماشي حيث استولى على الحصن العثماني كاستلنويف Castelnuova وقام بتحصينة بـ: 3500 جندي فلما علم البنادقة بذلك انسحبوا من التحالف مشككين في أنها مؤامرة ضدهم، واعتبارهم استيلاء دوريا على كاستلنويف تدخل إسباني في أراضيهم وخطر على سيطرتهم على طرق البحرية إلى المشرق، ونتيجة لذلك أرسلوا بعميل لهم إلى اسطمبول للإتفاق مع العثمانيين، لقد كانوا يفضلون نفوذا عثمانيا على نفوذ إسباني في تلك المياه[3]. إن إنسحاب البنادقة من التحالف ساهم في إضعاف الأسطول المسيحي في مواجهة الأسطول الإسلامي، هذا الأخير سيحافظ على تفوقه في البحر المتوسط، وسيجتمع في كل عام على مدار 30 سنة القادمة في مدخل الأدرياتيك بأرمادة ضخمة، ومع أولى مناورات فصل الخريف يجبر الأسطول الإسباني والجنوي على البقاء في معاقلهم وعدم المغامرة حتى لا تقع فريسة له[4].

هزيمة بريفيسا سنة 1538 أعادت للأوروبيين هاجس التحصينات خصوصا على السواحل الإيطالية فأسرع نائب الملك على صقلية في تحصين مدن ريجيو، كاستو، أوترانت، قاليبولي، بروندیا، منوبولي، قيست كما عمل على تحصين نابولي، وابتداءا من هذا التاريخ تم بناء أبراج المراقبة، ويتسبب لهم ذلك في الإحساس والشعور بمركب نقص وخوف يشل أي حركة للمسيحيين في مواجهة أعدائهم، وبسرعة وتحت

---

(1) العديد من الكتابات أشارت أن دوريا تتفادى الخسائر لأسطوله وأنه كان على اتصال سري مع خير الدين ,Paul Auphan p.43 منها أيضا بأن بربروس ودورياً كانا مثل الذئبين "لا يأكل أحدهما الآخر" أو مثل الغربان "لا يفقا أحدهما عين صاحبه" جون – ب – وولف، ص.54.

(2) دائما نفس الأسباب والحجج في حالة الهزيمة من الجانب الأوروبي، اضطراب البحر وهيجانه، وتردي الأحوال الجوية.

(3) MATTEI (A), op. cit; p.25.

(4) MOULAU (J), op. cit; p.58.

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

هاجس الدفاع سوف يقومون بإقامة التحصينات حتى سـواحل الأنـدلس، وهـي شاهدة إلى يومنا هذا[1].

لم يطل بقاء الإنسان في كاستلنوبف ، ففي جويلية 1539م توجه درغـوت باشـا مساعد خير الدين فأستولى على الحصن بعد أن قنبلة المدينة بمدفعيتـه محطمـا كـل دفاعاتها[2] ولم ينج من الحامية الإسبانية سوى 800 جنـديا. خـلال صـيف 1539م استولى الأسطول العثماني على بقية المراكز المسيحية في البحر الأيـوني والإيجـي، وفي كل مرة كان خير الدين يرسـل بالأسـرى والغنـائم إلـى اسـطمبول فكانـت الاستعراضات تعلن عن الانتصارات العثمانية[5]. وبقي سعي البنادقة إلى السلام مـع الدولة العثمانية ملحا. ففي أكتوبر 1540م وقعوا معاهدة مع السلطان أكدت الإعتراف للبندقية ببقية المراكز وحقوقهم في التجارة مع المشرق.

إن لم يرد الشيء الكثير عن معركة بريفسا La Prevesa بسبب ضخامة تعداد سفن الأسطول وعدد جنود الحملة وهو نفس تعداد ليبانت، ورغم أن الخسائر كانـت قليلـة ومعالم المعركة غير واضحة ماديا، لكن تأثيراتها البسيكولوجية والسياسية هامة جـدا، لقد مكنّت المسلمين من الإحساس بعزة التفوق، وسيشجع ذلك القراصنة المسلمين مـن القيام بغارات وجرأة لا نظير لها، ففي 1539م توجه أسطول جزائري مشكل مـن 16 سفينة على متنها 1300 بحار من الإغارة على جبل طارق والمدن الواقعة في محيطه ثم عادت بحمولتها من الأسرى إلى تيطوان حيث تم بيعهم هناك[4].

8- حملة شارل كوينت على مدينة الجزائر أكتوبر 1541.

دوافعها ضرورة الإستيلاء على مدينة الجزائر بإعتبارها قاعدة أخطر القراصـنة وما سببته من خراب ودمار ونهب لإسبانيا خصوصا منذ أن فقدوا حصن البنيون، ثـم أنها الوحيدة التي لم تخضع لهم فاحتلالها يعني التحكم في الحوض الغربي للمتوسط كما

---

(1) AUPHAN (P), op.cit; P.174.
(2) Haëdo, op. cit; P.221.
(3) جون – ب – وولف، ص.54.
(4) AUPHAN (P), op. cit; p174.
GARROT (H), op. cit; p406

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

هو الحال بالنسبة لسواحل إيطاليا، البندقية وصقلية طرابلس وتونس وبقية المدن الجزائرية من عنابة إلى مرسى الكبير ومليلة في المغرب.

سبب آخر دفع شارل كوينت إلى ضرورة احتلا لها لأنها المتسبب في إثارة مدن من طرابلس إلى تلمسان[1].

الدافع الثالث سعيه إعادة الاعتبار لجيشه بعد الهزائم التي مني بها والخسائر الفادحة في صفوفه خصوصا على الجبهة الشرقية أمام الأسطول العثماني الجزائري.

الدافع الرابع تقليل الضغط العثماني على أوروبة وخصوصا المجر ودفعها لتشتيت قواتها لإنقاد الجزائر.

ثم هناك حلم أجداده فرديناند وايزابيلا في احتلال كل الساحل المغاربي، وبعد كل هذا فلا بد من عمل ضد الجزائر لمنع أي تعاون مع فرنسا وعزلها حتى يمكن اجتياحها دون أن تجد من ينقذها. ومن الأسباب التي عجلت بالهجوم على الجزائر فشل محاولة شارل كوينت في كسب واستمالة خير الدين، فقد كان على علم بالعلاقة المميزة لعدوه فرنسوا الأول مع سليمان القانوني خصوصا منذ معاهدة الامتيازات 1535م، ثم انه أي شارل كوينت كان على إتصال مع شاه ايران، الذي تستطيع جيوشه أن تحول إهتمام السلطان العثماني عن مشاريعه الأوروبية[2]، ابتداء من 1538م بدأ شارل كوينت يسعى للاتصال بخير الدين لدفعه لقطع صلاته مع السلطان تماما كما استطاع شراء اندري دوريا وأسطوله وتخلي هذا الأخير على فرنسا وكلف قائد الأسطول الإسباني بعملية الاتصال[3]، وأثبتت المحاولات الأولى أن خير الدين لم يكن يمانع في الموضوع، لكن شروطه كانت صعبة التحقيق، فقد طلب بالسيادة على كل بلاد المغرب من طرابلس إلى فاس. واستمرت الاتصالات مدة سنتين لدرجة أن دوريا كتب للإمبراطور: "إن رغبة بربروسة كبيرة لأن يكون الخادم المطيع لجلالتكم"[4].

---

(1) DE VILLEGAIGNON Nicholas Duraud. Relation de l'expedition de charles quint contre Alger. Paris, 1874. P.84.

(2) ALVAREZ (M.F). Politica. op.cit: PP.102.103.

(3) كان أندري دوريا مكلف بلإشراف على مجموعة من العملاء مهمتهم الإتصال بخير الدين، الأول اسمه ألونسو دو ألاركون، الثاني اسمه النقيب قريقارا والثالث الدكتور روميرو.

(4) DEVIILEGAIGNON . op. cit: P.87.

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

وطوال تلك المدة كان خير الدين يطلع السلطان على كل تفاصيل المفاوضات ففي رسالة من روميرو إلى دوريا سنة 1540م يقول فيها: "إن خير الدين منذ البداية كان يتلاعب بنا وان رسائلكم كانت تصل مباشرة إلى سلطان، وعقيدته الإسلامية راسخة وحقيقية وما تمنح له كأنه منح للسلطان مباشرة، ولا يوجد في سيرة خير الدين ما يثبت أن ارتباطه بالإسلام كان شكليا وولاءه للسلطان غير مخلص"[1]. هذه الرسالة وقعت في يد السلطان وأودع صاحبها سجن "السبعة أبراج" ولم ينج بحياته إلا بعد مفاوضات صعبة.

تحولت الجهود الإسبانية بعد ذلك إلى حسن آغا خليفة خير الدين على مدينة الجزائر بعد توجه هذا الأخير إلى إسطمبول. ولد حسن آغا في سيردينيا وأسره خير الدين في إحدى غاراته أنشأه على تعاليم الدين الإسلامي ثم اعتقه ثم ولاه عدة مناصب قيادية نظرا لشجاعته، وأثناء الحملة على تونس ولاه شؤون قسنطينة ليحمي انسحابه، ثم عاد إلى الجزائر سنة 1534م، بعد سفر خير الدين[2]. وعرف عنه رجاحة عقله، وتسامحه وكرمه في خدمة العامة فنشر العدل بين الناس كما احب العلم والتعلم كل تلك الخصال جعلته محبوبا ومحترما[3].

أشرف على شؤون الأيالة ستة سنوات فنعمت بالأمان والعدل، وحسب من عايشوه لم تعرف البلاد باشا أعدل منه[4]. وفي عهده كانت حملة شارل كوينت على مدينة الجزائر.

الاتصالات الإسبانية مع حسن آغا تمت مع الكوديت حاكم وهران[5] سعيا لكسبه إلى جانبهم، وبناء على ذلك اعتقدوا بأن حسن آغا سيسلم المدينة بمجرد إنزال القوات

(1) Ibid. P.88.

(2) Document inedits sur l'histoire de l'ocupation espagnols en Afrique (1506.1574) lettre de Don Bernardino de Mendoza à sa majeste arch. simancas. Estado. 463. in. R.A. N° 21 . 1877. P.25.

(3) Sander Rang et Denis. op. cit: P.51

(4) Haëdo. op. cit: P.228.

(5) BERBRUGGER Adrien . Négociation entre Hassan – Aga et le Comte d'Alcaudelt Gouverneur d'oran (1541-1542) Traduction de piéces au thentiques. in R A.T 9. 1865. pp379-387.
مفاوضات حسن آغا مع الحاكم وهران الكونت الكوديت قبل حملة شارل كوينت على الجزائر في 1541م، بربروجر ويذكر مارمول Marmol ويستعمل رسالة من الونسو دوكوردويا (الكوديت) إلى شارل كوينت في 16 جانفي 1542م، هذه الرسائل تؤكد الإتصالات لكن هل تعني بأن حسن آغا قد دخل في ولاء للإسبان أم لربح الوقت استعدادا للمواجهة.

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

وبداية الحصار ومهما يكن من أمر فإن ذلك الاتفاق مع حسن آغا برهن على أنه كـان بدون أساس تماما كالمفاوضات مع خير الدين[1] ولتوفير كل عوامل النجاح لا بد مـن اتفاق مع فرنسا أو على الأقل جعلها محايدة فكان اجتماع إيغ مـورث Aigues Mortes، مكن شارل كوينت من السفر عبر فرنسا، ومن جهته تدخل البابا واعلم فرنسـوا الأول بمشروع الحملة وتمكن من إقناعه بالوقوف على الحياد[2].

سير الحملة: مع بداية صيف 1541م كان تجميع الأرمادة ثم نقـل الجنـود مـن إسبانيا، أما الإمبراطور فيجمع قواته في جنوة وهي مشكلة من 36 سفينة حربية، لكـن التحضيرات استغرقت وقتا كبيرا وفي النهاية كان التعداد 516 سفينة منـها 65 سـفينة حرب ضخمة Grandes Galeres، على متنها 12330 بحار و 23900 جندي مـن الألمـان الإسبان والطاليان[3]. واكثر من 2000 جواد بإضافة إلى المدافـع وأجـهزة الحصـار الضرورية، لقد كانت فعلا أكبر حملة عسكرية عرفها القرن 16م، كل نبـلاء إسـبانيا وألمانيا وإيطاليا أرسلوا بمتطوعين لهذه الحملة، أما البابا فأرسل حفيده كولونا Colonia، إضافة لفرسان مالطا[4]. وكان من بين القادة العسكريين اندري دوريا قـائد الأسـطول بمساعدة هرناندو كورتيز (محتل المكسيك) مصحوبا بولديه دوق ألب كـاميل كولونـا Camille Colona.

الأخبار التي راجت حول حملة شارل كوينت على مدينة الجزائر تسـببت فـي إحداث جو من الرعب والهلع، دفع بالعديد من السكان إلى الفرار من المدينـة، عمـل حسن آغا كل ما في وسعه لتوقيف عملية الفرار لكنه لم يوفق في ذلك، ولم يمنعه مـن الاستعداد الجيد فأعاد بناء الأسوار القديمة للمدينة التي تضـررت بسـبب الأمطـار الغزيرة لفصل الشتاء وقد اصلحها السكان في ظرف قياسي وبسبب نقص عمال البنـاء

---

(1) حسب هايدو Haëdo فأن حسن آغا كان على رأس المقاومة وساهم بقسط كبير في الإنتصار على الأسبان Haëdo, op. cit: PP.228-229.

(2) جون – ب – وولف ، نفس المرجع، ص.56.

(3) DEVILLEGAIGNON, op. cit: P.92.

(4) GRAMMONT (H.D), op. cit; P.58.

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz - CERIST

في المدينة فتم اللجوء إلى تجنيد 1500 من سكان الريف لإنهاء العمل[1]. وكان الإسبان على علم بتفاصيل أوضاع الجزائر من تحصينات[2]. وتعداد الجنود وخروج الأسطول، وحالة السكان وتعدادهم. أما جند حسن آغا فلم يكن يتعدى 1500 جندي انكشاري و 5000 رجل من سكان المدينة، وهو يتضمن كل من هو قادر على حمل السلاح منهم 3000 أندلسي تم أنقاذهم قبل ذلك بمدة بفضل سفن الأسطول الجزائري[3].

الحملة الإسبانية خطط لها بعناية فائقة وأخذت كل الاحتياطات، لكن بقاء شارل في ألمانيا إلى أواخر الصيف آخر موعد تحرك الأرمادة بما فيها سفن نقل الجنود والمؤونة إلى الثامن عشر من شهر أكتوبر 1541م، ولا يوجد تفسير لتمسك شارل بقراره للهجوم على الجزائر رغم خطورة الفصل، ودعوة أخيه فرديناد، وإلتماسات البابا بول الثالث ورأى مستشاريه لتأجيل الحملة[4]، وتحركت فعلا متجهتا نحو مدينة الجزائر.

الأربعاء 19 أكتوبر 1541م* تنبيه جنود الحراسة على مرتفعات بوزريعة، حسن آغا بأن أعداد كبيرة من السفن الحربية تتقدم نحو الجزائر ولا يمكن عدها، وعند اقترابها اسود وجه المرسى لكثرتها. رغم جو الرعب والهلع الذي طغى على المدينة إلا أن حسن آغا لم يستسلم، فركب جواده وراح يطوف بأرجاء المدينة يشجع المدافعين بعد أن قام بتوزيع كل قادر على حمل السلاح في موقع محدد من أسوار المدينة وتحصيناتها، ولم يحدث أن أظهر قائدا شجاعة أكثر من شجاعته وخبرته وحنكته في مثل تلك الظروف، وكان يشجع رعيته بالقول: "إن الأسطول المسيحي ضخم... لكن لا تنسوا نصر الله الذي سيسديه للمسلمين ضد أعداء الدين" وأضاف قائلا: "إن الجنة على ظلال السيوف... إن السعداء هم أولئك الذين بشرهم الله بالشهادة"[5]، هناك حادثة لا بد

(1) Lettre de francisco Perez de Idiacavz a sa Majesté l'impératrice. Bougie 29 mars 1536. Document inédits sur l'histoire de l'occupation espagnole en Afrique (1506-1574), Arch de sumancas, estado, le gajo 463, in R.A. N°21, 1877, p.85.

(2) بنيت القلاع والحصون مزيج من التربة الحمراء، والحصى الممزوجة بحليب الجير، مع ترصيصها بقوة، ومع مرور الوقت يتصلب ذلك البناء، ويجعله قادرا على الصمود لطلقات المدفعية والبارود.

(3) GARROT (H), op. cit: P.407

(4) GRAMMONT (H.D), op. cit:P.58.

* أنظر جدول مقارن لسير الحملة في الملحق (3).

(5) جون – ب – وولف، نفس المرجع، ص.57.

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz - CERIST

من الإشارة لها تسببت في التأثير على معنويات الجنود الإسبان، واعتبر فال شؤم وتتمثل في سقوط شارة السفينة الملكية La Réale في البحر على مشارف مدينة الجزائر وفي المقابل استبشر سكان المدينة واعتبروا ذلك فال خير[1]. ووصلت مجموعات من الفرسان القادمين من سهل متيجة، ومن الضواحي الداخلية يترقبون الوضع وينتظرون بقلق ما سوف يقوم به العدو[2].

نجد تطابقا تاما بين المصادر العربية الغزوات ومحكمة والمصادر الغربية، فوصول الأسطول إلى الخليج الجزائري كان في 28 من جماد الثاني 948هـ الموافق الخميس 20 أكتوبر 1541م والإنزال تم يوم الأحد الموالي 23 أكتوبر "فانديتشي" Vandenesse أحد شهود الأعيان يعطينا وصفا للأحداث ونجد نفس التطابق في عودة شارل كوينت وهو الثالث عشر من رجب، الخميس 3 نوفمبر وهذا يكفي لتأكيد ما حدث بالفعل أثناء الحملة[3*]، أخذنا وصف الأحداث عن د/ عمار دهينة "...ظهر الأسطول المسيحي الأربعاء 19 أكتوبر، يوم الخميس 20 أكتوبر رست السفن[4] في خليج تامنفوست... إنزال قوات العدو يوم الأحد الموالي 23 أكتوبر، نزل الملك الإسباني على اليابسة عند مصب وادي الحراش محاط بجنوده البالغ عددهم 90000، حاول المسلمون منعهم من النزول، لكن بنادقهم وسهامهم كانت غير كافية ضد القذائف الصغيرة لمدافع السفن وتحتم عليها الانسحاب... الاثنين 24 أكتوبر سار الجيش المسيحي في اتجاه المدينة ومعهم "الطاغية" واقتربوا من أسوار المدينة في انتظام، وحسب الأهالي فهم يشبهون جحافل النمل الأسود وقد غطوا السهل، كان من بينهم 4000 فارس" بدأت قنبلتهم بالمدفعية ورميهم بالبارود والسهام، وفي هذا اليوم خرج الجنود الاتراك وسارو للقتال وأظهروا كفاءة عالية، لتبدأ معركة عنيفة استمرت إلى مساء مما دفع بالعدو إلى التراجع إلى رأس تافورة، أين أقاموا معسكرهم، وقد تمكنوا

---

(1) VILLEGAIGNON. op. cit: P.90.

(2) كورين شوفالي، نفس المرجع، ص112.

(*3) أنظر الجدول في الملحق VILLEGAIGNON. op. cit: pp93-94.

(4) المقصود بها سفن الإمداد والنقل.

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz - CERIST

من السيطرة على كل الهضاب وانتشروا للهجوم على المدينة، لكن ضربــات مدفعيــة المسلمين أفقدتهم الأمل في الإستيلاء على المدينة، هكذا مر اليوم الإثنين"[1].

استقر الإسبان وعلى رأسهم الإمبراطور شارل كوينـت فـي مرتفعـات كديـة الصابون أين خططوا للهجوم على المدينة، ولفهم خططهم يجب تصـور طبوغرافيـة ضواحي مدينة الجزائر آنذاك يتشعب خطين من المرتفعات الرئيسية لهضبة الأبيـار، الخط الأول ينفصل في أعلى واد بئرطرارية وينخفض 240 متر تقريبا حيث صخـور البحر في رأس سيدي الكتاني مكونة من بروزين أساسـيين وسـطحيين همـا كديـة الصابون وينخفض 216م، والآخر هو الذي يحمل القصبة القديمة للمدينـة وينخفـض 120م[2]فمدينة الجزائر بنيت على نتوء صخري ويحيط بالمدينة من الجهتين، مجموعـة وديان تتجه من أعلى التل نحو البحر.

فانقسمت القوات المعادية، الإيطاليون وفرسان مالطا يحرسون الشاطئ فـي رأس تافورة وتسلق الإسبان الجبل لتطويق المدينة على مقربة من الوادي الصغير[3]. بينمـا نصبت خيمة الإمبراطور على هضبة كدية الصابون التي تسيطر على المدينة بـالقرب من قبة سيدي يعقوب وفي نفس الوقت فإن كل السفن الشراعية والبواخـر المسـلحة بالمدافع تشكل خطا دفاعيا أمام الجزء الجنوبي من المدينة لترد على مدفعيـة مدينـة الجزائر[4].

كل شيء كان جاهزا لشن هجوم يوم الثلاثاء 25 أكتوبر، لكن فـي مسـاء يـوم الإثنين هبت عاصفة مصحوبة بأمطار طوفانية أثرت على معنويات الجنود بحيث لـم يكن لهم وسائل الوقاية مثل المعاطف التي تحميهم من البرد والخيم من الأمطار، ممـا سبب القلق والعذاب وانهيار معنويات الجنود وفقدان شجاعتهم، اشتدت العاصفة لترمي بالسفن والبواخر على الصخور والشاطئ ليتحطم عدد كبير منها، أما فيما يخص حمـاة الجزائر والمدافعين عنها فأستغلوا الظروف المناخية التي نزلت عليـهم مـن السـماء

---

(1) DHINA Amar. Grands tourants de l'histoire de l'islam de la bataille de badr à l'attaque d'Alger par charle Quint, SNED. Alger, 1978, PP.164-165.

(2) LESPES René. Alger étude géographique et histoire de la ville. Paris, 1930, P.41.

(3) SANDER range et Denis , op. cit:P.284

(4) كورين شوفالي، نفس المرجع، ص.115.

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz -CERIST-

ليخرجوا من الحصار وينقضوا على الجناح الإيطالي وفرسان مالطـــا فـــي معاقلـــهم، يساعدهم معرفتهم الجيدة بطبيعة الأرض، وكذا نوعية السلاح المستعمل وهي الســـهام والنبال والأقواس التي كانت اكثر فعالية من البارود والرصاص المبلل، ثم طريقتهم في القتال التي تعتمد على السرعة والخفة، الكر والفر، وهي طريقة لم يتعود عليها الجنـود الإسبان. وقام المشاة الجزائريون باستفزاز العدو واستدراجه إلى حين أرادوا أي إلـــى أسوار المدينة وتحصن الجزائريون أمام أبواب المدينة، ثم قذفوا كل ما لديهم من نبـــال وسهام وحجارة على الإيطاليين الذين ملكهم الرعب والخوف فتفرقوا هاربين، وفي هذا الظرف بالذات خرج حسن آغا على ظهر جواده مع مجموعة من الفرسان وكر عليـهم فأجبرهم على التراجع لأكثر من نصف ميل عن أسوار المدينة، وقضى في ذلك الهجوم على أكثر من 150 مقاتل من فرسان مالطا، مما دفع بالإمبراطور للنزول مـــن أعلـــى كدية الصابون لإنقاذ جناح الإيطاليين وفرسان مالطا وتجبر حسن آغـــا وجنـــده علـــى التراجع إلى مدخل باب عزون[1].

في الوقت نفسه كان جناحه الأيسر المشكل من الإسبانيين مشـــغولا مـــن جهـــة الساحل بإيقاف تقدم الفرسان العرب الذين هاجموهم مـــن جهـــة الغـــرب[2]، وازدادت العاصفة قوة وعنفا، حتى يوم الثلاثاء الذي حدد مصير المعركـــة: "...يـــوم الأربعـــاء اعترف الأعداء بضرورة تخليهم عن الجزائر وانهم ســـعداء إن تمكنـــوا مـــن إنقـــاذ حياتهم... وتوجه قائد الأسطول اندري دوريا إلى الطاغية ونصحه بالإبحار فورا، مـــع ما بقي له من قوات، حتى يمنع حدوث كارثة كبرى"[3]. علـــى إثـــر ذلـــك انسـحب الإمبراطور من المدينة واتجه صوب وادي الحراش. كانت بداية العاصفة مساء يـــوم الإثنين واستمرت ثلاث أيام تسببت في تحطيم 140 سفينة من مختلـــف الأحجـــام و16 سفينة حرب من الحجم الكبير هذه الأخيرة كانت تحمل مئات الأسرى المسلمين علـــى المجاديف، عدد كبير منهم حطم سلاسله وارتمى في البحر لينجوا بنفسه وتم إنقاذ 1400

---

(1) Haëdo, op. cit; P.229.

(2) كورين شوفالي، نفس المرجع، ص117.

(3) DHINA (A), op. cit; P.165.

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

من هؤلاء الأسرى[1]. أما البحارة المسيحيون الذين رمت بهم الأمواج إمـــا قتلـــوا أو وقعوا في الأسر.

قرار الانسحاب اتخذ تحت نصيحة اندري دوريا قـــائد الأســطول والـــذي أكـــد للإمبراطور استمرار العاصفة وأنها قد تقض على جميع السفن ، وكان من بين القـــادة الإسبان من رفض هذا الطرح وطالب بالبقاء وهما الكوديت حـــاكم وهـــران وفرنـــاند كورتيز.

وجاء قرار الانسحاب واستمرت العملية ثلاث أيام وبسبب العاصفة كان على كـل سفينة إذا أكملت نقل جنودها تبحر فورا ولا تنتظر السفن الأخرى، وكان آخرهم شارل كوينت حيث توجه إلى بجاية المحتلة من طرف الإسبان لإصلاح الســـفن وإســـعاف الجرحى، وأجبر على البقاء هناك إلى 16 نوفمبر أين انطلقت سفن صقلية جنوة ومالطا أما الإمبراطور فلم يبحر إلا في مساء 23 نوفمبر 1541م.

لقد افلت من خطر حقيقي، ولم يعلم به إلا بعد عدة اشهر من رجوعه، ويتمثل في أسطول خير الدين الذي كان يراقب حركة الأسطول الإسباني منذ البداية وطلب مـــن السلطان الإبحار بداية شهر جوان بـــ 100 سفينة يتوجه نصفها إلى الجزائر، والنصـــف الآخر يهاجم الأسطول الإسباني الموزع بين صقلية، نابولي، جنوة وإسبانيا، ولم يتحرك إلا في شهر أكتوبر لتصله الأخبار بإنسحاب الأسطول الى إســـبانيا[2]، بعـــد أن تلقـــى هزيمة نكراء أمام مدينة الجزائر.

قدرت خسائر الإسبان بـــ 200 سفينة بين محطمة ومرمية على الشاطئ وكل عتاد الحملة و200 قطعة مدفع بادية، يضاف لها تحطم مجموعة سفن وهي متجهة إلى بجايـــة حتى أن مصادر تقول بأنه من شرشال إلى دلس غطت قطع خشب سفن المحطمة مياه البحر وقدرت الخسائر البشرية ما بين 15 ألف إلى 18 ألف قتيل منهم 2000 جندي قتلوا أثناء الانسحاب[3], آما غنائم الجزائريين فتتمثل في كميات هامة من الأسلحة والذخـــيرة والعتاد، كما تمكنوا من الإستيلاء على خمسة سفن حربية ضخمة منها أربعة في حالـــة

(1) VILLEGAGNON. op. cit..P.101 .
(2) GRAMMONT (H.D). op. cit..P.67.
(3) VILLEGAIGNON. op. cit.. P.105,

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz - CERIST

جيدة والخامسة بها أضرار خفيفة كما استرجعوا 60 قطعة مدفعية من بينها 20 مدفع من الحجم الكبير[1] ومنذ ذلك الوقت أصبحت غنيمة الجزائر هي المقياس .

كان لهذا النصر صداه العميق على ضفتي البحر المتوسط من جهة فالمنهزم هو شارل كوينت إمبراطور أوروبة ولا نقول إسبانيا وبأرمادة يعترف جميع المؤرخين بأن القرن السادس عشر 16 لم يعرف لها مثيل[2]. ومهما قيل عن أسباب الهزيمة بدأ بالعاصفة البحرية، وقد تعودنا من الكتاب الغربيين على تفسير كل الهزائم التي لحقت بهم بالعواصف، لكن في هذه الحالة المعركة كانت برية والإنزال تم فعلا، والحصار وقع بجيش قدرته مصادرهم با 35 ألف مقاتل من جميع الجنسيات، والعاصفة حدثت بعد بدأ المعركة، ونقول بأنها ساهمت في الكارثة ولم تكن سببها الرئيسي أما تفسير الهزيمة فهي المقاومة الباسلة للمدافعين عن المدينة. العذر الثاني المستعمل أو المتداول هي الاتصالات التي تمت بين الإسبان وحسن آغا على أن يسلمهم هذا الأخير مدينة الجزائر مباشرة بعد الحصار، ولنجاريهم في الرأي، ألم يكن بمقدور شارل كوينت شخصيا وجيشه من دخول مدينة مجموع المدافعين عنها 6000 منهم 1500 جندي إنكشاري فقط، إن دور حسن آغا في تنظيم وقيادة المقاومة يفند تلك الادعاءات واغلبها فرنسية الساعية دائما إلى تشويه تاريخ هذا البلد وعلى الخصوص الفترة العثمانية من خلال إدخال الشك والريبة وتشويه رموز المقاومة الجزائرية وتقزيم دور الجزائر في مواجهة أوروبة منذ مطلع القرن 16م. هناك إشارة للكمية القليلة من المؤونة والغذاء التي حملها الجيش الإسباني معه والتي لا تتعدى يومان أو ثلاثة أيام على أكثر تقدير، الجواب نجده في تقارير الجواسيس الإسبان عن نظام دفاع المدينة وتسليحها وعدد المقاومين، إضافة لعدم وجود الأسطول في تلك الفترة بالذات كلها دلائل تؤكد بأن شارل الخامس ومستشاريه كانوا يعتقدون بأن الحملة ستكون نزهة أكثر منها حملة

---

(1) Lettre de D.Alonso de Cordoba a son père le compte d'Alcaudete. Oran 25 decembre 1541. documents. inédits sur l'histoire de l'Accupation Espagnole en Afrique (1506-1574). (Arch de simancas estado legajo 463). in R.A. n°21. 1877. P.226.

(2) JUAN. BTA. VILAR. ARMON LOURIDO. op.cit ; PP. 54.55.

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

عسكرية فحضور النساء والأطفال والنبلاء دليل على ذلك، وحتى وإن كانت المؤونة قليلة فلإستيلاء على المدينة سيمكنهم من الحصول على ما يريدون الشيء الوحيد الذي لم يؤخذ في الحسبان - حتى العواصف والأمطار يمكن التنبؤ بها لأننا نهاية شهر أكتوبر - هي المقاومة الباسلة لسكان مدينة الجزائر وعلى رأسهم حسن آغا والحاج بشير وعلى ساردو إضافة إلى المقاومين القادمين من المناطق المجاورة وحتى من الشرق والغرب لقد أصبحت الجزائر رمز السيادة هذا البلد فهب الشعب للدفاع عنها.

إن مدينة الجزائر استحقت لقب المحروسة ستواصل مستقبلا لمعانها وازدهارها، ويزداد مع ذلك حسادها، وسيهابها الجميع، وشيئا فشيئا فرضت سيطرتها وقوانينها على البحر المتوسط ومنذ ذلك اليوم والجزائر تبدو كالعروس العذراء ترفل في حمالها وحليها. [1]

لقد كان يوما مجيدا للإسلام، يوم بقي يحتفل به خلال القرنين اللاحقين على أنه اعظم انتصارات الجزائر حتى اليهود[2] احتفلوا بإنهزام العدو المسيحي، لقد كانوا في أسفل درجات السلم الاجتماعي في الجزائر، ومع ذلك فضلوا الإزدراء التركي على الاستبداد الإسباني. أما الجزائر فقد بقي يطلق عليها مسرح الحروب، والقاعدة الغربية للدولة العثمانية.

حسن آغا يرقى لرتبة باشا:

كان من الطبيعي أن ينال حسان آغا اعتراف الباب العالي حيث تم ترقيته من طرف سليمان القانوني نظرا لدوره الفعال في حماية والدفاع عن الجزائر إلى رتبة باشا، وكانت أول أعماله بعد المعركة بناء حصن الإمبراطور في نفس الموقع الذي نصب فيه شارل كوينت خيمته، أي كدية الصابون [3]، ثم توجه لمعاقبة أحمد بن

(1) BRAUDEL (F). op. cit., P. 227.

(2) عرف هذا الانتصار عند اليهود باسم أبو ريم الجزائر. كورين شوفالي، نفس المرجع، ص.120.

(3) GARROT (H). op. cit., P.409.

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

القاضي زعيم قبائل كوكو نظرا لتحالفه مع الإسبان[1]. فخرج إليه حسن باشا للانتقام منه وذلك في ربيع 1542م على رأس 3000 انكشاري و 2000 فارس من القبائل العربية ومجموعة من المدافع الخفيفة، أمام هذه القوّة الزاحفة لم يجد ابن القاضي من مخرج سوى طلب العفو والقبول بالخضوع لسلطانه، ودفع الجزية مع تعهده بدفع الضرائب سنويا - وكان يتهرب منها - وكضمان بتطبيق تلك التعهدات فقد أعطى إبنه رهينة وعمره 15 سنة الملقب سيدي احمد إبن القاضي وهذا ما أدى إلى تفادي حرب[2].

الحملة علي تلمسان: من انعكاسات هزيمة شارل كوينت أمام الجزائر انتقال تأثيراتها إلى تلمسان التي كان يحكمها مولاي احمد ابن مولاي عبد الله وذلك بمساعدة حسن باشا، فلجأ أخوه محمد السادس إلى الكونت الكوديت واستعان به للجلوس على العرش موضع أخيه احمد. وهو السابع والعشرون من ملوك بني زيان، رحب الحاكم الإسباني بذلك خصوصا مع انسحاب القبائل الموالية لهم وتراجع تأثيرهم على المناطق الداخلية، وبقائهم محاصرين في وهران والمرسى الكبير، وفعلا تحصل على الإمدادات من إسبانيا، وخرج في حملته على رأس 12000 جندي مع بداية 1543 ومعه محمد السادس وأبنائه والقبائل الموالية له، وتمكن من إلحاق الهزيمة بأحمد دون أن يقضي عليه فأنسحب هذا الأخير إلى القلعة، تاركا تلمسان لغريمه.

وعاد الكوديت إلى وهران رافضا ترك حامية إسبانية من 1200 جندي في تلمسان خوفا من هجوم أحمد والموالين له. وهذا ما وقع فعلا فأثناء العودة هوجم الإسبان من كل جانب، وألحقت بهم خسائر كبيرة ولم يتمكنوا من الوصول إلى وهران إلا بعد جهد كبير ومطاردة حتى الواد المالح Rio Salado[3]. أما محمد السادس فقتل على يد انصار أحمد وقطعت رأسه وأرسلت إلى تلمسان، فخرج الكوديت مرة ثانية وسار في اتجاه مستغانم راغبا في الاستيلاء عليها قبل وصول النجدات من الجزائر، لكن سبقه حسن

---

[1] خرج هذا الأخير متجها إلى الجزائر لمساندة شارل كوينت ومعه 2000 من اتباعه وعدد كبير من الفرسان وهو في الطريق وصلته أنباء هزيمة الأسبان فرجع قافلا إلى معقله، ولما علم بتوجه الإسبان إلى بجاية أرسل لهم المؤونة والغذاء.

[2] Haëdo. op. cit..P.231.

[3] GRAMMONT (H.D). op. cit.. P.70.

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

باشا إليها، وكان من المستحيل الاستيلاء عليها مع وجود 1500 إنكشاري و 50 مدفـــع، ولما علم بمقتل محمد السادس وتمكن اخيه أحمد من فرض نفسه حاكم على تلمســـان، لم يبقى لي الكوديت إلا الانسحاب حيث حاصره الأهالي وألحقوا به هزيمة نكراء فـــي مازغران، وكاد أن يقتل أثناء الرجوع وحدث ذلك سنة 1544م. بالنسبة لحسن باشا فقــد اختلفت تواريخ وفاته فهناك من يذكر نهاية نوفمبر 1545م[1]، ويؤكد بأنه ترك الســـلطة مع نهاية 1543. أما خليل الساحلي[2]فيذكر بأن حسن آغا عزل سنة 1545م قبل وفاة خير الدين (1543) ونصب مكانه حسن باشا ابن خير الدين الحقيقي، وانه بقي يشرف علـــى إدارة أوقاف أبيه بالتبني في الجزائر مدة 5 سنوات حتى وفاته 1549م، وقبره في بـــاب الواد بالجزائر، وقد نقل الفرنسيون الحجر الذي كان على قبره إلى المتحف.

(1) DEVOULX. ALBERT. El Hadj Pacha (1545). in R.A. T8. 1864. P.290.

(2) خليل الساحلي، نفس المصدر، ص126.

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

جدول مقارنة المعلومات المعطاة من طرف عدة مؤلفين يتعلق بهجوم شارل الخامس (1541)

SANDER-RANG ساندر رانج	JULIEN DE LA GRAVIERE جوليان دو لا غرافيير	ARCHIVE SIMANCAS سيمونكاس	CH.A.JULIEN جوليان	MAHKEM محكمة	HAEDO هايدو	GHAZOUET غزوات	GRAMONT غرامونت	VILAGAIGN-ON فيليجيلون	HAMMER هامار
الجيوش الإسبانية والسفن البحرية	الجيوش الإسبانية والسفن البحرية	الجيوش الإسبانية والسفن البحرية	الجيوش الإسبانية والسفن البحرية	الجيوش الإسبانية والسفن البحرية	الجيوش الإسبانية والسفن البحرية	الجيوش الإسبانية والسفن البحرية	الجيوش الإسبانية والسفن البحرية	الجيوش الإسبانية والسفن البحريه	الجيوش الإسبانية والسفن البحرية
65 سفينة حربية 451 سفينة	65 سفينة حربية 451 سفينة		516 سفينة شراعية 12330 بحار 24000 جندي 36330 جندي	9000 جندي	500 سفينة شراعية	400 و 450 سفينة شراعية	451 سفينة 519 سفينة صغيرة 23900 جندي 12330 بحار	65 سفينة بحرية 7.000 اسباني 6000 ألماني 6000إيطالي 13000 آخرين 400 مالطي	74 سفينة حربية 200 سفينة 274 سفينة صغيرة 22000 مقاتل 1000 فارس 400 فارس مالطي
516 سفينة 23800 بحار	516 سفينة 24000 بحار		36330 رجل			50000 رجل	36230 رجل	26400 رجل	23400 رجل
جيوش جزائرية	جيوش جزائرية	جيوش جزائرية	جيوش جزائرية	جيوش جزائرية	جيوش جزائرية	جيوش جزائرية	جيوش جزائرية	جيوش جزائرية	جيوش جزائرية
-	800 تركي 5000مغربي	2000 تركي 2600 من المقاطعات والولايات	-	-	3000 تركي خليط من الأندلسي والمغاربة	-	800 تركي 5000 مغربي	800 تركي 5000 مغربي	500 فارس بعض الآلاف من العرب

المرجع: كورين شوفالييه الثلاثون سنة الأولى لقيام دولة مدينة الجزائري 1510-1541.

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

الفصل الخامس

دور البحرية الجزائرية

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

من تناقضات المواقف الأوروبية، التنديد المستمر بأعمال القرصنة الجزائرية ونشاطها، وفي الوقت نفسه تشجع استمرار النشاط البحري للجزائر، وتفسير ذلك يعود إلى العداء السياسي والتنافس العسكري والمصالح التجارية التي أدت إلى تضارب القوى الأوروبية دون إستطاعة أي واحدة منها فرض سيادتها على المتوسط ساعية بذلك كسب عدوٍ يصعب التغلب عليه.

في مواجهة إرادة الهيمنة الإسبانية نجد كل من فرنسا، البندقية، البابوية نظرا لمصالحها في الشرق الأوسط – وقد سبق الإشارة إلى ذلك كما نجد مرسيليا، والمدن الإيطالية وكان هدفها الحفاظ على حرية التبادل التجاري بين الشرق وإفريقيا.

ورغم الكشوفات الجغرافية فقد بقي "المتوسط المركز النابض للكون"[1]، فتأتي على رأس القائمة فرنسا – التي كانت أكثر المحتاجين للجزائر وأسطولها – فهي تحت ضغط الإمبراطورية الجرمانية وكذلك هولندا ، النمسا، إيطاليا الخاضعة لسلطة الهابسبورغ، إضافة إلى إنجلترا ومنه، فلم يكن باستطاعتها الوقوف لوحدها في مواجهة قارة بكاملها.

وكان عليها البحث عن حليف، رغم الأحكام المسبقة لتلك الفترة لمواجهة شارل كوينت العدو الدائم أحيانا جنوة وأحيانا أخرى البندقية وأيضا البابا لكن الحليف دائم هم القرصان المسلمين.

1- البحرية الجزائرية عامل توازن في البحر المتوسط:

رغم مواقف فرنسوا الأول (1515 - 1547) السابقة[2]، استنجد بالبحرية الجزائرية مرتين: الأولى (1536 - 1537) وسبق الإشارة إليها في الفصل السابق – والثانية: خلال الحرب الفرنسية الإسبانية الثانية (1542 - 1544).

---

(1) BELHAMMICI (M), op.cit., P.151

(2) شارك في حلف روما ضد الجزائر سنة 1516م، بعد لقائه مع البابا في مرسيليا وضع أسطوله تحت تصرف شارل كوينت عندما هاجم شرشال.

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

تجددت المواجهة بين سليمان القانوني والهابسبورغ[1] في النمسا سنة 1542م كما اشتعلت الحرب من جديد بين شارل كوينت وفرانسوا الأول بخصوص ميلانو[2].

إندلعت حرب بين الإسكتلنديين وفرنسا أين فقدت بولون Boulogne التي سيحتلها الإنجليز 6 سنوات، هذه الأخيرة وجدت نفسها على جبهتين، فعقد فرانسوا الأول وسليمان القانوني إتفاقية وافق الفرنسيون بمقتضاها على إقامة قاعدة بحرية في طولون Toulon للأسطول العثماني بالإضافة إلى تقديم معونة مالية لعملياته ابتداء من القرن الذهبي. عندما ظهر خير الدين قائد البحرية العثمانية في غرب البحر الأبيض المتوسط على رأس أرمادة ضخمة أثار الرعب في إيطاليا الإسبانية وهدد إسبانيا نفسها، لم يعد الموضوع هو الإنزال الإسباني بالجزائر بل أصبح هو الإنزال العثماني على الأرض الإسبانية نفسها وبطلب من الملك المسيحي توجه خير الدين في جويلية 1543م على رأس أسطول عثماني متكون من 150 سفينة مختلفة الأحجام على متنها 14.000 رجل[3]. تزامن ذلك مع ازدياد نشاط البحرية الجزائرية بتوجيه من خير الدين باعتباره بيلر باي[4] شمال إفريقية وأمبرال باشا، قائد البحرية، البحرية السلطان، فقام بعمليات إنزال على طول السواحل الإيطالية وكان ذلك بتعاون مع وحدة البحرية الفرنسية الصغيرة المشكلة من 22 سفينة وأحيانا كان يقوم بالعمليات بنفسه وقد نتج عن إحدى هذه العمليات إعتقال حاكم قصر ريجيو Riggio وهو "دون دييغو قايتانو" وابنته الجميلة الموهوبة وقد جلبت هذه المرأة الشابة نظر خير الدين وأقنعها بأن تصبح زوجة له.

---

[1] على رأسها فرديناند الأول (1503 – 1564م) أخو شارل كوينت تنازل له على حكم ألمانيا واللقب الإمبراطوري (1556 – 1564) MOURRE. P.380.

[2] كان لاغتيال سفير فرانسوا الأول في لمبارديا "رينكون" و"فريقوس" وهم يعبران إيطاليا الأول متجه إلى البندقية والثاني إلى اسطنبول فكان ذلك سبب تجدد الحرب بين إسبانيا وفرنسا. GARROT(H). op.cit.. P.410.

[3] AUPHAN(P). op.cit.. P.175.

[4] بيلرباي إفرقيا وأباي البايات يسفر السلطة الممنوحة لصاحبه، فهي تعطيه السيادة المطلقة على الباشوات الصغيرة لتونس وطرابلس، تركت له حرية اختيار بشاواتها، ومن الخطأ وضعها في نفس رتبة الباشا. GRAMMONT (H.D). op.cit.. P.73.

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

2- خير الدين في مرسيليا - الاستيلاء على نيس -:

من انعكاسات المعاهدة بين سليمان القانوني وفرانسوا الأول، تولى خير الدين القيادة العليا للقوات المشتركة الفرنسية العثمانية وأثناء هذه العملية أثبت رجال المدفعية العثمانيين قوتهم بكل وضوح، وكان الانضباط العثماني أفضل بكثير من الانضباط الفرنسي وما كان يزعج خير الدين أن الفرنسيين نفذ عنهم البارود وكان عليهم أن يمدوا أيديهم إلى التموين العثمانيين. لقد أصبح خير الدين قلقا على شعب نفذت ذخيرته الحربية قبل أن تنفذ من عنده الخمر[1].

من تم انسحب الأسطول العثماني من ميناء "طولون" أين سيقضي شتاء 1543 - 1544، مع صدى هذا الخبر، ثار الموريسكيون في إسبانيا معتقدين في إمكانية إنزال عثماني لتقديم الدعم لتلك الثورة، أما خير الدين فمن طولون أرسل 25 سفينة إلى الجزائر وكلها على السواحل الإسبانية، وقد أمكن القول: "لولا المساهمة غير المنتظرة للأسطول الجنوي بقيادة أندري دوريا André Doria إلى جانب نجدة شارل كونيت، كان بإمكان التحالف بين السلطان المسيحي وقراصنة الجزائر تحقيق هدفهم"[2].

إن تجربة التعاون الفرنسي العثماني تركت آثار على الضيف والمضيف مما جعل التعاون مستقبلا أقل احتمالا. وبناءا على كل المراجع فإن العثمانيين تميزوا بسلوكهم النظيف وكان انضباطهم متينا وراسخا، غير أن الفرنسيين الذين أجبروا على التخلي عن منازلهم ومدينتهم ليفسحوا المجال للعثمانيين قد قاوموا التجربة. وما كان يزعج أكثر في استمرار التحالف العثماني الفرنسي مستقبلا هو عجز الخزينة الفرنسية على دفع ثمن دعم العثمانيين خلال كل شتاء.

---

(1) جون - ب - وولف، نفس المرجع، ص63.

(2) BELHAMMICI (H), op.cit ; P.151.

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

لقد أصبح خير الدين مقتنعا أن فرانسوا الأول قد فشل في الوفاء بالوعد، ونتيجة لذلك فقد أظهر كرها عميقا لكل من الملك الفرنسي وشعبه، هذا الكره الذي ورثه خير الدين لابنه "حسن". ومن جهة أخرى قرر فرانسوا الأول أن ثمن الإبقاء على الأسطول العثماني كان مرتفعا جدا، وأفضل من ذلك عقد سلام مع شارل الخامس[1].

كما أن شارل الخامس كان يريد السلام مع فرنسا للأسباب السابقة الذكر يضاف لها اضطرابات البروتستانت وأتباع لوثر في ألمانيا وتحدي ملوك شمال ألمانيا لسلطته، وقد عُقد السلام بين الملكين في Crespy en valois وذلك في 18 سبتمبر 1544م[2].

هذا السلام بين فرنسا وإسبانيا دفع بالسلطان سليمان القانوني إلى عقد هدنة مع الإمبراطور سنة 1545م وذلك بسبب تجدد الصراع في الشرق وبالتحديد في إيران وعودة نشاط الشيعة والذي تدعمت بصراع داخلي على السلطة -ابن السلطان دخل في ثورة ضد أبيه- إضافة لضرورة مواجهة الخطر البرتغالي في المحيط الهندي، كما لا ننسى اتساع الإمبراطورية العثمانية وصعوبة التحكم في تلك الرقعة الواسعة، فإضافة إلى ممتلكاتها في إفريقيا أصبحت تشرف على أكثر من 40 سنجاق في آسيا و36 سنجاق في أوروبا، كان على العثمانيين أخذ قسط من الوقت لتنظيم شؤونهم، سيتحول العثمانيون بعد ذلك عن البحر المتوسط تاركين استغلال التفوق البحري للأسطول الجزائري[3].

أما خير الدين فقد أبحر من ميناء طولون في أفريل 1544 محملا بالغنائم والأموال ليصل إلى سواحل "جنوة" في ماي فيغير على جزيرة "ألب" Elbe ، وينهب سواحل طوسكانيا وجزيرة « ISCHIA » وسواحل "كلابريا" ثم يقنبل ويستولي على مدينة « Lipari » فتمكن من أسر أعداد كبيرة من سكان تلك المناطق، ورجع قافلا إلى إسطنبول محملا بغنائم لا تقدر، ونظرا لكثرة الأسرى فقد اختنق عدد كبير منهم داخل السفن[4].

---

(1) جون – ب – وولف، نفس المرجع، ص63.

(2) GARROT(H). op.cit.. P.411.

(3) AUPHAN (P). op.cit.. P.175.

(4) GARROT (H). op.cit.. P. 411.

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

3- حسن بن خير الدين بيلر باي:

لم يكن لخير الدين إلا ابن واحد وهو حسن باشا - ولد من أم جزائرية - وقد عينه السلطان مكان والده سنة 1544م، دعمه هذا الأخير بـ 12 سفينة (Galères) مسلحة تسليحا جيدا[1]. حيث وصل إلى الجزائر في شهر جوان من السنة نفسها، وكان للهدنة بين السلطان وملك الأسبان أثر على النشاط البحري للأيالة، لذلك وجه حسن باشا جهوده للسيطرة على داخل البلاد ومن ذلك حملته إلى تلمسان سعيا لإخضاعها. وقد قام بمحاولتين الأولى كانت سنة 1545م، حيث توجه على رأس حملته ولما علم حاكمها الموالي للأسبان فر إلى وهران تاركا المدينة أين وصلها حسن باشا ونصب أخاه الموالي له "مولاي أحمد" ورجع قافلا إلى الجزائر. وفي السنة الموالية زحف (Alcaudet) على تلمسان بجيش قادم من إسبانيا وقام بتنصيب "مولاي عبد الله" الموالي له بينما فر "مولاي أحمد" إلى فاس ليستنجد بسلطانها.

كان لوصول نبأ وفاة خير الدين سنة 1546م أن حال دون رد فعل سريع لما قام به حاكم وهران الإسباني بإخضاعه لتلمسان ثانية وتنصيب مواليه.

وفي الوقت نفسه كان لجماعة رياس البحر موقف آخر فهي تتميز عن فرقة الإنكشارية والجنود المورسكيين في جيش حسن باشا. إن احترام تلك الهدنة سيمنع عنهم النشاط الوحيد الذي يتقنونه، إن هؤلاء الرجال قد قدموا حياتهم للجهاد والغزو، وكانوا من جهتهم مسلمين صادقين عازمين على اخذ الثأر لإخوانهم ضد الدولة المسيحية الإسبانية كما كانوا من جهة أخرى "غزاة" أحرار حولوا نشاطهم البحري إلى أعمال تجارية يمكن أن تجلب الأرباح الطائلة لهم ولملاك سفنهم، وكان على رأس هؤلاء أفضل أصدقاء خير الدين وهو "درغوث"[2].

---

(1) Haëdo. op.cit.. P.238.

(2) درغوث إختلفت الأراء حول مكان ولادته من رودس، إلى أناضوليا، إلى اليونان، المهم أنه منذ الصغر لفت نظر خير الدين إليه، وصعد بسرعة حتى أصبح أقرب مساعديه، وكان على رأس أحد أجنحة الأسطول العثماني في بريفيسا 1538م ومن سوء حظه سقط في الأسر، أثناء تواجد خير الدين في ميناء طولون إتفق مع أندريا دوريا على تحرير درغوث رغم الفدية الكبيرة فقد ندم دوريا على إطلاق سراحه لأنه لم يعترف بالهدنة بين السلطان والملك الإسباني. جون - ب - وولف، ص.64-65.

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

4- درغوث في موجهة دوريا (تخريب الإسبان للمهدية):

توفي فرانسوا الأول في 31 مارس 1547م خلفه ابنه هـنري II « Henri »[1] 1519 - 1559م وقد عرفت العلاقات في عهده فتورا مع الدولة العثمانية، ممـا شـجع "شـارل كونيت" على تمديد الهدنة مع سليمان القانوني، ووفق أي مواجهة عسكرية لكنها لم تـدم طويلا "فدرغوث" الذي خلف خير الدين في البحر قام بالإغارة على السواحل الإيطاليـة 1548م. ومن أكبر الغنائم التي تحصل عليها "درغوث" هي الاستيلاء على سفينة مالطية كانت تحمل خزينة مال فرسان القديس يوحنا التي كانت تقدر بحوالي عشـرين ألـف دوكاس. لقد كانت "جربة" نقطة ارتكاز وميناء أسطول درغوث كما كان الحال بالنسبة لعروج قبله واتفق مع شيخها على منحه سهم من الغنائم، ولما كبر أسـطوله واتسـع نشاطه راح يبحث عن ميناء أوسع فوجد ضالته في "المهدية" المعروفة أيضـا باسـم إفريقيا، وتمكن من الاستيلاء عليها في فيفري 1550م، ومنها انطلق أسطوله يغير علـى السواحل الإيطالية والإسبانية واحتجت حكومة هذه الأخيرة لدى السلطان لنقض الهدنـة التي لم تكن من جانب واحد فالبحارة المسيحيون المنطلقـون مـن مالطـة، صقليـة ومينوركة قد انتهكوا الهدنة أيضا بهجومهم على التجارة الإسلامية في شـرق البحـر المتوسط وأسرهم للحجاج المسلمين من المغرب إلى البقاع المقدسة ومكة والمدينة[2].

نشاط درغوث أنهك الأسبان انطلاقا من المهدية القريبة جدا من حلـق الـوادي التابعة لإسبانيا وصقلية وتحت طلب وإلحاح حاكم حلق الوادي توجه "دوريا" الأسـطول الإسباني إلى المهدية في نهاية 1550م واستولوا عليها بمساعدة مجموعة مـن فرسـان مالطا[3].

---

[1] هنري الثاني ملك فرنسا (1574-1559) إبن فرانسوا الأول، واصل سياسة أبيه إضعاف الهابسبورغ، وتدعيم البرتيستانت في ألمانيا، لكنه حازبهم في فرنسا. استمرت الحرب ضد إسبانيا شارل كوينت وفليب الثاني الذي هزم جيش فرنسا 1557م ليأتي إتفاق cateau cambresis 1559 فرض عقوبة الإعدام على البروتستانت، رغم سلطة الملك على حساب البرلمان.
MOURRE, P.516.

[2] GARROT (H), op.cit ; P.412.

[3] جون - ب - وولف، نفس المرجع، ص.66.

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

إن سكان المهدية الذين دفعوا الثمن غاليا، وقعوا ضحية النهب والاغتصاب والقتل والاسترقاق، فمصير المدينة ترك لقرار شارل الخامس ومجلسه الإسباني وقرروا أن حماية وتحصين المدينة سيكلف غاليا فكان مصيرها التدمير[1].

إن ما حدث في المهدية قد ترك آثار عميقة في إسطنبول، ورغم اهتمامات السلطان بمشاكل إيران، لم يكن مستعدا لتقبل تحكم الأسبان في وسط البحر المتوسط، فإضافة للمهدية هناك فرسان مالطا في طرابلس إضافة إلى صقلية ونابولي. كما أن السلطان رأى في سعي ملك فرنسا « Henri II » إلى إحياء الوفاق مع العثمانيين ومواصلة سياسة أبيه هي أحسن وسيلة لحماية فرنسا من أطماع وطموحات الأسبان.

أمر شارل كونيت "دوريا" « Doria » بمطاردة "درغوث" فانطلق الأسطول الإسباني في مارس 1551م ومر من المهدية ثم توجه إلى القنطرة، أين كان أسطول درغوث فحاصره ، تأكدا من استحالة الخروج عبر الميناء، قام درغوث خلال عشرة أيام بتعبيد طريق رملي يفصل بين الخليج والبحر ثم قام بتغطيته بقطع خشبية دائرية مدهونة بطلاء زلج، واستعمل الكوابل لسحب سفنه إلى البحر[2]، ومن تم توجه إلى أعالي البحر، فألقي القبض على النجدات المرسلة إلى "دوريا" الذي انسحب إلى صقلية.

5- تحرير طرابلس على يد سنان باشا - التضامن الإسلامي:

جاء رد فعل سليمان بإرسال أسطول بحري متكون من 192 سفينة مختلفة الأحجام بقيادة "سنان باشا" مع أمر إلتحاق درغوث من ميناء طولون وأيضا بمساندة "صالح رايس" أميرال الجزائر، ومنها جاءت الإغارة على السواحل الإيطالية في أوت 1551م ومنها حيث توجه الأسطول إلى مالطة ولصعوبة الاستيلاء عليها بسبب تحصيناتها فقد تم الإنزال في جزيرة « Gozzo » حيث أسر (6000) مسيحي[3].

---

(1) الأرشيف الوطني، دفتر مهمة (35) ، ص 177، حكم 452، تاريخ 986/6/21، 1578م في مراسلة من السلطان مراد الثالث إلى حسن فينزيانو، يطلب تعمير المهدية مقابل إسقاط ثلاث (03) سنوات ضرائب.

(2) GARROT (H), op.cit., P.412.

(3) AUPHAN (P), op.cit., P.178.

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

أبحر "سنان باشا" إلى طرابلس الخاضعة لفرسان القديس "يوحنا" (فرسان مالطـــا) وبعد حصار دام عدة أيام وأمام تأكد سقوط طرابلس وتدخل السفير الفرنســـي Armont لدى "سنان باشا" وطلب منه بأن يسمح للفرسان في طرابلس بالجلاء على متن ســـفينة فرنسية في مقابل استسلامهم حلا[1].

وأخيرا قبل "سنان باشا" بعرض السفير الفرنسي لأنه كان يريد المحافظـــة علـــى العلاقة الحسنة بين الدولتين كما أراد أن يتفادى أي خســـائر فـــي صفـــوف جنـــوده وأسطوله، وسمح للفرسان بالجلاء مع السفير الفرنسي أما الجنود الذين كان يتألف منهم الجيش فقد أخذوا أرقاء.

الاستيلاء على طرابلس مكن من الحصول على مرسى يربط البحـــر المتوســـط بطرق القوافل المتجهة إلى الصحراء وإلى إفريقية السوداء جنوبـــا (طـــرق الذهـــب) بالإضافة إلى تأمين طريق الحجاج إلى البقاع المقدسة، أما "درغـــوث" فـــأصبح باشـــا طرابلس ومعه أسطول متكون من 40 سفينة وأصبح دعامة هامة للأســـطول العثمـــاني وكان من المنطقي أن تتلقى السواحل الإيطالية أولى ضربات "درغوث باشـــا" حيـــث هاجم سواحل كلابريا (Calaber) وقام بنهب (Proceda) وهدد نابولي، حيث تلقى "دوريـــا" الأمر بإسعافها فالتقى بدرغوث باشا في 05 أوت أين تمكن هذا الأخير من النيل منـــه على سبع سفن وغرقت له واحدة كما تمكن من أسر 700 جندي ألماني[2].

أما من جهة ملك فرنسا (Henri II) فقد وجد التحالف مع سليمان فرصة لإضعـــاف أكثر "شارل كونيت" والهاسبورغ، لقد شجع انفجار الوضع في قلب أوروبـــا بواســـطة البروتستانت الألمان[3]، وفي الوقت التي تشغل فيه فرنسا المناوشات في منطقة اللورين كان العثمانيون سيهاجمون من الجهة المعاكسة الإمبراطورية الجرمانية ويتوغلون فـــي

---

(1) كان العثمانيون مترددين في قبول أي اتفاق مع الفرسان لعدم وفائهم بوعود سابقة فمنذ 30 سنة تعهدوا لسلطان سليمان في معاهدة رسمية بعد القيام بأي نشاط بحري مجددا، مقابل جلائهم عن حصن رودس

(2) GARROT (H), op.cit ; P.413.

(3) ALVAREZ, Manuel Fernandez, Politica, op.cit ; P.115.

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

البحر أين سيستلون على تمشوارة (Temesvar). وهكذا ستشتعل الحرب من جديد مـــدة سبع سنوات[1].

6- تطور الوضع داخل الجزائر - توسع الأيالة الجزائرية - الحملة على تلمسان:

كان حسن بن خير الدين مقتنعا بضرورة تدعيم السلطة في الجزائر، في المنطقـة الممتدة من البحر إلى الصحراء، بدل المساهمة في المجهود الحربي خدمة لسياسة ملك فرنسا "هنري II" وقد تعلم من والده خير الدين بسبب التجربة السابقة عدم الثقـة فـي الفرنسيين.

تحت إلحاح سكان تلمسان خرجت حملة من الجزائر سنة 1550 مشكلة من 14.000 جندي بقيادة حسان قورصو متجهة إلى مستغانم حيث سينظم لها قبائل بن عامر، وكـان الاتفاق مع سلطان فاس "عبد القادر" على إرسال جيش يلتحم مع جيش الجزائري فـي عين تموشنت للاستيلاء معا على وهران ثم التوجه معا للقيام بعملية إنزال في إسـبانيا. كانت القوات المغربية تحت قيادة ولدي السلطان، بحيث انقلبا على الجزائريين وتوجـها إلى تلمسان حيث احتلها الابن الأصغر "مولاي عبد الله" وأقام لها حامية، أمـا أخـوه فواصل غاراته على قبائل بن عامر، مما دفع بالقوات الجزائرية للهجوم على الجيـش المغربي حيث ألحقوا به الهزيمة في الواد المالح (Rio Salado) في الطريق إلى وهـران، تلمسان وطاردا الجيش المغربي حتى الملوية. وما إن وصلت الأخبار حتى فر "مـولاي عبد الله" واتجه إلى فاس، أما القوات الجزائرية العثمانية فدخلت تلمسان وأقـامت بـها حامية متكونة من 1500 جندي إنكشاري بقيادة القائد "صافا" أما "حسن قورصو" و"علـي صاردو" فقد رجعا إلى الجزائر ومعهم غنائم كثيرة ورأس الابن البكر لسلطان فاس[2].

في السنة نفسها قام حسن بن خير الدين ببناء برج مـولاي حسـان المعـروف بحصن الإمبراطور على كدية الصابون، ثم وجه اهتمامه لتحصيـن المدينـة وإنشـاء مستشفى للإنكشارية والعجزة وبناء الحمامات للاستعمال العام ومجانا. في تلك الأثنـاء

---

(1) AUPHAN (P). op.cit.. P.178.

(2) Haëdo. op.cit.. P.266.

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

تلقى الأمر بالتوجه إلى إسطنبول وهذا ما قام به فعلا في سبتمبر 1551م، حيث أخبر بعزله من منصبه كحاكم على الجزائر[1]، أما السبب الفعلي لعزله فيربط بالحملة على تلمسان ذلك أن "الشريف السعدي" حاكم فاس كان قد احتل تلمسان سنة 1550م بعد أن حاصرها 30.000 جندي، وسبق أن وعد السعديون حسن باشا إذا ما سار يوما إلى وهران أن ساعدوه على أخذها من الأسبان، ولكنهم خشوا اختلال توازن القوى في المنطقة فاستعانوا بالأسبان على فتح تلمسان، وخُلع أحمد الثالث ونصب عوضه أخاه محمد السادس، فلما بلغ "حسن باشا" الخبر أسرع فوافى الأسبان والسعديين في "الوادي المالح" (Rio Saldo) وكان في جمع يبلغ 14.000 جندي منهم 6000 تركي و8000 بربوي، ولما التقى الجمعان انهزم الأسبان وانكسر الفاسيون، وقتل مولاي عبد القادر وتابع أحمد الثالث إثر الهاربين حتى قدم إلى تلمسان فدخلها واستولى عليها وولى "صفا" أميرا عليها ورجع. ومع رجوع "حسن باشا" إلى الجزائر قام "حسن" أخو "محمد السادس" و"أحمد الثالث" واستولى على تلمسان وقد أعانه الإسبان على ذلك. وظل يحكمها حتى سنة 1555م حيث استولى عليها "رايس صالح باشا" نهائيا وجعلها سنجقا تابعا للدولة العثمانية وهكذا انقضى حكم بن زيان بعد 319 سنة من قيام دولتهم فيها وكان ذلك هو السبب الذي عزل من أجله "حسن باشا" عن حكم الجزائر وتعيين صالح رايس مكانه.[2]

لم يكن في الحقيقة عزل "حسن باشا" ناتج عن عدم إرتياح الباب العالي من تصرفاته، ولكن المصلحة اقتضت ذلك. فغيوم الحرب قد أخذت تتلبد من جديد في سماء أوروبا بعد فترة هدوء نسبي (1545-1552) لا يعركها غير الغزوات والقرصنة في البحر المتوسط.

---

[1] يرجع قرامون سبب عزله إلى الدور الفعال الذي قام به السفير الفرنسي أرامون لدى الباب العالي بسبب رفض هذا الأخير التعاون مع فرنسا، فتوجه إلى اسطمبول واستطاع إقناع الديوان بأن حسن باشا يخطط للإستقلال بالجزائر وأن اعماله الداخلية موجهة لهذا الغرض. GRAMMONT (H.D). op.cit.. P.77.

أما هايدو فيورد سبب أخر يتمثل في رغبة ضهر السلطان وأحد أكبر الباشوات واسمه "روسطان" أراد الاستيلاء على الحمام الذي بناه خير الدين قبل وفاته، فتوجه حسن باشا ليمنع ذلك مما أغضب روسطان وسعي لعزله. Haëdo. op.cit .. P.267

[2] خليل الساحلي، تقليد صالح باشا ولاية جزائر الغرب سنة 1552م، المجلة التاريخية المغربية، جويلية 1974، تونس، ص.126-127.

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

ويرجع "بروديل" ذلك لوفاة بعض الشخصيات الشهيرة التي ملأت النصف الأول من هذا القرن بصراعها وحروبها من بينهم بطل البروتستانتية "لوتر Luther" (فيفري 1546م) و"خير الدين باشا بربروس" (جويلية 1546) وملك بريطانيا "هنري الثامن" (فيفري 1547) و"فرانسوا الأول" ملك فرنسا (مارس 1547).

وخلف هؤلاء جيل اعتنق سياسة جديدة كانت تعمل لصالح السلام لفترة معينة. ولكن أسباب الحرب قد تهيأت من جديد بسبب سياسة الإمبراطور شارل الخامس Charles Quint الذي كان يطمع في تأمين تاج الإمبراطورية الرومانية لابنه وولي عهده في إسبانيا "فيليب الثاني" (Philippe II) ولكن الألمان البروتستانيون لم يرضوا به، كما عارضه أخوه "فرديناند" (Ferdinand) وابنه "ماكسمليان" (Maximilian) ملك المجر وألمانيا فنشبت حروب دينية واجتماعية داخل ألمانيا[1] ثم عند حلفائها، وكذلك في فرنسا وداخل الدولة العثمانية.

كان بين سليمان القانوني وشارل الخامس قضايا كثيرة تستوجب الحل، فقد كان شارل الخامس وراء الفتن في تراسلفانيا وقد حصن القلاع على حدود الدولة العثمانية في المجر، وأفتك المهدية التي احتلها "درغوث باشا" في سبتمبر 1550م متذرعا بأن عملية هذا الأخير تعد قرصنة يستوجب على فاعلها التأديب، أما "سليمان القانوني" فلم يعبأ بقوله، بل طلب منه هدم القلاع وتسليم المهدية وكان من نتيجة رد الفعل أن فتحت طمشوار في تراسلفانيا وطرابلس الغرب في البحر المتوسط في أوت 1551م، واستعد الأسطول العثماني بقيادة "سنان باشا" للتوجه لمساعدة فرنسا للغارة على كورسيكا (Corse) في العام التالي.

ثم لم يكن ينتظر من "صالح باشا"[1] حسن الجوار مع السعديين ماداموا لا يرتاحون لجيرة العثمانيين، وما ظلوا طامعين في تلمسان، لكن المصلحة اقتضت

---

(1) ALVAREZ (M.F), Politica. op.cit ; P.119.

(2) صالح باشا رايس 1552-1556م، أصله عربي من مواليد الأسكندرية في مصر، تربى منذ صغره بين الاتراك، كان ذلك أثناء الحملة على مصر ففي عهد السلطان سليم، عمل تحت إمرة خير الدين، قبل أن يعين على رأس الإيالة كان ينشط بين فرنسا وإسبانيا في 1543م حطم روزاس، بلاموس، هاجم عدة مرات مايوركا خصوصا 1553م، لكن أعماله الجليلة تبقى الإستيلاء على حصن باديس، تحرير بجاية 1555م وحصار وهران لكن المرض ثم الموت خطفه في 1556م، خليل الساحلي، نفسه، ص.127.

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

المداراة حتى تضع الحرب أوزارها وكان وصول صالح رايس في نهاية أفريل 1552م على رأس عشر 10 سفن إلى مدينة الجزائر.

7- حملة صالح رايس على الجنوب الجزائري:

وصل صالح رايس إلى الجزائر في الوقت الذي رفض فيه أمراء تقرت وورقلة، وزعماء القبائل العربية على حدود الصحراء دفع الضريبة والاعتراف بسلطة الأيالة وإذا نجح هذا التمرد فستنتشر العدوى إلى بقية المناطق الأخرى وقبائل الجنوب الرحل يعتقدون بأنهم أحرار وغير خاضعين لأي سلطة، فتوجه إليهم مع بداية أكتوبر على رأس 3000 إنكشاري و 1000 فارس ومدفعية فقط دون أن يعلم عن وجهته المقصودة وهذا لمباغتة أعدائه، وقد وصل إلى مشارف تقرت قبل أن يعلم أميرها بما حدث، فرفض الخروج ومواجهة الجيش المهاجم الذي استعمل المدفعية في هجومه فحطم أسوار المدينة وأعطى الأمر بالهجوم وكان فرق التسلح كاف لإلحاق الهزيمة بقبائل تقرت، فرماحهم وسيوفهم لم تستطع أن تصمد في وجه جنود مسلحين بالقربينات والمدافع الصغيرة، وهكذا أجبرهم "صالح رايس" على السلم، وقتل المسؤول عن التمرد كما تعهدوا له بدفع الجزية. من هناك توجه إلى ورقلة وقبل أن يصلها فر أميرها وأتباعه إلى مدينة القلعة لكن "صالح رايس" أرسل إليه مانحا إياه الأمان مقابل الخضوع لسلطة الأيالة ودفع الجزية وهذا ما قبله واستمر خلفائه على احترام تعهداتهم[1].

وبناء على المصادر التركية فإن "صالح رايس" قد رجع إلى الجزائر بخمسة عشر جملا محملين بالذهب وغيره من الغنائم المؤلفة من الأقمشة والجواهر والجلود بالإضافة إلى الحيوانات وخمسة آلاف عبد من الزنوج، قد يكون ذلك مبالغ فيه ولكن "صالح باشا" واجه تمرد آخر من طرف رجال "كوكو" وهو التمرد المدعم بالذهب الإسباني[2] انطلاقا من بجاية وقد قمع ذلك التمرد بالطريقة نفسها التي وضع بها حدا لتمرد الجنوب[3].

---

(1) Haëdo, op.cit; p272.

(2) جون – ب – وول، نفس المرجع، ص70.

(3) شارل أندري جوليان، نفس المرجع، ص.343.

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

8- طبيعة العلاقات الجزائرية المغربية وانعكاساتها:

تميزت العلاقات بين الجزائر العثمانية والمغرب السعدي بالصراع والتنافر منذ البداية وأسباب ذلك تعود إلى رفض السعديين الانطواء تحت راية الدولة العثمانية ورغبتهم في مد نفوذهم إلى الجزائر ومن ثم إلى المشرق إحياءا وتقليدا للأشراف الفاطميين الذين انطلقوا من المغرب نحو المشرق وثبتوا خلافاتهم فيه، ولتحقيق أهدافهم الاقتصادية، التجارية والسياسية، تلك الرغبة اصطدمت برغبة حكام الجزائر في مد نفوذهم إلى المغرب تحقيقا أيضا لأهدافهم وأهمها وحدة العالم الإسلامي تحت نفوذ الدولة العثمانية وقبل ذلك وحدة المغرب العربي الإسلامي[1]. أثناء احتدام الصراع بين القوة السعدية الزاحفة من الجنوب نحو الشمال مدعمين بالزوايا والطرقية خصوصا الشاذلية كما اتفقوا مع القادرية في فاس. نتائج وانعكاسات ذلك انتصار الجهاد المقدس ضد البرتغاليين، ثم سقوط أغادير 1541م في أيديهم كان لذلك الانتصار صدى كبير وسط الشعب المغربي "قصافي" و "أزمور" حررت من الاحتلال وكان ذلك إنتصارا أيضا ضد الوطاسيين، الذين حاولوا من جهتهم استرجاع مراكش 1525م دون جدوى، فبدأت الشكاوي من النهب والسلب، فتدخل الزوايا الطرقية وتقرر تقسيم المغرب من بعد فشل هجوم وطاسي بتصدي السعديين له.الذين تحكموا في تادلا وتافيلالت.

أمضى سلطان فاس على هدنة مع البرتغاليين، مع احتمال عقد تحالف معهم ضد السعديين، المشروع لم ينجح فقد ألقى عليه القبض أخ "أحمد الأعرج" وهو "محمد الشيخ" في 1545م. أثناء أسر السلطان توجهت عائلته تستنجد بالعثمانيين وتطلب حمايتهم من المغتصب السعدي وفعلا أرسل "سليمان القانوني" مبعوثا إلى "محمد الشيخ" إلى مراكش لكنه فشل في مهمته، ليستولي على إثرها السعديون على فاس 1549م، ومن ثم توجه أخوه "أبو حسون" يستنجد بأوروبا، فمن إسبانيا، إلى ألمانيا ومنها إلى

[1] عمر بن خروف، العلاقات بين الجزائر والمغرب (1517-1659)، مجلة الدراسات التاريخية، العدد1 الجزائر 1986، ص143.

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

(Augsburg) ليطلب مساعدة "شارل كوينت" دون أن يحصل عليها، ليعود إلى إسبانيا حتى يصل (Philippe II) الذي منحه مجموعة سفن ومبلغ من المال ليعود إلى "بادس"[1].

تزامن ذلك مع طلب (Henri II) ملك فرنسا من "بيلرباي" الجزائري للقيام بغارة مشتركة على السواحل الإسبانية، في الوقت نفسه ليقوم "درغوث باشا" بفرض حصار على أسطول دوق ألب. انطلق "صالح رايس" من الجزائر مع بداية جوان 1552م على رأس أسطول متكون من 40 سفينة حيث أغار على مايوركا ثم واصل على طول الساحل وفي طريقه استولى على عشرة سفن إسبانية برتغالية وعلى متنها سلطان "فاس" المخلوع الوطاسي "أبو حسون" وتوجه الجميع إلى "حصن بادس" الذي كان على رأسه القائد موسى تابع للسعديين.

فخرج يستقبل أسطول صالح رايس ويعلن خضوعه له لكن البيلرباي رفض على أساس أنه سلام مع سلطان فاس، أكثر من هذا فهو يقدم كل السفن المسيحية وما عليها كهدايا للسلطان وأنه سيأخذ معه "أبو حسون" كأسير إلى الجزائر لأنه استنجد بالمسيحيين لاسترجاع ملكه[2].

أ- حملة صالح رايس على المغرب:

لم تمض إلا بضعة أشهر حيث وقعت غارة مغربية على الحدود الغربية الجزائرية فغيرت الملوية[3] فكانت سببا في إعلان الحرب على الشريف السعدي، حيث جهز "صالح رايس" حملة عسكرية انطلق بها في جانفي 1554م بينما أمر أسطوله بالتوجه إلى قصاصة.

---

(1) حصن باديس Le penon de valez احتله الإسبان سنة 1508م عن طريق حملة قادها بيار نافارو لكنهم ما لبثوا أن فقدوه سة 1522م، ثم استولى عليه صالح رايس، ثم اعاد الإسبان سيطرتهم عليه في عهد فليب 1564IIم بمساعدة الشريف السعدي.

BRIGNON (J) et autres, op.cit; P.207

ALVAREZ (M.F), Politica, op.cit ; P.241

(2) Haëdo, op.cit; p274.

(3) حسب مارمول Marmolفنهر الملوية كان دائما باتفاق الطرفين الجزائري والمغربي يمثل حدود طبيعية بين البلدين
Histoire des rois D'Alger par fray Diégo de Haedo, abbe de fromesta, trad et annotée par , DEGRAMMONT (H.D) R.An° 24, 1880, P.275.

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

عند وصوله إلى تازة التقى بالجيش "الشريف السعدي"، ورغم التفوق العددي لهذا الأخير إلا أن صالح رايس باغتها بهجوم مما دفع بعدد كبير من المغاربة إلى الانضمام للجيش الجزائري ففر الشريف إلى فاس حيث لاحقه "صالح رايس" ليلحق به هزيمة ثانية وعلى إثرها دخل "فاس"، أما غنائم وكنوز المدينة فقد حملت على متن السفن إلى الجزائر ونصب "أبو حسون" على فاس بعد أن أخذ منه العهد بالوفاء والخضوع له، من تم توجه إلى حصن "بادس" أين وضع حامية متكونة من 200 جندي وطلب من قائدها التحصن جيدا في ماي 1554م وفي طريق العودة مر بالعديد مد المدن منها تلمسان، مستغانم، تنس، حيث أعطى أوامره بتحسين التحصينات وتنظيم شؤونها ورجع قافلا إلى الجزائر في أوت 1554م.

بدون مال ولا سلاح لم يصمد آخر الوطاسين كثيرا حيث هزم على يد السعديين في السنة نفسها 1554م في موقعه تادلا (Tadla) كما سقطت فاس مباشرة بعد ذلك.

بعد عودته إلى الجزائر أرسل صالح رايس أسطوله للمساعدة، ونقل 4000 جندي فرنسي إلى (Toscane) في إيطاليا بعد اطمئنانه على الناحية الغربية توجه إلى تحرير بجاية[1].

ب- السعديين والخطر العثماني:

إن السياسة الخارجية للسعديين، وخلفائهم من بعدهم ستوجهها الرغبة الملحة على حماية حدودهم من الخطر العثماني القادم من الجزائر، ومن هنا يأتي اختيار مراكش كعاصمة لهم بدل فاس، للابتعاد عن ذلك الخطر القادم من الشرق، وهي سياسة محمد الشيخ ضد العثمانيين، فدخل في مفاوضات مع الأسبان في وهران للتقرب منهم[2]. ثم جاء من بعده ابنه وخليفته مولاي عبد الله (1557م - 1574م) الذي سيواصل السياسة نفسها، بل أكثر من ذلك فقد تنازل للأسبان عن ميناء "بادس" سنة 1564م لكسب ودهم، رغم ذلك التخوف للحفاظ على استقلاليتهم حتى وإن كانت نسبية بسبب الوجود

---

[1] شارل اندري جوليان، نفس المرجع، ص. 344.

[2] Relation adressée au compte d'Alcaudéte par Miguel de Le Ziano. sur les négociations avec le cherif, Malaga 22 Juillet 1555, arch de simancas, estado, legajo 108, R.A. n°21, 1877, p271.

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

الإسباني الذي فضلوه على الخلافة الإسلامية. وقد راسل السلطان سليمان القانوني، حسن باشا وأخبره بإرتقاء هذا الأخير في أحضان الإسبان وأنه خان العهد[1] لقد كان السعديون منجذبين ومتأثرين بعظمة العثمانيين خصوصا في المجال العسكري، وما حققوه من توسع أثر عليهم، فابتداء من محمد الشيخ ثم خلفائه من بعده سيدخلون العنصر التركي في الجيش السعدي، وكان ذلك سبب اغتياله وتعليق رأسه في إسطمبول. ومنه سيتم تنظيم الجيش بالطريقة نفسها التي تم بها تنظيم الجيش العثماني، وأكثر من هذا فإننا سنجد اثنان من أبناء محمد الشيخ، عبد الملك وأحمد السلطان المغربي المعروف بالمنصور. الذي كان متأثرا إلى أبعد الحدود بمختلف الحضارات خصوصا العثمانية فهو يتقن الإسبانية، الإيطالية والتركية، ويمكننا القول أن في عهده تم تتريك المغرب[2]. ولا نختم حديثنا عن المغرب دون الإشارة إلى السند والمعونة التي وجدها عبد الملك وعبد المومن شقيقا الملك عبد الله فقد كان يحصلان على مرتب شهري من الجزائر بقيمة 1000 زياني ذهبا، بموافقة السلطان سليم الثاني[3]

9- صالح رايس يحرر بجاية نهائيا 1555م:

انطلق من الجزائر في جوان 1555م برا على رأس 3000 جندي بينما أرسل بعض السفن محملة بـ14 مدفع بذخيرته، واستطاع إنزالها بسهولة عندما توغل عبر واد الصومام لارتفاع منسوب مياهه بسبب الأمطار[4]. بدأ هجومه ابتداء من 16 سبتمبر باستعمال مدفعيته من ناحيتين، وبعد يوم ونصف من القصف تم تدمير القصر الإمبراطوري كليا، التدمير نفسه لحق بقصر البحر الذي لم يصمد، أما القصبة فحطمت في اليوم السادس، كما صوب نيران مدفعيته نحو سفينة إسبانية وصلت لتوها بالذخيرة وأجرة جنود الحامية فأغرقتها. عندما تأكد صالح رايس من نجاح حملته أرسل إلى قائد الحامية يعرض عليه الاستسلام، وهذا ما قبله الحاكم فسمح له وللجرحى والمعطوبين

---

(1) الأرشيف الوطني، دفتر مهمة (6)، ص.451، حكم 972، تاريخ 972/9/7هـ، 1564م.

(2) BRIGNON (J) et autre, op.cit ; P.208.

(3) الأرشيف الوطني، دفتر المهمة (7)، ص.899، حكم، 2461 تاريخ 976/5/18 هـ، 1568م.

(4) Lettre de f. Hieronimo au conte d'Alcaudete, Documents relatifs à l'occupation espagnole de Bejaia, Arch. simancas. R.A. n°21, 1877, P.280.

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

وعددهم 120 شخص بالتوجه إلى إسبانيا، وحررت بجاية ودخلها صالح رايس فاتحا في سبتمبر 1555م[1].

واستولى على غنائم هامة منها 600 أسير، أما الحاكم الإسباني دون آلونسو بيريرا فمباشرة بعد وصوله حوكم أمام مجلس حربي وحكم عليه بالإعدام، وقطعت رأسه لتعلق في ساحة مدينة فلادوليد، ففقدان بجاية ترك آثارا عميقة على كل الشعب الإسباني، وكان ذلك سبب الحكم القاسي الذي أصدره الملك[2].

ترك صالح رايس حامية متكونة من 400 رجل بقيادة على ساردو، هذا الأخير قام بإعادة بناء تحصينات المدينة وميناءها. وأرسل السلطان سليمان القانوني، الولي صالح رايس طالبا منه مكافئة القائد حسن قورصو با 300 ألف أقجة لبلائه الحسن في فتح بجاية[3]

أما الخطوة الموالية لصالح رايس السعي لتحرير وهران والمرسى الكبير، فوضع خطة للهجوم عليها برا وبحرا على غرار بجاية، وعلم باتصالات السلطان السعدي محمد الشيخ مع إسبانيا طالبا نجدة من 12000 جندي إسباني يتكفل بها كليا وتعهد لهم بالسيطرة على الجزائر. من جهته توجه صالح رايس إلى الباب العالي طالبا نجدة عاجلة لتوجيه ضربة قوية للأسبان وحاكم المغرب وفعلا حصل على 40 سفينة و6 آلاف رجل، عندما اجتمعت القوات الجزائرية، وقبل تحركها توفي صالح رايس بالطاعون عن عمر يناهز[4] 70 سنة، وذلك في خريف 1556م.

فتولى خليفته حسان قورصو تسيير شؤون الإيالة وواصل حملته على وهران وبدأ بحصارها وقنبلتها، لكن وصول نبأ وفاة صالح رايس إلى أسطنبول دفعت بالسلطان إلى استدعاء الأسطول الذي أرسله، وذلك تحت ضغط الحاشية تخوفا من تولي آغا الإنكشارية قيادة الحملة وربما يشجعه ذلك على الانفصال.

---

(1) Haëdo, op.cit; P.81.

(2) GRAMMONT (H.D), op.cit; P.81.

(3) الأرشيف الوطني، دفتر مهمة (2)، ص.63./حكم 565، تاريخ 963/6/9هـ، الموافق 1555م، انظر ملحق

(4) كانت مدينة الجزائر وضواحيها قد عرفت إنتشارا رهيبا لهذا المرض وفتك بالكثير وذلك طيلة ستة أشهر.

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

وهناك سبب ثاني أدى إلى استدعاء الأسطول وهو وجود دوريا في مياه البسفور وضرورة الاحتياط لذلك، وكان ذلك أول سبب دفع بالإنكشارية إلى التذمر والسخط بعد انسحاب الأسطول العثماني ومنعهم من تحرير وهران، يضاف لها حسن سيرة وتسيير حسن قورصو[1].

عند وصول الحاكم الجديد تيكرلي Tekerli، اجتمع الجميع، - لم يكن يحدث إلا نادرا - على اختيار حسن قورصو كحاكم وإعلام الباب العالي بذلك وأعلم جميع قادة المدن الساحلية على رفض استقبال الحاكم الجديد، لكن هذا الأخير تمكن من اللجوء إلى كاب ماتيفو، أين دخل في مفاوضات مع رياس البحر وأقنعهم بالوقوف إلى جانبه مستغلا عداوتهم مع الإنكشارية، فدخلوا المدينة وسيطروا عليها وتم تصفية حسن قورصو ومؤيديه[2]. لكن الإنكشارية وعلى رأسهم قائد تلمسان "يوسف استغلوا فرصة خروج الأسطول وثاروا على الباشا الجديد الذي فر من المدينة فتم مطاردته حتى ألقي عليه القبض فقبة سيدي يعقوب على يد القائد يوسف فقتله هناك[3]. ستة أيام من بعد توفي القائد يوسف بالطاعون الذي ما زال منتشر في المدينة، ليتولى تسيير شؤون الإيالة القائد يحي، خليفة صالح رايس في انتظار تعيين بيلرباي جديد.

تعيين حسن باشا بن خير الدين بيلرباي الجزائر:

أمام الاضطرابات التي عرفتها الجزائر عين السلطان سليمان حسن باشا على رأس الإيالة خصوصا وأن هذا الأخير كان يتمتع باحترام الجميع الذين لم ينسوا والده وعمه. وصل إلى الجزائر في جوان 1557م على متن 20 سفينة مسلحة تسليحا جيدا، وأولى أعماله تجهيز حملة ضد السلطان السعدي محمد الشيخ الذي استولى على تلمسان بمساعدة حاكم وهران الكوديت. عند اقتراب حسن باشا بجيشه على تلمسان، فر سلطان الغرب إلى فاس، فطارده الجيش الجزائري أين وقعت معركة ضاربة تكبد فيها الجانبان خسائر كبيرة وعلى إثرها عاد حسن باشا إلى الجزائر، تاركا علج علي على تلمسان.

---

(1) MOUILLESAUX (L) et autre. op.cit., P.166.
(2) Haëdo. op.cit., P.290.
(3) Ibid., P.290.

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

10- معركة مزغران بمستغانم ومقتل الكونت الكوديت 1558:

بطلب من حاكم وهران وسعيا للإستيلاء على مستغانم أرسل ملك إسبانيا أسطولا على متنه 12000 جندي فوصل هذا الجيش على دفعتين إلى وهران الأولى في جويلية والثانية في أوت بقيادة "دون مارتين" إبن الكونت وخرجت من وهران في أوت 1558م بينما اتجه الأسطول بالأموال، والأسلحة والذخائر إلى مستغانم.

لما علم حسن بن خير الدين بمشروع الأسبان خرج على رأس 5000 جندي معجلا السير إلى مستغانم جامعا لقوات إضافية في الطريق مشكلة من 6000 فارس حيث وصلها قبل الأسبان، وأرسل أسطوله الذي استطاع اعتراض أسطول الإسبان في خليج أرزيو واستولى عليه بما فيه، في الوقت نفسه خرج "علج علي" من تلمسان على رأس قواته لقطع خطوط الإمدادات على الجيش الإسباني. لما وصلوا إلى مستغانم وجدوا حسن باشا قد تحصن بها ونظم المقاومة فعجزوا عن دخولها، فانسحبوا إلى قرية مزغران، فلحقتهم المقاومة الشعبية وأطبقوا عليهم حيث قتل حاكم وهران الكوديت، وأسر ابنه دون مارتين ثم أطلق سراحه، وسلمت له جثة أبيه وكان ذلك في 26 أوت 1558م[1]. راسل السلطان سليمان القانوني حسن باشا على تقديم مكافآت لمن شاركو في معركة مازغران[2]

التعاون العثماني الجزائري في مواجهة أوروبية:

في خريف 1553م توجه الأسطول العثماني الفرنسي بقيادة "درغوث" فأغار على سواحل كلابريا ومنها إلى صقلية وكورسيكا حيث قام بتأمين إنزال حملة فرنسية متكونة من 5000 إيطالي وكورسيكي بقيادة سامبييرو Sampiero، بعدها استولى درغوث على فيشيو Vecchio ثم بونيفاسيو Bonifacio إثر حصار شديد[3]. قضى درغوث معظم سنة 1554م في دوراز Durazzo تحت إلحاح السفير الفرنسي تعهد سليمان القانوني بتقديم

---

(1) RUFF Paul, La domination espagnole à Oran sous la gouvernement du conte d'Alcandete 1543-1558, Paris 1900, P.181.

(2) الأرشيف الوطني، دفتر (4)، ص175، حكم 1824، تاريخ 968/5/3هـ، 1560م.

(3) AUPHAN (P), op.cit ; P.178.

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

أسطول متكون من 100 سفينة، كما طلب من صالح رايس توفير 20 سفينة من مختلف الأحجام لملك فرنسا هنري الثاني.

في جويلية 1555م تم تجميع الأسطول الذي أغار على جزيرة آلب Elbe ، ومنها توجه إلى باستيا لمحاصرة سانت فلوران Saint Florent، رفض العثمانيون المشاركة في الهجوم مادام ملك فرنسا لم يقدم التعويضات المتفق عليها[1]. وفشل الهجوم الفرنسي على باستيا لمقاومة الحامية الجنوية، وعلى ذلك افترق الأسطولان.

الهجوم على جزر البليار وانهيار الأسبان:

من جديد استنجد هنري الثاني بالأسطول العثماني وطلب مشاركة الأسطول الجزائري لفعاليته وأهميته ودوره الهام جدا في كل عمل بحري في المتوسط[2]. خطر وصول الأسطول كان يرهب الأسبان وكان سبب في إقامة أكبر قدر ممكن من التحصينات لممتلكاتهم على السواحل المتوسطية.

ظهر الأسطول العثماني الجزائري سنة 1558م مشكل من 120 سفينة مختلفة الأحجام فعبر مضيق مسين ثم خليج ساليرن Salerne، فأسر 4000 مسيحي ليظهر أمام نابولي ومنها إلى كورسيكا حيث لم يجد الأسطول الفرنسي في انتظاره، فتوجه إلى مرسيليا لإحضاره ومن هناك توجهوا إلى مينوركا أين تم مباغتة سيودادبلا Ciudadella.

وفي السنة نفسها أي 1558م توفي شارل كوينت في مونستير Saint Just[1]. وخلفه ابنه فليب الثاني، هذا الأخير سعى إلى اتفاق مع فرنسا لأنه أصبح عاجزا عن الاستمرار في حالة الحرب الدائمة الشيء نفسه ينطبق على فرنسا. فحروب القرن 16م كانت مكلفة للجميع دون استثناء فالحروب في إيطاليا، هولندا، المجر تستنفذ الموارد المحدودة للمتنازعين، وزاد من صعوبات الدول المتنازعة الأوروبية أن جيوشها مشكلة من المرتزقة، تنتظر أجورها وتسليحها من مدفعية وذخيرة وبارود، ورصاص، وكان

---

[1] تعود الفرنسيون الإعتماد على الأسطول العثماني الجزائري، لتحقيق أهدافهم العسكرية، دون التكفل بالنفقات ودفع مستحقات الأسطول وسبق الإشارة لدور الأسطول في عهد خير الدين وتذمر هذا الاخير من التعازن مع فرنسا .

[2] GARROT (H). op.cit.. P.416.

[3] تنازل شارل كوينت عن سلطته في الراضي المنخفضة لإبنه فليب الثاني 1555م، سنة من بعد تنازل له عن الممتلكات الإسبانية 16 جانفي 1556، ثم في نهاية السنة 12 سبتمبر 1556م منح اللقب الإمبراطوري لأخيه فرديناند الأول، لينعزل في إقامته بمناستير سان جوست Saint Just

ALVAREZ (M.F). Politica. op.cit.. P.180.

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

ثمن هذه الأخيرة يرتفع من سنة لأخرى، حتى الضرائب والبنوك أصبحت عاجزة عن تغطية تكاليف الحروب المتزايدة.

فخلال سنوات 1557م - 1558م كان ملوك فرنسا، وإسبانيا وحتى الدولة العثمانية إما مفلسين أو قريبا من الإفلاس. والوضع كان أخطر بالنسبة إلى إسبانيا فليب II[1]، فهولندا ترفض تمويل حروب الأسبان لتمكين ملكها من الارتكاز في إيطاليا[2]، ولابد من الإشارة أن موقف الهولنديين مرتبط بانعكاسات تلك السياسة التي أدت إلى تضاعف أسعار المواد والسلع مقارنة بإيطاليا وألمانيا. لم يعد بمقدور هولندا مواصلة تمويل حروب الأسبان، ثم أن هنري الثاني ملك فرنسا وفليب الثاني ملك إسبانيا اقتنعا بأن السلام ضرورة حتمية، ولا يمكن أن يمليه قرار عسكري. إذا أضفنا المشاكل الداخلية لكل طرف في تلك المنازعات منها مشكلة البروتستانت في فرنسا، هولندا وإسبانيا، ووفاة ماري تودور الذي قطع الصلة بين إسبانيا ومملكة بريطانيا ولو مؤقتا، قد دفعت إلى عقد معاهدة شاتوكامبريزي Chateau Cambresis في 02 أفريل 1559م ومن بين ما نصت عليه التنازل لفرنسا عن ماتز Matz لضمان حدودها مع ساقوا La savoie والبيمون Le Piémont لصالح دوق ساقوا التابع لإسبانيا ةالذي زوجه ملك فرنسا من اخته مرغريت، أما فليب الثاني فتزوج من ايليزابت ابنة هنري الثاني[3].

إن تحالف فرانسوا الأول ومن بعده ابنه هنري الثاني مع العثمانيين والجزائريين التابعين للباب العالي أضعفت إمبراطورية شارل كوينت وحلفائه، وحافظت على فرنسا من الغزو وتفتيتها[4].

---

(1) فليب الثاني Philippe II 1527-1598م ملك نابولي وحاكم هولند تم ملك إسبانيا (1556-1598) بعد تنازل أبيه شارل كوينت، النمسا والتاج الإمبراطوري منح لعمه فرديناند الأول، ممتلكاته كانت واسعة جدا شمل الجزء الأكبر من إيطاليا جزء من فرنسا، هولندا أمريكا والفليبين، استطاع ضم البرتغال رغم الإمكانيات الضخمة والجيوش عجز عن القضاء على قوة الجزائر في الحوض الغربي للمتوسط حكمه الشامل تسبب في ثورة العديد من المقاطعات، كما عجز ف6 السيطرة على الأطلس. MOURRE, op.cit; P.861.

(2) Granvelle à philippe II, Bruxels, 6 octobre 1560, papier VI, p179, in f. Braudel, op.cit; P.22.

(3) أثناء احتفالات الزواج، وفي دورة للمبارزة أصيب هنري الثاني بجروح خطيرة على يد قائد حرسه، أدت إلى وفاته في 10 جويلية 1559م ليلتحق به أندري دوريا سنة 1560م GARROT (H), op.cit; P.416.

(4) Ibid, P. 417.

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

تجدد المواجهة من جربة إلى ليبانت:

إذا كان اتفاق شاتوكامبريزي لسنة 1559م فرض السلم في أوروبا باستثناء الحروب الدينية للبروتيستانت، دفع بإسبانيا لضمان وحماية طرق مواصلاتها التي تأثرت من النشاط البحري للأسطول الجزائري الذي أصبح يمثل تهديدا حقيقيا للسفن المتجهة لمالطا، صقلية، نابولي، حلق الوادي وهي قواعد هامة لمراقبة البحار الضيقة بين نهايات شرق وغرب البحر المتوسط، وتبقى السيطرة الإسبانية عديمة الفعالية دون السيطرة على طرابلس والاستيلاء على جربة وهكذا يمكن قطع الإمدادات عن الأسطول الجزائري وإمكانية حصاره وتحطيمه، مع العلم أن ميناء الجزائر غير قادر على استيعاب أسطول ضخم، لتبرز أهمية طرابلس، حيث كان يعمل درغوث على تحويلها إلى جزائر ثانية أي قاعدة بحرية للأسطول العثماني.

تخمينات حكام صقلية باستحالة قيام الأسطول العثماني برد فعل ماعدا في فصل الصيف كانت خاطئة، وعليها قرر الأسبان الاستيلاء على طرابلس في نهاية صيف 1559م متأكدين من نجاح العملية مع التحصينات الضعيفة لهذه الأخيرة، وحتى الوضع الداخلي كان مشجعا على أساس رفض القبائل الداخلية للوجود العثماني[1]. ومثل سابقاتها تأخر تحرك الأسطول حتى شتاء 1560م[2] وكان مشكلا من 54 قطعة بحرية و36 سفينة نقل على متنها 10000 رجل وبدل الهجوم على طرابلس حيث كان درغوث مستعدا لصده، تغيرت الوجهة إلى جربة أين استولى عليها مدينا سيلي فأقام بها حصنا صغيرا لحمايتها متأكدا من عدم تدخل الأسطول العثماني الجزائري[3]، هذا الأخير جاء رد فعله عنيفا فقد وصل "علج علي" و"درغوث باشا" و"بيالي باشا" حيث قطع المسافة في أقل من 20 يوما من إسطمبول إلى جربة، أين حطم نصف الأسطول الإسباني، أما

---

(1) جون – ب – وولف، نفس المرجع، ص 73.

(2) شملت الحملة على التحالف من الإسبان الألمان والطليان، وتجميع قطع الأسطول والذخيرة والمدفعية في مرسى واحد تطلب وقتا كبيرا، كما توقف الأسطول في مالطة لتفادي العاصفة، وعند الإقلاع انتشر المرض في عدد كبير من الجنود.

(3) الأرشيف الوطني/ دفتر مهمة (5)، ص367، حكم 967، تاريخ 968/5/19هـ، 1560م، مراسلة من سليمان القانوني إلى حسن باشا ليلحق الأسطول الجزائري بالأسطول العثماني لمواجهة الأسطول الإسباني في جربة، أنظر ملحق (1).

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

بقية القطع فلاذت بالفرار بعد إصابتها بخسائر[1]. بعد نزول القـــوات العثمانيـــة بـــرا استولت على معظم المؤن وأجبروا جنود الحامية الإسبانية على الاستسلام وذلك فـــي جويلية 1560م. مصائب الأسبان لم تنته عند هذا الحد، فبعد مدة قصيرة باغت درغـوث باشا أسطول فليب الثاني وأغرق له مجموعة من السفن، كما أن عاصفة بحرية تسـببت في إغراق 25 سفينة إسبانية[2]، مما أضعف وأثر على سمعة إسبانيا وأسطولها.

حملة حسان باشا على وهران والمرسى الكبير 1563م:

أعيد تعيين حسن باشا بايلرباي على الجزائر للمرة الثانية في سبتمبر 1562م، وقـد حضي باستقبال شعبي كبير للسمعة الطيبة التي يتمتع بها، خصوصا إرادته في طـــرد الأسبان من وهران والمرسى الكبير[3] فجدد الكرة وأعد حملة انطلقت في أفريل 1563م مشكلة من 15 ألف رجل من الرماة وألف من الفرسان إضافة إلى سند جنود الأمير عبد العزيز سلطان قلعة بني عباس. وأرسل عبر البحر 32 سفينة مختلفـة الأحجـام لنقـل المدفعية والذخيرة والمؤونة عند وصوله تمركز أمام حصن رأس العين ونصب مدافعه أمام الحصن ، فأستولى عليه، ثم ركز هجومه على المرسى الكبير واستمر حصاره إلى 5 جوان[4]، ورفض قواد الحصون الاستسلام بحيث كانوا ينتظرون نجـــدة الأســطول الإسباني الذي وصل مدعما بسفن نابولي وعلى رأسه نائب الملـــك دون بيـدروا دي ريبيرا دوق القلعة[5]. وكان مشكلا من 55 سفينة ولما رأى حسن باشـــا عـدم تكـافؤ القوتان أمر بانسحاب[6].

---

(1) BELHAMISSI (M). op.cit.. P.138.

(2) AUPHAN (P). op.cit.. P.179.

(3) ALVAREZ (M.F). Politica. op.cit .. P.242.

(4) أحمد توفيق المدني، نفس المرجع، ص382.

(5) كان حاكما على بجاية سنوات 1533 –1534 – 1535م

(6) حسب مارمول فأن حسان باشا أضهر شجاعة فائقة في قيادته الهجوم، وكان الموقع في حالة خطر ويمكن سقوطه في أي لحضة، عندما وصلت النجدة الإسبانية. Haëdo. op.cit: P.366 .

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

أ- حصار مالطا ماي 1565م:

سببه وجود فرسان القديس يوحنـــا ، بإغاراتـــهم علـــى الســواحل الإســلامية واعتراضهم سفن الحجاج في طريقها إلى البقاع المقدسة[1]. هناك سبب ثـــاني عندمـــا طردهم السلطان سليمان من جزيرة رودس أخذ منهم عهدا بأن لا يعـــترضوا الســفن الإسلامية، لم يوفوا بذلك العهد خصوصا بعد أن وطنهم شارل كوينت جزيـــرة مالطـــا 1529م. فرض الحصار في شهر ماي 1565م وكان الأسطول مشكلا مـــن 180 قطعـــة بحرية مختلفة الأحجام، و63 سفينة حصار و 45000 رجل[2]، وكانت القيادة موزعة بين الأميرال بيالي باشا قائد الأسطول، ومصطفى باشا قائد القوات البرية، يضـــاف لـــهم درغوث حين وصل بأسطوله من طرابلس كان يحمل تعليمات من السلطان تعطيه حـق القيادة. كما راسل السلطان حسن باشا في شهر مـــاي 1565م يدعـــوه للمشـــاركة فـــي الحصار[3]، فانطلق على رأس 28 سفينة على متنها 3000 انكشاري مختارين من الجنود ذوي الخبرة والأقدمية واعتبرت هذه الفرقة الجزائرية بقيادة حسان باشا والتي كلفـــت بحصار حصن سانت ألم Saint Elme أحسن فرق الجيش العثماني، كما كلف الأســـطول الجزائري بحماية الأرمادة العثمانية سواء في تحركها أو في توقفها[4]. ولإبراز الـــدور الجزائري نشير أن حسن باشا وصل في 5 جويلية، وكلفه بيالي مصطفى بالهجوم علـــى حصن سانت ميشيل على رأس 6000 جندي، وطيلة كل الحصار قاد كـــل الـــهجومات الخطيرة، وفي الوقت نفسه كانت سفنه تشكل خط الحصار.

أظهر الجانبان المهاجمين والمدافعين بطولة وشجاعة، وكلاهما عانا من الخيبـــة والخوف والخسائر ورغم تمكن الجيش العثماني من الاستيلاء على حصن سانت ألـــم، فقد أصيب درغوث في إحدى الهجومات بجروح خطيرة لم يشف منها وكانت ســـبب

---

[1] يرجع تاريخ النظام الفرسان القديس يوحنا إلى الحقبة الصليبية، وكان في الأصل قد تأســـس ليقـــوم بالخدمـــات الصحية للصليبيين في الأراضي المقدسة، مع مرور الوقت تحولوا إلى فرسان محاربين، مـــع مطلـــع القـــرن 15م أصبحوا بحارة صليبيون قاعدتهم جزيرة رودس مع وجود فروع لهم في فرنسا، إسبانيا، إنكلترا، إيطاليـــا وألمانيـــا، وكانوا جد أغنياء وهذا راجع أن النبلاء المسيحين كانوا يتركوا جزء من أراضيهم إلى هؤلاء الرهبـــان المحـــاربين والذين كانوا يجندون من أبناء النبلاء. وولف، نفس المرجع، ص ص.76-77. أنظر ملحق (2).

[2] BELHAMICI (M). op.cit.. P.138.

[3] الأرشيف الوطني، دفتر مهمة (6)، ص، 266، حكم 565، تاريخ 25/5/972هـ ، 1565م. أنظر ملحق (1)

[4] Haëdo. op.cit.. P.367.

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

وفاته كان تأثير ذلك كبيرا على معنويات الجيش العثماني وخسارة لا تعـــوض، وقـد برهن على أنه أفضل الضباط العثمانيين. ووصلت النجدة خصوصا من إسبانيا وبقيـــة البلدان الأوروبية لتنقذ الفرسان ويرفع الحصار بقرار من بيالي مصطفى، حاول حسـن باشا وعلج علي الإبقاء على الحصار والاستمرار في الهجوم لوحـــده، تحـت رفـض الأميرال، عاد البيلر باي إلى الجزائر فاقدا نصف جنده، لكن دوره الفعال وشـــجاعته وإقدامه دفعت بالسلطان العثماني بعد وفاة بيالي باشا إلى تعيينـــه قبطـــان باشـــا قـائد البحرية العثمانية فتوجه إلى إسطمبول مع بداية 1567م،وخلفه على رأس الأيالة محمـــد ابن صالح رايس وعرف عنه كرهه لفرنسا منذ نبهة والده لمحاولة فرنســـا إســـتغلال الأسطول الجزائري لخدمة مشاريعها السياسية، ووقوفها في وجه خير الدين في توحيـد بلدان المغرب العربي دام حكمه إلى غاية 1568م، بحيث تولى شؤون الجزائر إبتـــداءا من هذا التاريخ علج علي إعتمادا على مراسلات السلطان سليم الثاني لهذا الاخير [1]

بعد فشل حصار مالطا جاء رد الفعل العثماني سنة من بعد بالاستيلاء على جزيرة شييو Chio من الجنويين سنة 1566م، والقيام بغارة على طول ساحل الأدرياتيك بـــ140 سفينة على الجبهة البرية وبفضل 300,000 جندي توغلت الجيوش العثمانية فـــي قلـب أوروبا، المجر وترانسيلفانيا ومولدافيا، لكن وفاة السلطان سليمان القانوني ســـنة 1566م أوقفت وجمدت تلك القوة الهائلة ، وانشغلت بالحروب على البحر الأسود وإيران وفـــي اليمن [2].

غارة خوان غاسكون بريغانتين على مدينة الجزائر 1567م:

جهز فليب الثاني أحد قادة فرسانه بسفينة مع مجموعة من الجنود وكلفهم بـالتوغل في ميناء الجزائر دون لفت الانتباه، وكان الهدف إشعال النار فـــي ســـفن الأســـطول والانسحاب، وذلك في عهد محمد ابن صالح رايس، لكن الحيلـــة لـم تنطـل علـــى

---

[1] الأرشيف الوطني، دفتر مهمة (7)، ص498، حكم 1335، تاريخ 975/11/20هـــ، 1568م، "محتواها الامر بطاعته، والإنتباه التام. دفتر مهمة (7)، ص 578، حكم، 1625، تاريخ 975/1/2، 1568م: "الامر له بولاية الجزائر بعد ولاية طرابلس". أنظر ملحق (1).

[2] AUPHAN (P), op.cit; P.181.

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

الجزائريين إذ طارد دالي رايس هذا المغامر الإسباني، وقبض عليه، وأعدم خنقا بـأمر من محمد بن صالح رايس[1].

ب- ثورة الموريسكيين 1568م:

في نفس السنة انفجرت ثورة أتباع كالفن البروتستانت في الأراضي المنخفضة، مما دفع بإسبانيا إلى الاستنجاد بقواتها من إيطاليا للقضاء على التمرد مع إمكانية عقد هدنة مع الدولة العثمانية، لكنها ستسبب في قطع التعويضات التي يمنحها البابا للملك فليب الثاني في محاربته للمسلمين. وتأزمت أوضاع هذا الأخير بانفجار ثورة غرناطة 1568م المرتبطة بهجرة الأندلسيين نحو الجزائر التي استقبلت عام 1567م أعداداً كبيرة منهم، مما دفع بعلج علي[2] (1568–1571) إلى التفكير في تقديم المدد والعون لمجاهدي الأندلس، واجتمع مع أهالي الجزائر في أحد المساجد واتفقوا على جمع السلاح واختيار المتطوعين للاشتراك في ثورة البشارات التي انفجرت 1569م، بلغ عددهم 4 آلاف انظموا إلى إخوانهم الأندلسيين[3]. وقد راسل السلطان سليم الثاني علج علي طالبا منه تشجيع أهل الاندلس على الجهاد، ووعدهم بإرسال الأسطول بعد القضاء على ثورة قبرص[4]

كان مقرر تفجير الثورة أثناء الأسبوع المقدس، لكن انكشف أمرها بسبب تهور أحد قادتها الذي أمر بالاستيلاء على مخزن للسلاح. أما دور "علج علي" فبدأ بتجميع 14 ألف جندي وأرسل 400 جمل محمل بالبارود إلى مزغران للقيام بهجوم على وهران يشغل به الأسبان، ويقوم بعملية إنزال في سواحل إسبانيا[5]. يوم الأربعاء المقدس أرسل

---

[1] REPTILUS Carl. historisk och politish beskrrifming oever riket och staden algier thram an 1516 tillochmed 1732. stockholme 1737 . G2. p63 . نقلناه عن مولود قاسم نايت بلقاسم، نفس المرجع، ص. 144.

[2] علج علي ولد في كلابريا في قرية نيكتيلي على الساحل من عائلة صيادين، اختطف 1520م على يد خير الدين، ربط بالمجاديف مدة 14 سنة عند بلوغه 34 سنة اعتنق الإسلام، شجاعته وإقدامه قربته من خير الدين، خلف درغوث خلال حصار مالطا 1565م، عين بيليرباي إفريقيا 1568 استولى على تونس من الإسبان 1569م، شارك بالأسطول الجزائري في معركة ليبانت 1571م تولى قيادة الأسطول العثماني من 1571–1577م احتفظ بمنصب البيلرباي حتى وفاته في 27 جوان 1578م أعاد بناء الأسطول مباشرة بعد هزيمة ليبانت لقب بالسيف Kilidj أثر تلك المعركة، حرر حلق الوادي وتونس 1574. من أهم مشاريعه توحيد بلاد المغرب في دولة قوية واسترجاع الأندلس، كما أنه صاحب فكرة فتح قناة الربط بين البحر المتوسط والبحر الأحمر وقد حاول إقناع السلطان بجدوى والفائدة المرجوة منه BELHAMMICI (M). op.cit: PP.83-84.

[3] ناصر الدين سعيدوني، نفس المرجع، ص131.

[4] الأرشيف الوطني، دفتر مهمة (9)، ص. 89، حكم 231، تاريخ 977/10/24هـ، 1569م. أنظر ملحق (1).

[5] عبد الواحد ذنون، طه، نفس المرجع، ص.56.

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

40 قليوطة أمام ألميريا Almeria ينتظر انفجار ثورة غرناطة لكن أمرها انكشــف، لــم يحبط ذلك من عزيمته، ففي جانفي 1569م توجهت ستة (06) ســفن جزائريــة بــإنزال مجموعة مدافع بذخيرتها، وأسلحة ومؤن للجنود، ثم جاء إرسال 36 سفينة الغرض نفسه لكنها تحطمت بسبب سوء الأحوال الجوية في الوقت الذي بلغت فيه الثــورة نقطتــها الحاسمة. في شهر أكتوبر من نفس السنة تم إرسال 4000 مسلح ومعهم مجموعة مـــن الإنكشاريين القدامى لتأطيرهم إضافة إلى ذخيرتهم، كما تم إرسال نجدات أخرى مـــع بداية 1570م، وكان علج علي مستعد للتوجه شخصيا إلى إسبانيا، لكن اســتعدادات دون خوان النمساوي منعه من ذلك من خلال استعداداته التي ستؤدي إلى ليبانت[1].

كان بإمكان نجاح ثورة الأندلسيين لو أن السلطان السعدي مولاي عبد الله[2] وفــى بوعوده، بمساندة الثورة. جاء الاتفاق مع دون خوان النمساوي الذي كلف بالقضاء على الثورة في 20 ماي 1570م وسمح ذلك للمجاهدين وكان عددهــم 30 ألــف أن يغــادروا الأندلس، ووضعت تحت تصرفهم السفن العثمانية لنقلهم إلى الجزائر[3].

فكر "علج علي" في إمكانية استعادة الأندلس ولن يتحقق ذلك دون أسطول عثماني وقوة عسكرية كبيرة. عموما ساهمت ثورة البشارات في تجميد القوة البحرية الإسبانية، وأعطت "لعلج علي" فرصة لتوحيد الشمال الإفريقي، باتصال سكان تونس به راغبيــن في التخلص من حاكمهم، فسار على رأس 4000 إنكشاري استولى على تونــس وخلــع حاكمها 1569م.

أما الأسطول العثماني فبدل أن يتوجه إلى إسبانيا فضل السلطان سليم توجيه قواته للاستيلاء على قبرص، القاعدة التجارية الهامة، وكانت تابعة للبندقية التي كانت تدفــع سنويا 230 ألف دوكا Ducats معتقدة أن ذلك سيحميها من الدولة العثمانية، لكن فــي 15 ماي 1570م إنذار عثماني للبندقية متبوع بهجوم بحري على زارة Zara ذكرها بالحقيقــة حيث طولبت بالتنازل عن جزيرة قبرص. في الوقت الذي غستجاب فيه لنداء الثــائرين

---

(1) Voir les negociations de la france dans le levant. T,III,PP.26-192. in Haëdo, op.cit; PP.404-405.

(2) الملقب بالغالب بالله 1557-1574م لعب هذا العامل دورا مشبوها في تلك الثورة فقد وعد الأندلسيين بإرسال النجدات حال اندلاعها وحسب كاتب "طريق الدولة السعدية" ذهب إلى حد الإتفاق مع الإنسان لتهجير هؤلاء إلى المغرب من أجل تعبير سواحلها وتكوين الجيش أنظر. BELHAMMICI (M), op.cit; P.132.

(3) BRAUDEL (P), La Méditerranée, op.cit; PP.364-367.

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

الاندلسيين، بمراسلة علج علي للإستعداد التام لملاقاة الإسبان والبنادقة [1] وكـــان ذلــك السبب الرئيسي للتحالف الصليبي الذي سيؤدي إلى ليبانت Lipante.

ج- معركة ليبانت 7 أكتوبر 1571م ودور الأسطول الجزائري:

تتدخل البابوية من جديد بواسطة البابا Pie V لتحقيق تحالف على أساس ديني فـــي مواجهة العثمانيين مع دعوة البندقية للتنازل عن قبرص، وتلقى البابا صعوبات كبـــيرة في إقناع البندقية للدخول في ذلك التحالف، وكان ذلك بسبب انتظار البنادقة لآخر لحظة عساهم يصلوا إلى إلتفاف مع العثمانيين ينقذهم وينقذ تجارتهم مع الشرق بدل الدخـــول في حرب لا يمكن تحديد عواقبها مستقبلا [2]، وتشكل أسطول التحـــالف واجتمـــع فـــي أوترانت Otrante في أوت 1570م متجها نحو الشرق لإنقاذ قبرصراسل السلطان ســـليم الثاني علج علي يعلمه بتشكيل التحالف طالبا منه محاصرته قبل ان يصل إلى قبرص [3] فسبقهم العثمانيون واستولوا على الجزيرة وعاصمتها نيقوسيا، ومع تقدم فصل الشـــتاء عاد الأسطول إلى جزيرة كريت ومنها إلى إيطاليا فاقدا ما بين 20 إلى 25 سفينة بســبب سوء الأحوال الجوية.

عاد الأسطول للتجمع ببطء مع سنة 1571م وتحرك نحو البحر الأيونـــــي، وعـــاد الأسطول العثماني مع صعوبة التموين، لكن قيادته الموحدة سهلت نوعا ما تجميعه.

وكان على رأس التحالف دون خوان النمساوي [4]، وقد تمكن من إقـــناع البنادقـــة بقبول الجنود الرماة الأسبان على متن سفنهم، رغم العداوة بينهما، وكان ذلـــك عـــاملا حاسما في مجريات المعركة، عامل ثاني حسم المعركة ويتمثل في التفوق التقني ونعني به سفن القالياس galéases الضخمة التي شاركت لأول مرة في المعارك البحرية، وهـــي سفن أعلى من سفن galères طولها 70 متر وعرضها 18 متر، كان لها طابقان أحدهمـــا للمجاديف والثاني للرماة ومدفعية قوية جدا بـــ180 فتحة إطلاق في مقدمة وعلى جـانبي

---

(1) الأرشيف الوطني، دفتر مهمة، ص .200، حكم 284، تاريخ 979/2/3هـــ، 1571م.

(2) JUAN BTA. VILAR, op.cit: PP.60-61.

(3) الأرشيف الوطني، دفتر مهمة، رقم 98، التاريخ 978هـــ، 1571م.

(4) ابن شارل كوينت وأخ فليب II من الأب، لعب دورا هاما في القضاء على ثورة البشارات في الاندلس كان لذلك اكبر الأثر في تعيينه قائد للأسطول المسيحي. وتم إعلام علج علي بذلك ودعوته للإنظمام للأسطول العثماني في مراسلة من السلطان سليم الثاني محفوظة في الأرشيف الوطني دفتر مهمة (16)، حكم 40، 979/5/21هـــ، 1571م.

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

السفينة، هذه القوة الضاربة بإمكانها اختراق أسطول وسفن المنافس محدثــــة خســائر فادحة[1]. رغم توازن الأسطولان عددا فكلاهما يعتقد بأنه أقوى من الآخــر، وتقــابلا، وبدأت المدفعية بإطلاق نيرانها، ثم وقع الاشتباك سفينة لسفينة بينما الرجال يندفعــــون نحو جوانب السفن، وحسب خسائر الطرفان فمن الواضح أن الأسطولان كانا يقودهمــا أحسن الضباط، وقد التحم الجنود وأصبح القتال رجل لرجل وزاد من حماس الجنـــود المسيحيين أنهم وعدوا بعفو شامل عن خطاياهم إذا ما استبسلوا في القتالى ، يضـــاف لعوامل تفوق المسيحيين امتلاك كل جندي تقريبا لدرع وسلاح نازي عكـــس الجنـود العثمانيين، أغلبيتهم تستعمل الأقواس والرماح والسيوف[2]. إن كل ما كتب عن ليبــانت تفيض بالحديث عن الشجاعة الشخصية للمحاربين، وبرز من هؤلاء "علج علي" قــائد الأسطول الجزائري، الوحيد من القادة العثمانيين الذي جنى ثمار انتصار شخصي أمـلم الهزيمة العامة فهو لم يهاجم ويستول على سفينة راية فرسان القديس يوحنا، ويحمـــل رايتهم الكبيرة إلى إسطمبول كشهادة على شجاعته فقط بل استطاع أن يبتعد عن ســفن جنوه وأن يقود أسطوله الذي كان يشكل الجناح الأيسر من الأسطول العثماني خــارج المعركة ويعود به سالما إلى إسطمبول دون خسائر تذكر. أكثر من هــذا لــو اســتمع أميرال الأسطول العثماني "علي باشا" واتبع نصائح "علج علي" لأمكنه تفادي الكارثـــة، هذا الأخير كان قد أرسل "قارة علي" نائبه للتجسس على الأرمادة وتعدادها، واعتمـــادا على تلك المعلومات اقترح انتشار الأسطول العثماني وسيسمح له ذلك بالمناورة بـــدل من أن يحشر في مكان ضيق بحيث أن نصف تعداد السفن تحطم قبل طلقة واحدة. وتم ترقيته إلى رتبة أميرال وقائد الأسطول العثماني، ومكافئة البحارة الجزائريــــن، إثـر مراسلة من السلطان سليم الثاني إلى الباشا أحمد اعراب[3].

---

[1] أنظر الملحق (2) BELHAMMICI (M). op.cit : P.179.

[2] جون – ب – وولف، نفس المرجع ، ص89.

[3] الأرشيف الوطني، دفتر مهمة (12)، ص: 571، حكم 1088، تاريخ 979/11/7هـ، 1572م.

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

في نشوة الانتصار المسيحي جاء التفكير في حملة ثانية سنة من بعد، فالسلطان العثماني كان يقول كلما ذكر بليبانت: "في ليبانت حلقتم لنا اللحية، لكنها ستنمو بسرعة"[1].

وفعلا وصل أسطول بحري مسيحي إلى الجزر اليونانية، لكن الخصم الذي واجهته هو "علج علي" الذي جعلته مواهبه ومهارته في القيادة جدير بخلافة "خير الدين"، فقد أعاد بناء الأسطول العثماني خلال شتاء 1571م - 1572م. وأصبحت السفن الجديدة على غرار سفن البحارة الجزائرية، أسرع وأخف وأكثر تسطيحا من السفن المسيحية أو العثمانية القديمة، مما سمح لها بالمناورة أحسن، وسلحها بمدافع أثقل وأبعد مدى وعبأها بجنود مسلحين بأسلحة نارية[2].

وتأزم الوضع على الجبهة الأوروبية فقد مات البابا بيوس الخامس 1572م ولم يستطع خليفته ملأ مكانه كروح محرك للتحالف المسيحي. من جهة أخرى فإن مذبحة البروتستانت في يوم القديس برتولوميو بفرنسا قربت بين هذه الأخيرة وإسبانيا، وتوقفت خطة فرنسا للتدخل في الأراضي المنخفضة[3]. من جهتها تمكنت البندقية بعد مفاوضات طويلة من عقد اتفاق منفصل مع العثمانيين تخلت عن التحالف المقدس، رغم الشروط القاسية للإتفاق وذلك سنة 1573م وكان هدفها الرئيسي استعادة نشاطها التجاري مع الشرق مصدر ثروتها الأول[4].

د- تحرير "علج علي" لتونس وحلق الوادي 1574م:

سرعة إعادة بناء الأسطول العثماني جرأة وشجاعة "علج علي" دفعت البابا Pie V لنصح فليب II بالسعي لإستمالة علج علي بمنحه رئاسة الحكومة في إسبانيا أو صقلية، وإن فشلت المحاولة فعل الأقل ستجلب له شك الديوان العثماني حول نواياه، لكن رد

---

(1) AUPHAN (P). op.cit ; P.186.

(2) جون – ب – ولف، نفس المرجع، ص91.

(3) الأرشيف الوطني، دفتر مهمة (21)، ص.272، حكم 654، تاريخ 980/12/22هـ، 1573م. في مراسلة من سليم الثاني إلى أحمد اعراب يعلمه بأسر مراد رايس ل 50 كافرا وتحطيم 16 سفينة برتغالية، ويامره بعدم الإعتراض لفرنسا.

(4) التنازل عن جزيرة قبرص للعثمانيين، تقديم مبلغ تعويضات تقدر بـ 300 ألف دوكا، مع دفع ضريبة سنوية، وتحديد قطع أسطولها بـ 60 سفينة فقط .
AUPHAN (P). op.cit ;P.187

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

فعل هذا الأخير العنيف في وجه المبعوث الإسباني جيوفاني مارجيلياني أمـام مجلـس الأعلى للديوان رفع كل إلتباس[1].

استغل دون خوان النمساوي عمليات ترميم الأسطول العثمـاني إثـر تعرضـه لعاصفتين، فاستولى على تونس في أكتوبر 1573م مرتكزا على قاعدة وميناء حلق الواد التي كانت خاضعة للإسبان، رغم تحذيرات علج علي للسلطان بضرورة طردهم منـها لأنها أكبر تهديد لتونس. ليأتي أمر السلطان سليم الثاني إلى أحمـد أعـراب بتجميـع الأسطول والتوجه إلى تونس لملاقاة الاعداء والإنضمام للأسطول العثماني[2].

حاول دون خوان تحصين تونس والإستقرار بها لكنه تلقى رفضـا قاطعـا مـن فليبII بسبب ارتفاع التكاليف، فما كان عليه إلا الإنسجاب تاركا حاميـة مـن 4 آلاف جندي[3]، أما "علج علي" فلم يتوقف إلحاحه على السلطان لتحرير القاعدتين إلا بعدمـا حصل على الإذن بتوجيه حملته وذلك في جويلية 1574 بإسطول من 250 سفينة وإلتحاق الأسطول الجزائري بقيادة خليفته أعراب أحمد الذي كلف بالهجوم على حلـق الـواد، وأيضا حاكم طرابلس مصطفى باشا، وبمشاركة "سنان باشا" قائدا القوات البرية[4]، فـي وقت لم ينهى فيه الإسبان تحصيناتهم، فكان سقوط حلق الواد فـي 23 أوت والقضـاء على جميع جنود المحمية، ليأتي دور تونس في 13 سبتمبر يعد حصار عنيف ومقاومـة شديدة[5]. هزيمة الإسبان في تونس دفعت بالصدر الأعظم لأن يصرح لسفير البندقيـة : "حلقتم لنا اللحية في ليبانت، فقطعنا لكم ذراعا في تونس، أما اللحية فقد نمت والـذراع فلن يعوض وألقى القبض على الأمير الحفصي، والحاكم الإسباني الكونت دوسيربيلون" De Serbellon[6].

---

(1) GRAMMONT (H.D). op.cit ; PP. 110-111.

(2) الأرشيف الوطني، دفتر مهمة رقم (21)، ص220، حكم 526، تاريخ، 980/11/21هـ، 1573م. أنظر ملحق (1).

(3) PRIMAUDAIE (E) : Relation des événements de la coulette et de tunis, faite par Don Gabrio serbolino. Arch du vaticau 1574, in R.A, n° 21, 1877, pp294-295.

(4) الأرشيف الوطني، دفتر مهمة (24)، ص60/ تاريخ 981/12/5 هـ، 1574م. وهي مراسلة من سليم الثاني إلى الوالي رمضان باشا يدعوه إلى إنقاذ تونس والأمر بالسير مع رحال تونس وطرابلس تحت إمرة سنان باشا.

(5) Haëdo, op.cit; P.414.

(6) GRAMMONT (H.D) . op.cit; P.117.

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

نشير إلى مشاركة أبناء محمد الشيخ السعدي سلطان المغرب وهم احمد وعبد الملك في تحرير تونس، إذ طرد هذا الأخير من المغرب على يد أخيه عبد الله حليف الإسبان، فلجأ إلى الجزائر طالبا مساعدة العثمانيين لإسترجاع ملكه والدخول تحت طاعتهم والمساهمة في تحرير وهران والمرسى الكبير هذا ما كان ينتظره علج علي، فجهز حملة على الغرب بقيادة رمضان باشا وقد راسل السلطان سليم الثاني هذا الأخير لتشجيعه بتوجيه الأسطول الجزائري الذي مكن عبد الملك من إسترجاع عرشه على فاس على حساب إبن أخيه المتوكل، مع مطلع سنة 1577م[1]. ليلجأ هذا الأخير طالبا نجدة ملك البرتغال دوم سيباستيان Don sebastiens (1557-1578م) ورغبته في العودة إلى سياسة نشطة في المغرب، تلك التحالفات ستنتهي بمعركة وادي المخازن سنة 1578م بحيث قتل فيها ثلاث ملوك وهم سيباستيان، عبد الملك، والمتوكل، وكان اكبر مستفيد أخوهم أحمد الذي سيلقب بالمنصور وأيضا بالذهبي لحصوله على كنوز واموال لا تحصى مكنته من توطيد ملكه والحفاظ على استقلالية المغرب في مواجهة الدولة العثمانية، وسعى أوروبا لكسبه لجانبها في مواجهة الباب العالي[2]. من جهته ضم فليب II البرتغال لعرشه 1580م، يتبعه توجه الإسبان نحو الأطلسي وتجدد الحروب الدينية مع البروتستانت في هولندا وإنجلترا كان من نتائجها إلحاق الهزيمة بالأرمادة الإسبانية في بحر الشمال على يد الأسطول الإنجلزي وذلك سنة 1588م وبروز قوة هذه الأخيرة[3].

تطور العلاقات الإسبانية العثمانية نهاية القرن 16م:

طول تلك الفترة لم يتوقف سعي الإسبان من أجل إبرام إتفاق مع الدولة العثمانية بحيث استمرت الإتصالات بين الطرفين من 1577-1581م عن طريق مبعوث فليب II مارجيلياني Margliani سبقتها عدة محاولات من الإسبان للتقرب من العثمانيين رغم شروط هؤلاء ومنها دفع الجزية والإنسحاب من شمال إفريقيا، أما طلب الإسبان الوحيد

---

(1) الأرشيف الوطني، دفتر مهمة (30)، ص347، حكم 348، تاريخ 985/2/18هـ، 1577م.

(2) BRIGNON (J) et autre. op.cit ; P. 209.

(3) جيمس أنتوني فرويد، التنافس البريطاني الإسباني الفرنسي في القرن 16م ، ترجمة وتقديم د/ السيد يوسف نصر، مؤسسة سباب الجامعة، الإسكندرية، 1991، ص103.

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

هو الإبقاء على أي اتفاق سريا حتى لا يقال عنهم أنهم خضعوا لشروط الاتراك[1]. في وقت سعت فيه فرنسا إلى إفشال أي تقارب بين الإسبان والعثمانيين هؤلاء بدورهم كانوا في حاجة لهدنة على الأقل في وقت تجدد الصراع مع الفرس وفي اليمن على خليج البحر الأحمر، وفعلا تم الإتفاق على أول هدنة سنة 1578م سيتم تجديدها كلما انتهى مفعولها بعد 10 أشهر وذلك حتى تم الإمضاء على معاهدة سلم سنة 1581م لمدة 10 سنوات.

منذ البداية سعى علج علي لدى السلطان طالبا منه رفض أي تقارب مع الإسبان إذا لم ينسحبوا من وهران والمرسى الكبير، في وقت استمر فيه نشاط البحرية الجزائرية في البحر المتوسط بقيادة علج علي من ذلك هجوم حسان فينيزيانو على سواحل جزر البليار واستلائه على غنائم هامة سنة 1578م، كما قام هذا الأخير بتجديد وتدعيم تحصينات مدينة الجزائر، وتم تعيينه على رأس الأيالة إثر مراسلة من السلطان سليم الثاني إلى أحمد أعراب وذلك سنة 1572م[2].

في عام 1581م عاد "علج علي" إلى الجزائر استعدادا لتوجيه حملته على المغرب، لكن انفجار ثورة في اليمن عجلت بتوجيهه لإخمادها وبقي منشغلا بمشاكل الشرق والفرس والشيعة والتوسع في أوروبا حتى وفاته سنة 1587م[3]. قبل ذلك قرر السلطان إلغاء منصب بيلارباي وفصل تونس وطرابلس عن الجزائر ففي مراسلة من السلطان مراد الثالث إلى حسن فينيزيانو يامره بإنشاء ولاية طرابلس الغرب على رأسها حسن باشا والإبقاء على والي تونس في منصبه[4]، وتعيين بشاوات يحكمون مباشرة باسم السلطان لمدة ثلاث سنوات، وكان ذلك سببا في اضطرابات أدت إلى استقلالية الإيالات، وسيطرة رياس البحر على الحكم لأن نشاطهم البحري هو أهم مورد مالي

(1) BRAUDEL (F) : La Méditerranée. op.cit.. PP. 435-440.

(2) الأرشيف الوطني، دفتر مهمة (10)، ص99، حكم 157، تاريخ 979/8/23 هـ، 1572م.

(3) يصنف إلى جانب خير الدين ودرغوث كأهم الشخصيات الجزائرية طيلة الفترة الحديثة، كما يعتبر أحد أكبر قادة الأسطول العثماني، ومن أهم المشاريع التي اقترحتها على السلطان إقامة اسطول عثماني دائم في البحر الأحمر لمواجهة البرتغاليين ومشروع حفر قناة سويس للربط بين البحر الأحمر والمتوسط، لكن انشغال السلطان بحروبه حال دون تحقيق ذلك.
GRAMMONT (H.D). op.cit.. P.123.

(4) الأرشيف الوطني، دفتر مهمة (31)، ص.207، تاريخ 985/6/14، 1578م.

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

للبلد فنشطت القرصنة[1]. واستقلت الجزائر بمواردها المالية عن تونس وطرابلس بتنصيب محاسب من الكراغلة، إثر مراسلة من السلطان مراد الثالث إلى جعفر باشا يعلمه بإنهاء المحاسبة الموحدة مع تونس وطرابلس[2].

وعلى الرغم من النزاع بين الإنكشارية ورياس البحر فقد تمكن "محمد باشا" من اقناع رياس البحر بقبول الإنكشاريه كجنود على متن سفنهم، على قدم المساواة، كما أقنع الإنكشارية بقبول البحارة والأعلاج في صفوفهم والتمتع بنفس الحقوق، عكس هذه النظرة اعتبر "دي قرامون" بأن النزاع بين الطرفين هو ميزة تطور الإيالة. أما "شارل أندري جوليان" فيعتبر ذلك الإختلاط عاملا في تدهور القرصنة، وهذا ما يتنافى مع الحقائق التاريخية الصارخة، مادام أن أعظم أيام البحرية الجزائرية وعصرها الذهبي سيتجدد مع مطلع القرن السابع عشر[3].

(1) SALVATOR BONO. I corsari barbareschi. ERI edizioni RAI. radiotelevisione ITALIANA 1964. ILTE. ITALY.PP.32-33.

(2) الأرشيف الوطني، دفتر مهمة (43)، الرقم 148، التاريخ 988هـ، 1581م.

(3) جون - ب - وولف، نفس المرجع، ص.ص 107-108.

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

الخاتمة

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

من المنطقي أن تكون خاتمة هذا العمل مجموعة استنتاجات نعتقد بأنـــها ســـوف تساهم في فهم الموضوع وتحديد أهدافه. في مقدمتها حالة الفوضى والانقسام والتشـــتت الذي عانت منه بلاد المغرب والجزائر على الخصوص. أكثر مـــن ذلـــك، الحـــروب المستمرة، والاستعانة بالأسبان والبرتغاليين بين الإخوة الأعداء. وهو موضوع يتطلـــب دراسة معمقة من الجانب الاجتماعي والفكري، وكذا شبه انعدام وتهميش للعلماء رغـــم قلتهم، وتعتبر الموجه لحركية المجتمع والاقتصاد نحو الأفضل، والكفيلـــة بالمحافظـــة على ثوابت وقيم الأمة. وقد ساهمت في تحكم أقلية من أعيان المدن أصحاب المصـــالح التجارية، والذين حفاظا عليها ارتموا في أحضان الأسبان وأعانوهم على احتلال البلد.

الاستنتاج الثاني: الدعوة إلى رفع كل التباس عن الفترة العثمانيـــة مـــن تـــاريخ الجزائر، وخصوصا مع تجدد الدولة الجزائرية بمجيء الإخوة بربروس، واســـترجاع البلد لمكانته المتوسطية. لقد فقد عروج ذراعه وهو يحاول تحرير بجاية واستشهد فـــي الحملة على تلمسان. ولو كان يريد الشهرة والمال فقد كان له ذلك، وإنما رأى في حالة الفوضى والضعف والتشتت الذي ميز الجزائر فرصة لإقامة سلطة مركزية قوية يواجه بها أعداءه، وتمكنه من إنقاذ المزيد من إخوانه، ولم لا استرجاع الأندلس، وقـــد كـــان مشروعا تقاسمه مع أخيه خير الدين، وكان بإمكانه تحقيقه. لو دعمه الباب العالي، بعـــد معركة بريفيسا 1538م، وهزيمة أسطول التحالف المقدس. وهـــو موضـــوع يتطلـــب مواصلة البحث فيه.

ثالثا: هناك طبيعة الاحتلال الإسباني للمدن الجزائرية، الذي نؤكد على أنه احتلال خطط له ونفذ، ودام ثلاثة قرون في وهران والمرسى الكبير، وكان الهدف اســـتيطانيا بتهجير آلاف العائلات الإسبانية للاستقرار وتقديم كل التسهيلات. ومـــن الطبيعـــي أن تكون أسباب أخرى منها تأمين الطريق نحو ايطاليا ومواجهة الأســـطول الجزائـــري. وأحسن دليل نملكه مصير سبتة ومليلة المغربيتين، وهي إجابة للمؤرخ الإســـباني دي ايبالزا الذي لخص لنا دوافع الاحتلال في "حملة وقائية". وهو موضوع لابد من البحـــث فيه.

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

وما دمنا نتحدث عن طبيعة الاحتلال، فلم يكن ليستمر كل تلك المدة لولا القبائل الموالية لهم والممولة لتلك المراكز المحصنة، من ذلك قبائل بني عامر، وقنزة، وهي نقطة نتمنى أن تكون موضوع دراسة لارتباطها بالاستعمار الفرنسي وإنشائه لفرق الصبايحية التي كانت السند القوي للقضاء على المقاومة الشعبية.

رابعا: وتجدر الإشارة هنا إلى المهمة الرئيسية التي وجهت نشاط الإخوة بربروس، والمتمثلة في إنقاذ المزيد من المسلمين الأندلسيين الفارين من اضطهاد الكنيسة الإسبانية، وقد ذاع صيتهم حتى قبل المجيء إلى الجزائر وبعدها. ففي أصعب تلك الفترات وبعد انتقاله إلى جيجل استمر في آداء مهمته على أكمل وجه وتبعه خلفاؤه من بعده، من "حسن آغا"، إلى "حسن باشا"، "صالح رايس"، "درغوث باشا"، "علج علي" و"حسن فنيزيانو"، وذلك طيلة القرن السادس عشر وهي تصلح أيضا لأن تخصص لها دراسة معمقة.

موضوع آخر يتطلب الدراسة والتحليل، وهو ثورة الأندلسيين أو كما تعرف بثورة جبال البشارات انطلاقا من حي البيازين. واستمرت على فترتين وهي تناقض الصورة المعهودة لأمراء الأندلس، منهم أبو عبد الله حاكم غرناطة في ظروف صعبة جدا، وفي الأندلس نفسها واصلوا المقاومة ولابد من إبراز هذا الجانب الهام من تاريخ هؤلاء المورسكين.

استنتاج آخر، يتمثل في دور الديبلوماسية النشطة خصوصا فرنسا، التي استطاع سفيرها لدى الباب العالي في إفشال أي تقارب بين هذه الأخيرة وبقية الدول الأوروبية للحصول على نفس الحظوة والامتيازات التي حصلت عليها فرنسا وإمكانية ذلك، إذ طلبتها بقيت الدول في مدة أقصاها تسعة أشهر. في نفس الإطار نشير أيضا إلى الدور الفعال لسفراء البابوية لدى الدولة العثمانية، فقد حافظوا على امتيازاتهم طيلة قرون، منها الإشراف على الأماكن المقدسة المسيحية في القدس، وكنيسة المهد في بيت لحم. كذلك حرية الحجاج في التنقل إليها وزيارتها تحت حماية عثمانية. هذا من جهة، ومن جهة ثانية، لم تتوقف الكنيسة البابوية لحظة في التآمر لتحطيم الدولة العثمانية، فكانت

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

وراء إنشاء الحلف المقدس (البابوية، إسبانيا، البندقية) ومعها المواجهات الكبرى من معركة بريفيسا إلى معركة ليبانت. حتى فرنسا، صاحبة الحظوة ساهمت في استعدادات "شارل كوينت" لحملته على الجزائر سنة 1541م إثر اتفاق "إيغ مورث" بوساطة البابا، لعقد هدنة مع إسبانيا.

ديبلوماسيا أيضا، تأتي محاولة استمالة خير الدين من طرف "شارل كوينت" بنصيحة من البابوية، مقترحا عليه الاعتراف بسلطته على الجزائر، لكن خير الدين اشترط الانسحاب من المدن المحتلة كلها، حتى وإن لم تنجح الخطة، فبإمكانها أن توقع بينه وبين السلطان العثماني لكنه كان على اتصال مع هذا الأخير يعلمه بكل التفاصيل.

أما الذي تكفل بالمهمة فهو "أندري دوريا" قائد الأسطول الإسباني الذي انتقل إلى خدمة هذا الأخير بعد فراره من خدمة ملك فرنسا "فرانسوا الأول" لبخله وعدم تسديده مستحقات دوريا.

وعلى نفس المنوال، جاءت محاولة كسب "حسن آغا" خليفة خير الدين على الجزائر أثناء حملة "شارل كوينت"، ثم هزيمته. وحاول الكثير من الكتاب تبريرها على أن "حسن آغا" وعد الأسبان بأنه سوف يفتح أبواب المدينة مباشرة بعد إنزال القوات. وما دام الحديث على حملة "شارل كوينت" على الجزائر، فهي تستحق بكل تأكيد العناية والدراسة، أولا لقلة الكتابات عنها. وثانيا: لكونها أكبر حملة عسكرية في العالم شهدها القرن السادس عشر. وثالثا: للانعكاسات التي ترتبت عنها، وجعلت "شارل كوينت" يتخلى غن حكم الإمارات الألمانية والأراضي المنخفضة لأخيه، وانعزاله الحياة السياسية حتى وفاته في أحد الأديرة. مع الإشارة إلى تكرار نفس الحجج والأسباب لدى الكتاب الغربيين في تفسير هزائم الأساطيل الأوروبية أمام أسوار مدينة الجزائر بهبوب عواصف هوجاء وأمطار طوفانية.

لقد عمل حكام الجزائر على جبهتين: الأولى خارجية في مواجهة الأسبان وأوروبا والكنيسة إلى جانب الأسطول العثماني، والثانية على الجبهة الداخلية في مواصلة تدعيم السلطة بتحرير المدن المحتلة، مثل تحطيم حصن البنيون في سنة

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

1529م وتحرير مدينة الجزائر، وإقامة مينائها ثم مدن: تنس، شرشال وبجاية سنة 1555م، والحملة على تلمسان ووهران في عهد "حسن باشا"، ومن بعده "صالح رايس" و"علج علي".

إن التعاون العثماني الجزائري يبقى أهم سمة ميزت هذه الفترة، خصوصا مساهمة الأسطول الجزائري في تحرير حجر باديس. وفي الوقت نفسه، استمرار تقديم السند والعون المادي والعسكري لثورة الأندلسيين الثانية 1568م. دون أن ننسى المواجهات الكبرى مع أوروبا كما حدث في معركة ليبانت، وإنقاذ "علج علي" للأسطول الجزائري بعد استيلائه على سفينة راية فرسان القديس يوحنا، والعودة إلى إسطمبول، ليأتي بعدها تحرير تونس وحلق الوادي على يده.

إن تاريخ البحرية الجزائرية أو الأسطول تحتاج إلى المزيد من الدراسات والتعمق، بما في ذلك رياس البحر مثل: "حسن فينيزيانو" و"علج علي" الذي نتمنى أن يخصص عمل منفرد، ليس لأنه قائد عسكري فذ ومؤمن ونزيه، وإنما لأفكاره وبعد نظره من ذلك اقتراحه على السلطان العثماني رفض أي هدنة مع الأسبان ماداموا لم ينسحبوا من وهران والمرسى الكبير. وهو صاحب فكرة فتح قناة للربط بين البحر المتوسط والبحر الأحمر لتمكين الأسطول العثماني من التنقل بين جبهتي المواجهة، والإبقاء على جزء منه في البحر الأحمر لحماية مكة والمدينة والخليج العربي ضد البرتغاليين والخطر الفارسي.

لقد ساهم هؤلاء الرجال في صنع تاريخ هذا البلد، ولابد من تخصيص بحوث ودراسات تعرف بهم للأجيال القادمة، وكما يقال عندنا، "أمة لا تحترم رجالا صنعوا تاريخها لا يحق لها في الوجود". أو كما قالها ديدوش مراد: "إذا متنا فحافظوا على ذاكرتنا".

في الأخير نتقدم بجزيل الشكر لكل من ساعد على إنجاز هذا العمل المتواضع، وفي مقدمتهم الأستاذ المشرف "ناصر الدين سعيدوني"، وكذلك أساتذة معهد التاريخ، وأخص بالذكر أ. تلمساني بن يوسف، وأ. عبد المجيد بوجلة، وكذلك مجموعة أساتذة

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

اللغة العربية لثانوية الشيخ بوعمامة، إضافة إليهم المشرفون وعمال الأرشيف الوطني، وكذلك عمال مكتبة الملحق الثقافي الإسباني في الجزائر.

وأخيرا نتمنى أن يكون بحثنا هذا خطوة إيجابية وأولية لإنجاز عمل احسن وأوسع من هذا في المستقبل بإذن الله.

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

قائمة البيبليوغرافيا

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

المصادر

الأرشيف الوطني الجزائري

مجموعة دفتر مهمة وتشمل المراسلات من الباب العالي إلى حكام الجزائر

1) دفتر مهمة (2)، ص: 63/ حكم: 565 تاريخ: 963/6/9 هـ، 1556/1555م. من السلطان سليمان القانوني إلى والي صالح باشا.

2) دفتر مهمة(4)، ص: 175/ حكم: 1823 تاريخ: 968/5/3 هـ، 1560/ 1561م. حربي إداري، سليمان القانوني إلى حسن خير الدين باشا.

3) دفتر مهمة(5)، ص:367/ حكم: 967 تاريخ: 968/5/19 هـ، 1561/1560م. بحري سليمان القانوني إلى حسن خير الدين باشا.

4) دفتر مهمة(4)، ص:175/ حكم: 1824 تاريخ: 968/5/3 هـ، 1561/1560م. حربي إداري، سليمان القانوني إلى حسن خير الدين باشا.

5) دفتر مهمة(12)، الرقم:180 تاريخ: 971 هـ، 1564/1563. سليمان القانوني إلى حسن باشا.

6) دفتر مهمة(6)، ص:266/ حكم: 525 تاريخ: 972/5/25 هـ، 1565/1564. حربي، سليمان القانوني إلى حسن خير الدين باشا.

7) دفتر مهمة(6)، ص:450/ حكم: 971 تاريخ: 972/9/7 هـ، 1565. سياسي المغرب، سليمان القانوني إلى حسن بن خير الدين باشا.

8) دفتر مهمة(6)، ص:451/ حكم: 972 تاريخ: 972/12/9 هـ، 1565م. بحري، سليمان القانوني إلى حسن بن خير الدين باشا.

9) دفتر مهمة(7)، ص:498/ حكم: 1335 تاريخ: 975/11/20 هـ، 1568م. بحري طرابلسي السلطان سليم الثاني إلى الوالي علج علي.

10)دفتر مهمة(7)، ص:578/ حكم: 1625 تاريخ: 976/1/2 هـ، 1569/1568م. إداري سليم الثاني إلى الوالي علج علي.

11)دفتر مهمة(7)، ص:299/ حكم: 2461 تاريخ: 976/5/18 هـ، 1569/1568. سياسي المغرب، سليم الثاني إلى علج علي.

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

12)دفتر مهمة(9)، ص:89/ حكم: 231 تاريخ: 977/10/24 هـ، 1569م.
بحري حربي، سليم الثاني إلى علج علي.
13)دفتر مهمة(12)، الرقم:98 تاريخ: 978 هـ، 1569م.بحري حربي، سليم الثاني إلى علج علي.
14)دفتر مهمة(105)، ص:99/ حكم: 157 تاريخ: 979/8/23 هـ، 1572/1571م.
سياسي ،السلطان سليم الثاني الوالي أحمد عرب.
15)دفتر مهمة(14)، ص:200/ حكم: 284 تاريخ: 979/2/3 هـ، 1572/1571م.
بحري حربي، سليم الثاني إلى علج علي.
16)دفتر مهمة(16)، ص:24/ حكم: 40 تاريخ: 972/5/21 هـ، 1572/1571م.
بحري حربي، سليم الثاني إلى علج علي.
17)دفتر مهمة(16)، ص:67/ حكم: 139 تاريخ: 979/6/4 هـ، 1572/1571م.
حربي، سليم الثاني إلى علج علي.
18)دفتر مهمة(12)، ص:571/ حكم: 1088 تاريخ: 979/11/7 هـ، 1572م.
سياسي، سليم الثاني إلى أحمد عرب.
19)دفتر مهمة(21)، ص:220/ حكم: 526 تاريخ: 980/11/21 هـ، 1573/1572م.
بحري حربي، سليم الثاني إلى أحمد عرب.
20)دفتر مهمة(21)، ص:272/ حكم: 645 تاريخ: 980/12/22 هـ، 1573/1572.
سياسي بحري، سليم الثاني إلى أحمد عرب.
21)دفتر مهمة(24)، ص:60/ حكم: 168 تاريخ: 981/12/5 هـ، 1574/1573.
بحري حربي، سليم الثاني القائد رمضان باشا.
22)دفتر مهمة(30)، ص:347/ حكم: 348 تاريخ: 985/2/18 هـ، 1578/1577م.
حربي المغرب، السلطان مراد الثالث القائد رمضان باشا.
23)دفتر مهمة(30)، ص:180/ حكم: 421 تاريخ: 985/3/5 هـ، 1578/1577م.
سياسي، مراد الثالث الوالي حسن فنزيانو.

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

24)دفتر مهمة(31)، ص:207/ حكم: 462 تـــاريخ: 985/6/14 هـــ، 1577/1578م.

سياسي، مراد الثالث إلى حسن فنزيانو.

25)دفتر مهمة(35)، ص:122/ حكم: 314 تـــــاريخ: 986/6/2 هـــ، 1578/1579م.

سياسي، مراد الثالث إلى حسن فنزيانو.

26)دفتر مهمة(35)، ص:177/ حكم: 452 تـــاريخ: 986/6/21 هـــ، 1578/1579م.

سياسي المغرب، مراد الثالث إلى حسن فنزيانو.

27)دفـــــتر مهمـــــة(43)، ص:148/ - تـــــاريخ- 988 هـــــــ، 1780/1581م.

إداري المغرب، مراد الثالث إلى جعفر باشا.

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

المصادر:

1) بن أبي الضياف أحمد، إتحاف أهل الزمان في أخبار تونس وعهد الأمان، الجزء الثاني، الطبعة الأولى،الدار التونسية للنشر، 1977م.

2) بن خلدون عبد الرحمن، كتاب العبر وديوان المبتدأ أو الخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، الجزء الثاني، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1992م.

3) بن سحنون أحمد، الثغر الجمالي في ابتسام الثغر الوهراني، تحقيق المهدي بو عبدلي، مطبعة البعثة، قسنطينة، مارس، 1973م.

4) مجهول، كتاب غزوات عروج وخير الدين، تصحيح وتعليق نور الدين عبد القادر، الجزائر، المطبعة الثعالبية، الجزائر، 1934م.

5) الزياني، محمد بن يوسف، دليل الجيران وانيس السهران في أخبار مدينة وهران، تقديم وتعليق المهدي بوعبدلي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1978م.

المراجع:

1)المدني أحمد توفيق، حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر وإسبانيا 1492-1792، الطبعة الثالثة، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985.

2)الجيلالي عبد الرحمن، تاريخ المدن الثلاث، الجزائر، المدية، مليانة، الطبعة الأولى، الجزائر، 1972.

3)سعيدوني ناصر الدين، دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر، "العهد العثماني"، الطبعة الأولى، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984.

4)بوعزيز يحي، علاقات الجزائر الخارجية مع دول وممالك أوروبا،ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1985م.

5)جون - ب - وولف، الجزائر وأوروبا، ترجمة أبو القاسم سعد الله، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986م.

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

6)مولود قاسم نايت بلقاسم، شخصية الجزائر الدولية وهيبتها العالمية قبل 1830م، الطبعة الأولى، دار البعث، الجزائر، 1985م.
7)جيمس أنتوني فزويد، التنافس البريطاني الإسباني الفرنسي في القرن 16م، ترجمة وتقديم د/السيد يوسف نصر، مؤسسة شباب الجامعة الإسكندرية، مصر، 1991م.
8)ذنون طه عبد الواحد، حركة المقاومة العربية الإسلامية في الأندلس بعد سقوط غرناطة، الطبعة الأولى، دار الشؤون الثقافية، بغداد، 1988م.
9)بوعزيز يحي، تلمسان عاصمة المغرب الأوسط، مديرية الدراسات التاريخية، الجزائر.
10)بوعزيز يحي، مدن تاريخية، وهران، الطبعة الأولى، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 1985م.
11)المهدي محمد بن علي شعيب، أم الحواضر في الماضي والحاضر، تاريخ مدينة قسنطينة، الطبعة الأولى، الجزائر.
12)حليمي عبد القادر، مدينة الجزائر نشأتها وتطورها ما قبل 1830م، الطبعة الأولى، الجزائر.

المقالات:

1)بلحميسي مولاي، وصف لمدينة وهران، مجلة التاريخ، العدد 11، الجزائر 1981م.
2)بن خروف عمر، العلاقات بين الجزائر والمغرب (1517 – 1659)، مجلة الدراسات التاريخية، العدد الأول، الجزائر، 1986م.
3)بن خروف عمر، ملامح من الحياة الاقتصادية في المغرب في عهد السعيديين، مجلة الدراسات التاريخية، العدد الثالث، معهد التاريخ، جامعة الجزائر، 1987م.
4)خليل الساحلي، تقليد صالح باشا ولاية جزائر الغرب سنة 1552م، المجلة التاريخية المغربية، تونس، جويلية 1974م.

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

المراجع بالفرنسية:

1) ALBERT (N) et autres, L'Afrique du nord française dans l'histoire, Ed. Archat, Paris, sans date.
2) AUPHAN Paul, Histoire de la Méditerranée, Paris, 1962.
3) BRAUDRILLART Afred, Philippe V et la cour de France, Toure Quatrienne, Paris.
4) BALHAMISSI (M), Histoire de la marine Algérienne (1516 _ 1830), 1er Ed, ENAL, Alger, 1982.
5) BALHAMISSI (M), Histoire de Mostaghanem (des origines à nos jours), Alger, SNED, 1982.
6) BERBRUGGER Adrian, Voyages dans le sud de l'Afrique et des Etats Barbaresques de l'ouest et de l'Est, Paris, 1946.
7) BERBRUGGER (A), Le pegnon d'Alger, ou les origines du gouvernement Turc en Algérie. Alger, 1860.
8) BERBRUGGER (A), Les époques militaires de la grande Kabylie, Alger, Bastide, 1856.
9) BRAUDEL Fernand, La Méditerranée et le monde méditerranéen à l'époque de Philippe II, T2, Paris, 1976.
10)BRIGNON Jean, et autres. Histoire du Maroc, 1er Ed, Hatier, Casablanca.
11)BERNARD Marius, Autour de la Méditerranée, les cotes barbaresques d'Alger à Tanger, Paris.
12)DHINA Amar, Grands tournants de l'histoire de l'Islam de la bataille de Badr à l'attaque d'Alger par Charles Quint, S.N.E.D, Alger, 1978.
13)DHINA (A), Les états de l'occident musulman aux XIII, XIV, XV siècles, 1er Ed, ENAL, Alger.
14)DECHAUD (ED), Oran son port, son commerce, Oran, 1914.
15)DEVILLEGAIGNON Nicolas Durand, Relation de l'escpédition de Charles Quint coutre, Alger, 1874.

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

16)EL OUAZZANI Hassan, Ben Mohamed, Léons L'Africain, description de l'Afrique trad, A.EPAULARD , ParisVI, 1956.

17)GARROT Henri, Histoire général de l'Algérie, Livre XI, période Turque, Alger, imp.p. croscenzo, 1910.

18)GRAMMONT (H.D), Histoire d'Alger sous la domination Turque (1515 _ 1830), Paris, 1887.

19)Histoire d'outre mer, Les Barbaresques, Paris, 1949.

20)LESPES René, Alger étude géographiques et histoire de la ville, Paris, 1930.

21)LESPES (R) , Oran étude de géographie et d'histoire urbaines presse Fontana, Alger, sans date.

22)MARIUS Bernard, Autour de la Méditerranée, Les cotes Barbaresques d'Alger, Tanger, Paris, sans date.

23)MERCIER Ernest, Histoire de l'Afrique septentrionale des origines jusqu'à nos jours, TII, Paris, 1988.

24)MORTEL Afred Patis, L'Espagne au XVI et XVII siècles, Madrid, 1878.

25)MOUILLESEAUX Louis, Histoire de l'Algérie, texte de Jean LASSUS George, MARCAIS, Léo BARBES, Pierre BOYER, et Jean FARRAN.

26)MONLAV Jean, Les états Barbaresques, Que sais-je ?, P.U.F, Paris, 1973.

27)OFFREY Robert, Oran et Mers ELKebir, imprimerie Berthod, 1938.

28)PANELLA Jean, Les transfert des moriscos espagnols en Afrique du nord, in études sur les Moriscos Andalous en Tunisie, Publiées par MIKEL DE EPAZA et R. Petit, Tunis, 1973.

29)PALLARG Paul, Les origines de la ville d'oran, Paris, 1904.

30)PECHOT (LD), Histoire de l'Afrique du nord avant 1830, Tome II, Alger, 1914.

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

31)ROYE (J.E), Histoire de l'Afrique depuis les temps les plus recules jusqu'à nos jours, Tours, 1859.

32)RUFF Paul, La domination Espagnole à oran sous le gouvernement du comte d'Alcandette (1543 – 1558), Paris, 1900.

33)SANDER Rang et DENIS, La Fondation de la régence de la ville d'Alger, Les édition, Tunis, 1937.

34)Etudes et Documents divers XVI, Mémoire sur l'histoire de l'Algérie au XIVᵉᵐ siècles, les éditions Pieder, Paris, sans date.

المراجع الإسبانية:

35) ALVAREZ Manuel Fernandez, Historia de Espana de Carlos V, Tomo 20, Madrid, 1986.

36) ALVAREZ (M.F), Politica mundial de Carlos V, y Felipe II, Madrid, 1966.

37) PEREZ Joseph, La Espana de siglo XVI. bibliotica Basico de historia, Madrid, 1966.

38) NAVARRETE Adolfo, Historia marituna de Espana, Madrid 2[em] Vol, 1901.

39) DE EPALZA Mikel, BTA VILLAR Juan, Planos y mapas Hispanicos de Argelia, Siglos XVI, XVIII, Volumes I, Madrid, 1988.

40) BTA VILLAR Juan, LOURIDO Ramon, Relacions entre Espana u el Magreb, Siglos XVII y XVIII, éditorial, maffre, Madrid, 1994.

41) BTA VILLAR (J), Espania en Argelia, Tunez, Ifni y Sahara durante El Siglo XIV, Madrid, 1970.

مرجع بالإيطالية:

42) SALVATORE Bono, I Corsari barbareschi, ERI, edizioni RAI, Radiotelevisione ITALIANA, ITALY ,1964.

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

المقالات بالفرنسية:

1) BERBRUGGER (A), La mort du fondateur de la regence d'Alger (Aroudj Barberousse), in R.A.T4, 1859.

2) BERBRUGGER (A), Mers el Kebir et Oran de 1509 à 1608, d'après Diégo Suarez Montanes, in R.A, N°10, 1866.

3) BERBRUGGER (A), Mers el Kebir et Oran, in. R.A, T11, 1867.

4) BERBRUGGER (A), Mers el Kebir, tra, Suarez Montanes, in R.A. N°9, 1865.

5) BERBRUGGER (A), Topographie et histoire générale d 'Alger , in R.A.T.15, 1871.

6) BERBRUGGER Adrian, Négociations entre Hassan et le compte d 'Alcaudéte (1541_ 1542), traductions des Pièces authentique, in.R.A.Y.9, 1865.

7) BERBRUGGER(A), Oran sons les Espagnols trad de rapport officiels espagnols sur la prise de Mers El Kebir en 1505, in R.T, T13, 1869/

8) BRAUDEL Fernaud, Les Espagnols et l'Afrique du nord de 1542 à 1577, in R.A, N°69, 1928.

9) CAZENAVE Jean, Les Présides Espagnols, in R.A, N°63, 1922.

10) DEVOULX (A), Alger, étude archéologique et topographique sur cette ville, au époques romaines, Arabe et Turque, in R.A, N°20, 1876.

11) DEVOULX Albert, El Hadj Pacha (1545), in R.A, T8, 1864.

12) Documents inédits sur l'histoire de l'occupation Espagnole en Afrique (1506 _ 1574). Lettre de Don Bernardino de Mendoza à sa majesté, Arch. de Simancas, Estad Legajo 463, in, R.A, N°21, 1877.

13) FERAUD Charles, Lettre arabes de l'époque de l'occupation espagnols en Algérie, in R.A, N°17, 1873.

14) HAËDO Fray Diégo, Abbé Fromesta, Histoire des Rois d'Alger traduit et annotée par, H.D GRAMMONT, in R.A, N°24, 1880.

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

15) Lettre de F.Hiernimo au compte d'Alcaudete, Documents relatifs à l'occupation espagnole de Bejaia, Arch. Simancas, R.A, N°21, 1877.

16) PRIMAUDAIE (DE.LA), Documents inédits sur l'histoire de l'occupation espagnole en Afrique, mémoire du corrèjidor d'Oran sur la manière dont cette ville est administrée, Arch. de Simancas, Estado Africa, Legajos mettos, in, R.A, N°19, 1875.

17) PRIMAUDAIE (DE.LA), Lettre de l'empereur à Don Martin de Cordoba contre d'Alcaudete, Seqovie, 4 juin 1534, Arch. De Simancas, Estado Legaje 451, in R.A, N°19, 1875.

18) PRIMAUDAIE (DE.LA), Relation des événements de la Goulette et de Tunis, Fait par Don Gabrio serbolino, arch. Du Vatican 1574, in R.A, N°21, 1877.

19) Relation adressée au compte d'Alcaudete par Miguel de LEZCANE, sur les négociations avec le chérif Malaga 22 Juillet, 1555, (Arch. de Simancas Legajo 108), R.A, N°21, 1877.

20) SANDOUAL (D), Les inscriptions d'Oran et de Mers El Kebir, in, R.A, N°15, 1871.

21) Souvenirs de l'expédition de Ximenes en Afrique, R.A.T5. 1851.

22) VALLEJO Don José, Contribution à l'histoire du vieil Oran, mémoire sur l'état et la valeur des places d'oran et Mers El Kebir, trad. J.CAZENAVE, R.A.T.66, 1925.

23) WATBLED (E), Etablissement de la domination Turque en Algérie, in, R.A, N°17, 1873.

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

BULLETIN DE LA SOCIETE DE GEOGRAPHIE ET D'ARCHEOLOGIE DE LA VILLE D'ORAN

1) BODIN Marcel : Documents sur l'histoire Espagnole d'oran nécessite de fortifier Oran 1575, in Bull, S.G.A.O, 1934.
2) CAZENAVE Jean : Les gouverneurs d'oran pendant l'occupation Espagnole de cette (1505 _ 1792), in Bull, S.G.A.O, 1931.
3) CAZENAVE (J) : Deux Razzias mouvementées des Espagnoles d'oran au 16eme siècle, in Bull, S.G.A.O,1926.
4) CAZENAVE (J) : Oran cité Berbère, Bull, S.G.A.O, 1926.
5) CAMILLE Kehl : Oran et l'oranie avant l'occupation Française, imp.c.fouque, Bull, S.G.A.O, 1942.
6) HONTABAT Don Harnaldo : Relation général de la consistancia de las plazas de Oran y Mazarquivir, Bull, S.G.A.O, 1924.

الموسوعات:

1) MOURRE Michel, Dictionnaire de l'histoire, LAROUSSE, 1998.
2) ENCYCLOPEDIA, Universalis, Paris, France, SA, 1990.
3) GRAN ENCICLOPEDIA, LAROUSSE, Tome 5, Esquela, GORGONZOLA, Editorial Planeta, Espana, 1988.
4) DICCIONARIO de Historia, Enrifontanilo, Merino, Madrid, 1986.

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST



Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

الملحق رقم (1)

دفتر مهمة مراسلات الباب العالي مع الجزائر

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

Mühimme | Hüküm

565-566

[illegible]

[illegible]

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

مهمة دفترى رقم 2 صحيفه 63 حكم رقم 564 بتاريخ 9/ 6/ 963

لواء قسطنطينه في الجزائر

عرض أن قائد اللواء المذكور المدعو مراد حريص على المصلحة ومستحق للعنايه .

وبناء على ذلك فقد أمر بمنحه 200000 (مئتى الف) اقجه وسنجق ايضا .

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

[illegible]

[illegible]

Tasnifin cinsi	Mühimme	6
Numarası	266	

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

الديمقراطية الشعبية

الأمانة العامة

الجزائر في :

مهمة دفتري رقم 6 صحيفة 266 حكم رقم 565

بتاريخ 25/ 5/ 972

كتب

تم تصحيح وكتابة هذا الحكم ثانية

حكم الى حسن باشا امير امراء جزائر الغرب

بعد التوكل التام على علو عنايت حضرة الحق سبحانه وتعالى و
التوسل التام الى ايات معجزات صاحب الرسالة صلوات الله عليه و سلامه
فقد تم تعيين الدستور المكرم و زيرى مصطفى باشا ادام تعالى معاليه
قائدا بنيه غزو وفتح جزيرة (قلعة) مالطة الواقعة في ديار الغرب
وكما هو معروف منذ امد بعيد بأن تلك الجزيرة هي بمثابة مقر للكفا
اصابهم الدمار ، الذين لا يرتدعون عن قطع طريق الحجاج والتجار
القاصدين مصر بحرا ، ملحقين بهم كل انواع الخسائر . لذا فان قلع وقمع
تلك القلعة هو امر من واجبات الدين و من مهمات دولتي الهمايونية .
وتقرر كذلك التحاق امير الامراء الكرام بيالة دام اقباله امير امراء
الجزائر (جزائر بحر سفيد – البحر الابيض المتوسط) بالاسطول الهمايوني
المظفر في مطلع النوروز المبارك القادم ، والذى يصادف في هذه السنة الخي
ولمرت ايضا بانضمام القباطنة المتطوعين (كوكللو رئيسلر) في البحر الى
اسطولي الهمايوني و مشاركتهم بفريضة الغزو .
وامرت :
عند وصول حكمي الشريف فبموجب وفور فراستك و اقدامك وحسن
اهتمامك الحضموريين في جبلتيك ان تستميل و ترغب الرؤساء المتطوعين فـ
تلك الديار بالانضمام الى غزوتي الشريفة .
وان تعلن عن ان كل من سيشارك و يقدم خدماته سيكون محط رعايتي
الملوكية . وامرت ان تعيت واحدا ممن يحمد عليه رجالك من ذوى الكفاءة
قائدا عليهم و ذلك بعد تهيئة و تحضير سفنهم و راياتهم و معداتهم وان تجه
حتى مطلع النوروز المبارك كي يحضروا لملاقات الاسطول الهمايوني عند وصـ
له الى تلك الديار انشاء الله وعليهم ان يشاركوا و يقدموا خدماتهم علـ
الوجه الذى يراه وزيرى المشار اليه مناسبا .
وانني اولى هذه الغزوة اهتماما زائدا و سيكافىء كل حسب قدره ،
ولن يضيع اجر احد منهم و بناء عليه فلتعلم الرؤساء بمنظوري الشريف
ولتظهر كل انواع اهتمامك و سعيك في سبيل الدين المتين .

تعريب محمد داود التميمي

يقصد به الحكم رقم 561 صحيفة 263 و هو ايضا بنفس المعنى و لكنه لا يحتوى هذا القد
(التفصيل) التفاصيل لذا لم يترجم .

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

[illegible]

Tasnifin cinsi	Mühimme / 5
Numarası	367

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

الجمهورية الجزائرية
الديمقراطية الشعبية

الأمانة العامة

الجزائر في :

مهمة دفتري رقم 5 صحيفة 367 حكم رقم 967

كتب

بتاريخ 19 / 7 / 973

اعطى الى الكتخدا قورد في 85 رجب 973

حكم الى امير امراء جزائر الغرب

بعد التوكل على عناية الحق جل وعلا والتوسل الى فخر الكائنات عليه افضل الصلوات، فقد امرت اسطولي الهمايوني بالاجار في الربيع القادم داعين الله ان يكتب له الخير والنصر وقد روئ من المناسب ملاقاتك للاسطول الهمايوني .

وامرت :

في حالة عدم ترتب اي ضرر من جانب الاعداء على ولايتك فعليك بملاقات اسطولي الهمايوني بسفن الجزائر والالتحاق بقوات بيالة باشا امير امراء الجزائر (جزائر البحر الابيض المتوسط) وتقديم الخدملت التي يراها مناسبة .

اما في حالة توقعك الخطر فعليك الحذر من الاعداء ورصدهم وفيما اذا هاجمت سفن الاسبان ولايتك فقابلهم بالمثل واضرب بسفنك ولاياتهم التي تقدر على ضربها بعنف والحق بهم كل خسارة وسواء كنت ملاق للاسطول الهمايوني او كنت مغيرا على الاعداء فلتضع احقاق الحق نصب عينيك، وليكن النصر حليفك وكن دائما على بصيرة من الامر وحاذر ان يلحق البلاد او الولاية اي ضرر من الاعداء على حين غفله .

تعريب : محمد داود التميمي

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

[illegible]

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

الجمهورية الجزائرية
الديمقراطية الشعبية

[illegible] الجمهورية

الأمانة العامة

الجزائر في :

مهمة دفتري رقم 9 ، صحيفة 89 حكم رقم 231

بتاريخ / 24 / 10 / 977

اعطي الى خليل جاوش في 10 ذو القعدة

حكم الى اهالي الاندلس .

وصل الى استانة سعادتنا عرضحالكم الذي جاء فيه بأنّ الكفار اصابهم الدمار ، وجعل الضلالة لهم شعار قد سلبوكم اسلحتكم و منعوكم من تحدث العربية ، وانهم تيعرضون لنسائكم ، و يمارسون كل انواع الظلم والتعدى عليكم . وتعلمونا نه يوجد حاليا لديكم عشرين الف رجل مسلح كما ان هناك مئة الف رجل قادر على حمل السلاح وعلمنا باستلامكم مقدارا من السلاح من الجزائر وان ذلك قد ربط على قلوبكم و تمكنتم بذلك من تكبيد الكفار العديد من الخسائر فالحمد الله و لنصير اهل الاسلام ، و يكتب لهم الفوز الدائم على الكفار جعل الضلالة لهم شعار .

و قدم عرض بالتفصيل كل ما جاء في عرضحالكم من تحريرات تقريرات علي سنوير سعادتي ، واحاط علمي الشريف الملوكي و شمل كل ما يتعلق باحوالكم واخباركم وان انظارى منصرفة دائما نحوكم ولكن كفرة جزيرة قبرص القريبة من ممالكي المحروسة والتي كانت على العهد والامان منذ زمان [illegible] اجدادى العظام انار الله براهينهم الا انهم نقضوا تلك العهود ، واخذوا [illegible] بالتعدى على التجار واهل الاسلام المسافرين بحرا لطواف بيت الله الحرا[م] وزيارة تربة حضرة سيد الانام ، عليه افضل الصلاة والسلام نجلوص النية و صفاء [illegible]/ الطوية و بـ[ـذ]لك فانهم مصرون على العصيان والطغيان لذا ، فبعد التوكل والاعتماد على علوعناية الحق سبحانه وتعالى ، والتوسل والاستنا[د] الى المعجزات الكثيرة البركات لفخرا الموجودات صلوات الله عليه و سلامه ، و كذلك بالاستمداد بالارواح الطاهرة لسائر الصحابة الكرام عليهم رضوان الله تعالى اجمعين فقد ستقرت نيتي الملوكية على فتح و تسخير الجنويرة المزبورة في الربيع الخير القادم و نضرع الى عتبة حضرة الحق جل وعلا ان ييسر لنا فتح و تخسير تلك الجزيرة وان يبسط ايدينا عليها حتى تاهل باهل الاسلام كما كانت عليه وكي تقام فيها شعائر الشرع الشريف وحتى يامن التجار و يسلموا في غدوهم و رواحهم و ينصرفوا للدعاء وثبات ر مجد و رفعة الدولة و بما ان الوضع على هذا المنوال ، فان ارسال الاسطول الهمايوني المظفر لحمايتكم سيتاخر ريثما يتم ايصال المراكب للعساكر المنصورة للجزيرة المزبورة و سيتم ذلك اثر انهاء الاسطول لمهمته بعناية الحق و قد ارسل امر

CERIST www.pnst.cerist.dz depuis téléchargé Document

٨١ – [illegible]

٨٢ – [illegible]

٨٣ – [illegible]

Tasnifin cinsi	Mühimme	21
Numarası	220	

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

الجمهورية الجزائرية
الديمقراطية الشعبية

الجمهورية

الأمانة العامة

الجزائر في :

مهمة دفتري رقم 22 صحيفة رقم 220 حكم رقم 526

بتاريخ في 930/11/21

اعطى الى كتخداء القيودان في 22 ذي القعدة

حكم الى امير امراء جزائر الغرب

بمشيئة الله الملك المتعال ، فقد تقرر ارسال اسطولنا الهمايوني المنصور بعساكو المظفرة الى تلك الاطراف (المغرب) في هذا العام الخير للغزو و الجهاد في بسيل الله ال الجواد ، وقد ارسل حكم اخر في هذا الصدد امير امراء طرابلس الغرب ، و صدر امرنا بالحض لملاقاتك بعساكره منذ الان ، و امرنا ان تستعد للوصول الى تونس اولا لانتظار اسطولنا الهمايوني و امرنا :

عدم التوقف او التأخر لحظة ، و حال وصول الحكم ، عليك باعداد و تجهيز قادرغاتك الخاصه و سائر السفن التي بجورتك و ما استطعت من (جكدرركمي) و مداد تلك السفن بالرجال و العدة و العتاد و الذخيرة و المواد ، و تعيين قائد لكل منها ، و كذلك بعد تعيين قدر كاف من الرجال الاكفاء على اطراف و جوانب البلاد لحفظها و حراستها يترتب عليك و على امير امراء طرابلس الغرب - دام اقباله - التوجه برا بما لديكما من عساكو باتجاه تونس اولا لانتظار سفن الاسطول الهمايوني ، و من ثم يجب التنبيه على قواد السفن الذين عينتهم بالتوجه فورا لملاقاة اسطولنا الهمايوني حال وصوله و تقديم خدماتهم له على اكمل وجه .

حكم رقم 527

هذا ايضا (اعطى الى كتخداء القيودان في 22 ذي ابقعدة صورة) الى امير امراء طرابلس الغرب.

ارسل حكم بهذا الخصوص الى امير امراء جزائر الغرب ، و صدر امرنا له بالتوجه بعساكره الى تونس لملاقاتك ، فعليك بالتبصر و الانتباه في هذا الصدد و تعيين رجال و عساكر اكفاء لحفظ و حراسة ولايتك من البر و البحر ، و من ثم التوجه بعساكرك المنصوره الى جوانب تونس لملاقاة المشار اليه ، لترقب وصول اسطولنا الهمايوني .

*) جدرركمي : هي السفينة ذات الاشرعة و المجاذيف .

تعريب : محمد داود التميمي

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

الملحق رقم (2)

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST



منظر مدينة الجزائر في القرن السادس عشر

Mikel de Epalza, Juan BTA. Vilar
Plans et Cartes Hispaniques de l'Algérie XVI - XVIII siècles

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

إستيلاء الإسبان على وهران 1509م
صورة كاتيدرائية طليطلة

Mikel de Epalza, Juan BTA. Vilar
Plans et Cartes Hispaniques de l'Algérie XVI, XVIII siècles

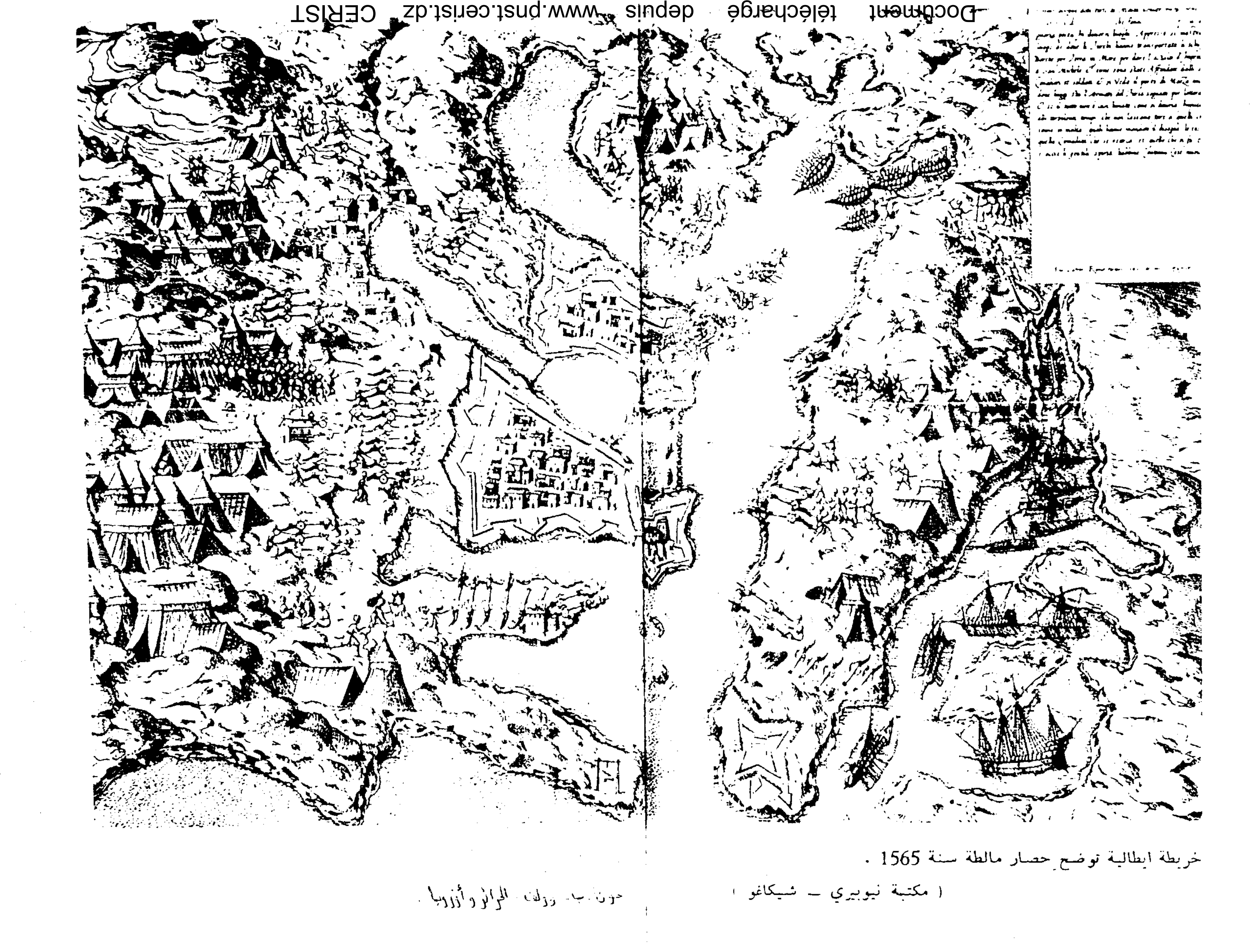
Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

مدينة الجزائر و ميناؤها 1563م

Mikel de Epalza, Juan BTA. Vilar

Plans et Cartes Hispaniques de l'Algérie XVI, XVIII siècles

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST



خريطة ايطالية توضح حصار مالطة سنة 1565 .

(مكتبة نيوبيري – شيكاغو)

جون ب. وولف: الجزائر وأوروبا .

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

صورة ايطالية لمعركة ليبانتو اثناء الالتحام .

(مكتبة نيوبيري – شيكاغو   جون ب. وولف: الجزائر وأوروبا)

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

GALLYEN in de MIDDELANDSE ZEE.

A L G I R S

مدينة الجزائر كما اخذت من مطبوع هولاندي يعود الى اوائل القرن 17.
ونلاحظ ان السفن نوع الغاليات المشاهدة على الصورة ، كانت ما تزا

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST



إيزابيلا





فرديناند

JOSEPH PEREZ : La España del siglo XVI



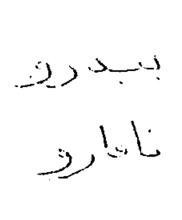
الكاردينال سيسنيروس



فليب الثاني



شارل كوينت



بيدرو نافارو





أندريا دوريا

جون ولف : الجزائر وأوروبا

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST



خيرالدين بربروس

بسام العسلي : خيرالدين بربروس



عروج بربروس

مولود قاسم : مكانة الجزائر الدولية



عروج



خيرالدين



سليمان القانوني

ALVAREZ: Politica mundial de Carlos V, et PHEl II.

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

الملحق رقم (3)

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]
28 جمادى الثاني 948 هـ	الخميس	20 أكتوبر 1541	الوصول إلى الخليج على السابعة صباحا، إرتفاع منسوب المياه على الثالثة مساءا إحتماء السفن في كاب ماتيفو الإسبان في تامنفوست
29 جمادى الثاني 948 هـ	الجمعة	21 أكتوبر 1541	هيجان البحر - يوم راحة
1 رجب 948 هـ	السبت	22 أكتوبر 1541	غطاسون يتعرفون على الساحل
2 رجب 948 هـ	الأحد	23 أكتوبر 1541	الإنزال في بداية اليوم، نزول الإمبراطور 9 صباحا، تنظيم الجيش إلى ثلاث مجموعات ومسيرة ميل واحد، إقامة المعسكر في الحامة هجوم عربي في الليل
3 رجب 948 هـ	الإثنين	24 أكتوبر 1541	السير إلى الأمام-اتخاذ المواقع حول المدينة، القيادة في كدية الصابون، أمطار ورياح ابتداء من 9 مساءا
4 رجب 948 هـ	الثلاثاء	25 أكتوبر 1541	خروج الجزائريين-معركة رأس تافورة اشتداد العاصفة-فقدان السفن والعتاد
5 رجب 948 هـ	الأربعاء	26 أكتوبر 1541	استمرار العاصفة، اتخاذ قرار الانسحاب وبدايته، قتل الخيول لتوفير الغذاء التراجع على طول الساحل البحري حتى واد كنيس الينابيع
6 رجب 948 هـ	الخميس	27 أكتوبر 1541	مواصلة الانسجاب حتى وادي الحراش، الفائض
7 رجب 948 هـ	الجمعة	28 أكتوبر 1541	عبور وادي الحراش التراجع حتى وادي خميز فائض بالمياه
8 رجب 948 هـ	السبت	29 أكتوبر 1541	عبور المميز، التراجع حتى كاب ماتيفو أين يوجد جزء من الأسطول المختفي
9 رجب 948 هـ	الأحد	30 أكتوبر 1541	راحة - عقد مجلس حربي - اصلاح السفن
10 رجب 948 هـ	الإثنين	31 أكتوبر 1541	راحة - بداية نقل الجنود
11 رجب 948 هـ	الثلاثاء	1 نوفمبر 1541	صعود الإمبراطور
12 رجب 948 هـ	الأربعاء	2 نوفمبر 1541	ارتفاع مستوى البحر: السفن الحربية الضخمة تنجد وتساعد سفن النقل لعبور الخليج
13 رجب 948 هـ	الخميس	3 نوفمبر 1541	توجه الإمبراطور إلى بجاية
14 رجب 948 هـ	الجمعة	4 نوفمبر 1541	الوصول إلى بجاية صباحا.

جدول يوضح مراحل هجوم شارل كوينت على مدينة الجزائر 1541م.

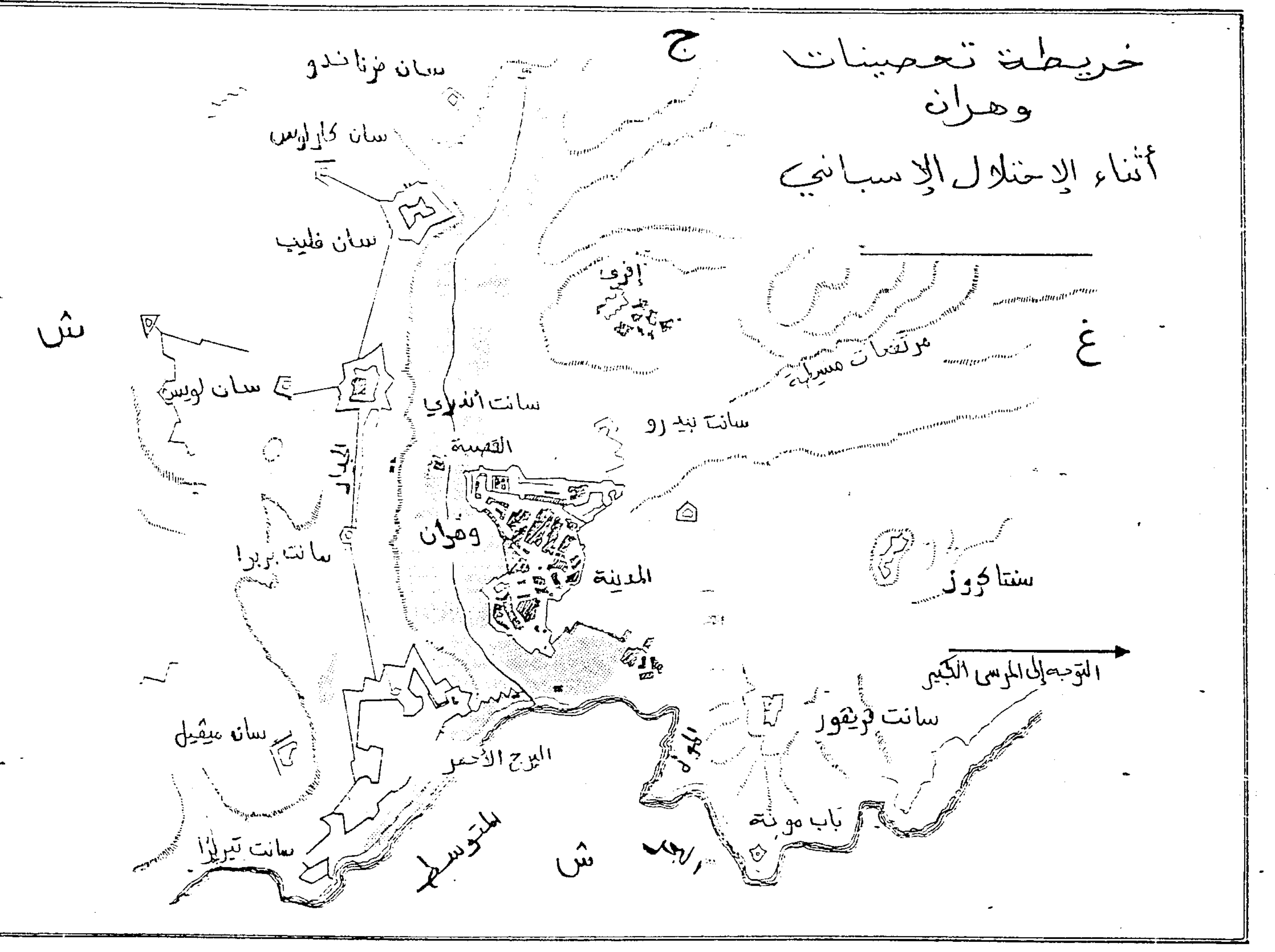
– DE VILLEGAIGNON Nicolas Durand. Relation de l'expédition de charles Quint contre Alger. Paris, 1874.

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST

خريطة الجزائر حسب "ماتيو برونيس" MATEO PRUNES 1563م

M.R.D. J. F. J. Ba Tuan BTA. Vilar. Plans et cartes Hispanique de l'Algérie XVI, XVIII siècles

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST



Plano esquemático de Orán, su relieve y sus fortalezas (O. Carbonell). Plan schématique d'Oran, son relief et ses forteresses (O. Carbonell).

Mikel de Epalza, Juan BTA. Vilar, Plans et cartes Hispaniques de l'Algérie XVI^em, XVIII^em siècles.

Document téléchargé depuis www.pnst.cerist.dz CERIST